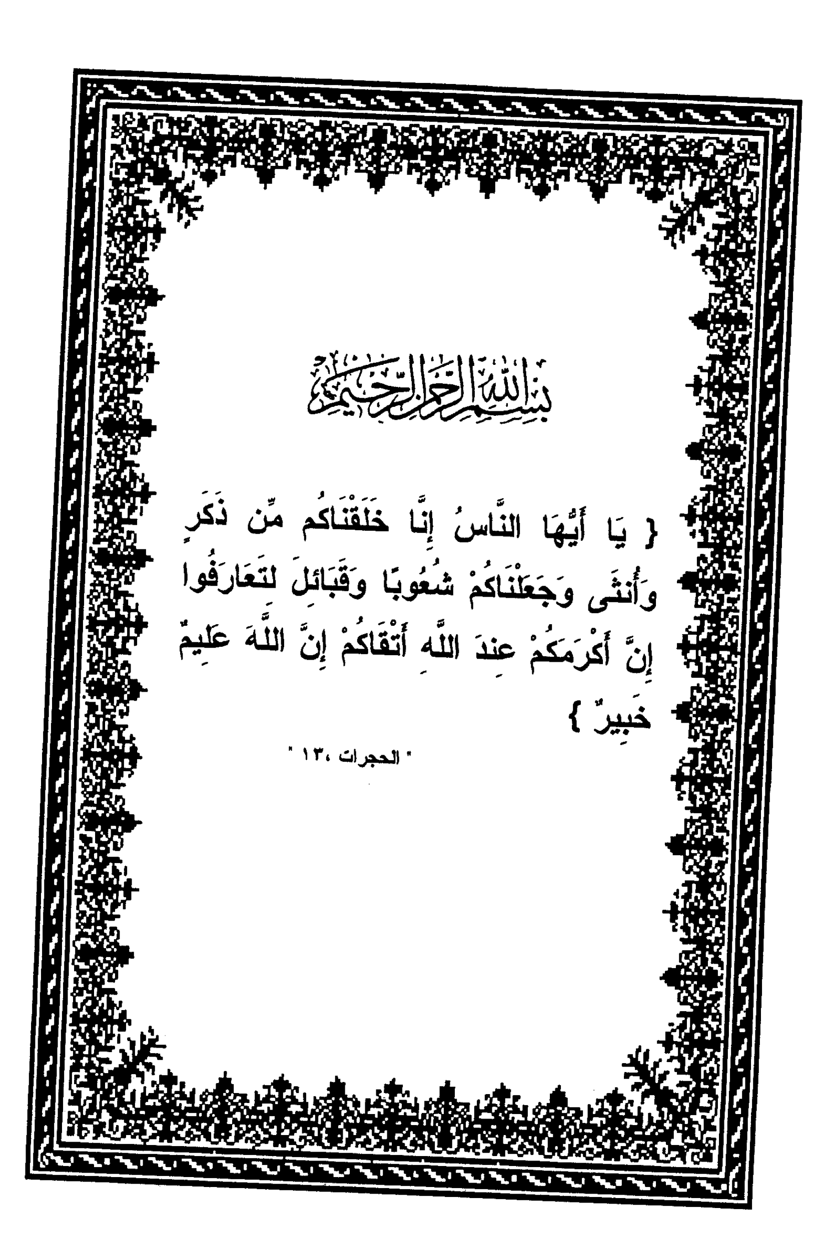
الإنســــــان
و
السلوك الاجتماعى

دكتور
نبيه إبراهيم اسماعيل
أستاذ الصحة النفسية
كلية التربية ـ جامعة المنوفية

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش د. مصطفى مشرفة ـــ سوتير سابقاً
تليفون وفاكس ٤٨٤٦٥٠٨ الإسكندرية

ر.إ : ١٦٠٢ / ٢٠٠٧
ت.د : I.S.B.N
977-17-4226-4



بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }

" الحجرات ١٣ "

إهداء

إلى كل من يتطلع لمجتمع أفضل متكامل ، متعاون ، متكافل .

إلى من يسعون لبناء شخصية متطلعة بناءة .

إلى كل أسرة تسعى لتكون حياتها أكثر نقاء ، وسعادة .

أهدي هذا العمل المتواضع.. داعياً الله العلي العظيم ، أن ينتفع به الناس جميعاً .

أ.د نبيه إبراهيم إسماعيل



الفصل الأول

(تمهـــــــــــيد)

- تقديــــــــــــــم.
- التعـــريف بعلـــم النفـــس الاجتماعـــى.
- تاريــــخ علـــــم النفـــس الاجتماعى .
- علم النفس الاجتماعى وصلته بالعلوم الأخرى.
- الجانب التطبيقـــى لعلم النفـــس الاجتماعى .

تقديم :

من المعلوم والمؤكد لدينا جميعاً أن الإنسان يهتم بإشباع حاجاته البيولوجية . فإذا شعر بالجوع سعى للحصول على الطعام ، بهدف إشباع هذه الحاجة ، وكذلك الأمر بالنسبة لغيرها من الحاجات كالإخراج والنوم ، والحركة .... إلخ ، وهو فى سعيه لإشباع مثل هذه الحاجات لا يستطيع أن يرجئ إشباع أحدها ، ذلك لأنه مطالب بالإشباع الفورى لها حتى يهدأ ويشعر بالراحة .

كما أننا نعلم أن الإنسان ولد وهو مزود بعدد من الأسلحة التى تحافظ على حياته وتحميه وأن هذه الأسلحة هى ما يطلق عليه الأفعال المنعكسة الطبيعية ؛ وهى عبارة عن استجابة محددة لما يحدث من مثيرات معينة يقوم بها الجهاز العصبى ، ومن أمثلة ذلك ما يحدث من العطس كاستجابة أو فعل منعكس طبيعى إذا ما دخل شئ غير عادى فى أنف الإنسان . وما يفرز من لعاب إذا دخلت أية مادة غير طبيعية فى الفم حيث يقوم بإذابتها عن طريق التخفيف من درجة تركيزها أو طردها عن طريق تسهيل عملية البصق ، أو تحليلها إلى مواد أبسط . وهكذا تقوم الأفعال المنعكسة الطبيعية بحماية الإنسان والمحافظة عليه .

وينمو الإنسان منذ ولادته وتحدث له تغيرات جوهرية ، حيث يزداد طوله ووزنه . بالإضافة إلى نمو مختلف الأجهزة التى تمكنه من ممارسة حياته بشكل طبيعى . كما يتم نموه الحركى الذى يبدأ بالحبو والقيام ثم المشى، ويتقدم نموه فيصبح قادراً على العدو والقفز وفق نظام متناسق . حيث التوافق التام لما يحدث من سلوك يصدره فى هذا الجانب . وإلى جانب هذا يحدث نموّ فى الجانب العقلى . حيث يبدأ فى التعرف على ما يحيط به من أشياء ، ويصبح مدركاً لكل ما يحيط به من دلالة ومعنى ، ويتقدم فى تعلم الكلام، والقراءة والكتابة والحساب وما يصحبها من تعلم مهارات أخرى ذات علاقة بهذا الجانب ، فيستطيع أن يحيا حياة يشعر فيها بالأمن

والاطمئنان . حيث يستطيع أن يدرك المفاهيم ، ويتعلم أنواع السلوك الذى يمكنه من مواصلة حياته وإحساسه بالانتماء لوطنه . ويتم ذلك كله عن طريق ما يتعلمه ، مما يحدث من نمو فى الجانب اللغوى ، فيتعلم الرموز والمفاهيم ، وأساليب التعبير عن أفكاره وآرائه التى تعن له .

هذا ؛ كما يتم نموه فى الجانب الانفعالى حيث يكتسب من الأساليب ما يعبر به عن انفعالاته المختلفة بعد أن كانت محدودة وغير متمايزة لا تعدو الصراخ والبكاء والركل والضرب أو قذف ما فى يديه حال استثارته . ويتم بعد ذلك ضبط انفعالاته عن طريق اكتساب أساليب سلوكية اصطلح عليها أفراد الجماعة للتعبير عن انفعالاتهم المختلفة . وتنمو مع ذلك قدرة الفرد على أساليب التعامل مع غيره من الناس عن طريق ما يتعلمه من قيم ومعايير واتجاهات؛ هذا بالإضافة إلى تعلم ما يمكن أن يساعده فى ممارسته للأدوار الحياتية والاجتماعية . كما يتم التمييز بين الصواب والخطأ والخير والشر . وقيامه بالدور الجنسى والمشاركة الفعلية . وتحمل المسئولية الشخصية والاجتماعية ، ونمو مفاهيم الواقع الاجتماعى . بمعنى أنه يكتسب الأساليب السلوكية التى تتفق وقيم ومعايير واتجاهات المجتمع . بما يساعده على الحياة مع أفراد مجتمعه الذى يعيش فيه وينتمى إليه .

ولهذا يستطيع الإنسان بعد وصوله إلى هذه المرحلة من النمو أن يتعلم كيفية إشباع حاجاته بما لا يتعارض مع قيم ومعايير واتجاهات المجتمع ، وبما لا يتعارض مع غيره من الناس . أى أنه يسعى فى إشباعه لحاجاته فى الإطار الذى ارتضته الجماعة وانتظم المجتمع فيه .

ولاشك أن تنشئة الطفل فى الأسرة ، وما يكتسبه خلال مراحل نموه من هذه الجماعة ، بالإضافة إلى ما يكتسبه من خبرات فى المدرسة أو مجال العمل ، أو التعامل بصفة عامة مع أفراد الجماعة الأخرى داخل المجتمع ، يمكنه من القدرة على التمييز بين الناس فيما بينهم من سمات وخصائص

والتعرف على سماتهم وخصائصهم العامة كمجتمع له نظامه وفلسفته . ولعل ما يؤكد هذا ما نلاحظه من تمايز سلوك جماعة مهنية عن غيرها ، أو جماعة مثقفة عن غيرها أقل فى المستوى . ومن يحاول دراسة الأساليب اللغوية المستخدمة لكل مهنة من المهن يجد أن هناك اختلافاً كبيراً فيما يتناولوه من كلمات ومصطلحات تختلف من جماعة مهنية عن غيرها . ومع هذا فهم يتكلمون لغة واحدة . ومن هنا يمكن القول بأن ما يصدر عن الإنسان من سلوك يعد نتاجاً لما يحدث من تفاعل بينه وبين غيره من أفراد مجتمعه .

وتشير هذه المقدمة إلى موضوع علم النفس الاجتماعى ، وما تتضمنه من دراسة مختلف أنواع السلوك الصادر عن الإنسان ، وما يكمن خلفه من دوافع اجتماعية ، وتفاعل إنسانى ، ورغبات ، وحاجات ضرورية لاستمرار حياته مع غيره ممن يتعاملون معه فى بيئته الاجتماعية .

التعريف بعلم النفس الاجتماعى :

لبيان مفهوم علم النفس الاجتماعى يمكن القول بأن علم النفس هو العلم الذى يدرس السلوك الإنسانى ، وما يكمن خلفه من العمليات العقلية والدوافع والرغبات والحاجات ، دراسة تمكننا من فهم وتفسير هذا السلوك . بما يجعلنا أكثر قدرة على التنبؤ بمختلف أنماطه وأشكاله . ولمزيد من الفهم لابد من بيان المقصود بالسلوك، وهو كل ما يصدر عن الإنسان من أنواع النشاط نتيجة لما ينشأ بينه وبين غيره من مكونات البيئة المحيطة به من علاقات ، وما ينشأ بينه وبين غيره من الناس من معاملات تتسم بالتفاعل . ولعل من أبرز أنواع النشاط هو ذلك السلوك الذى يوضح الدور الاجتماعى الذى يقوم به الإنسان مع غيره من الناس . حيث يتضمن العلاقات بينه وبين أفراد المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذه العلاقات تمثل عدداً من أنماط السلوك المكتسب عن طريق عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية .

ولهذا يهتم من يعملون فى مجال علم النفس الاجتماعى بالتفاعل الذى

يحدث بين الإنسان وغيره من الناس أو ما يمثلهم ، وكذلك دراسة العوامل التى تؤثر فى هذا التفاعل ، وما ينتج عنه من أساليب سلوكية كاكتساب القيم والاتجاهات والمعايير الاجتماعية التى اصطلحت عليها. هذا فضلاً عن دراسة مختلف أنواع الجماعات وتركيبها ، وأهدافها ، والديناميات التى بين أفرادها، بالإضافة إلى دراسة مختلف أنواع الاتصال الاجتماعى الذى من شأنه أن يحقق أكبر قدر ممكن من الإشباع لكل من الفرد والمجتمع.

ومن بين الموضوعات التى تنال أهمية فى مجال الدراسة فى علم النفس الاجتماعى موضوع التنشئة الاجتماعية والقيادة ؛ من حيث أثرها فى أفراد الجماعة وكيفية إحداث التفاعل الاجتماعى بين أفرادها ، وبيان الوظائف المنوطة بالقائد ، والمبادئ التى يعمل وفقها ، وأساليب اختيار القادة، وكيفية تدريبهم . كما يدرس هذا العلم الأمراض الاجتماعية التى تشكل خطورة على المجتمع كدراسة الجناح .

وفيما يلى بيان لوجهات نظر علماء علم النفس الاجتماعى فى محاولتهم لتحديد محور الدراسة فى هذا العلم ؛ فقد أكد مكدوجل Mcdougal (١٩٣٢) على " عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية، حيث يتم عن طريقها إكساب الإنسان أساليب التعامل والخلق الذى يتبناه المجتمع " . ويعتبر كلينبرج Klincberg (١٩٤٠) أن " محور دراسة هذا العلم تتمركز حول دراسة سلوك الإنسان الفرد داخل الجماعة من حيث صلته بأفرادها " . ويتفق معه كل من كرتش وكرتشفيلد Kresh – Crutchfield (١٩٤٨) على أنه " العلم الذى يدرس مختلف جوانب سلوك الفرد فى الجماعة " . حيث يؤكدان على أن مجاله الحقيقى هو دراسة سلوك الإنسان فى المجتمع .

هذا ؛ ويشير كمبال يونج Kimball Young (١٩٤٤) إلى أن علم النفس الاجتماعى هو " ذلك العلم الذى تنصب اهتماماته على دراسة صلات

الأفراد بعضهم ببعض ، وما تتركه هذه الصلات من آثار على كل من عادات الإنسان وأفكاره وانفعالاته " . على حين يتفق عدد من علماء علم النفس الاجتماعى على أنه " العلم الذى يدرس سلوك الأفراد فى المواقف الحياتية المختلفة كالمواقف الاجتماعية والثقافية . بينما يعتبره كل من " لامبرت ولامبرت " أنه " الدراسة التجريبية للأفراد فى المواقع الاجتماعية والثقافية " . ويشاركهما الرأى كل من " شريف وشريف " حيث يعتبران أن علم النفس الاجتماعى وهو " ذلك العلم الذى يدرس خبرة وسلوك الفرد فى علاقتهما بالمواقف الاجتماعية " . ويقصدان بالمواقف الاجتماعية كل ما تحتوى عليه من مثيرات تحدث التفاعل بين فرد وآخر ، أو بين فرد ومجموعة من الأفراد ، أو بين جماعة وجماعة أخرى ، أو المواقف التى يتفاعل فيها الفرد مع المثيرات الثقافية سواء كانت مادية كالأدوات والمواصلات أو غير مادية وكل ما من شأنه أن يحدث تفاعلاً بين الأفراد كالقيم ، والمبادئ ، والمعايير ، والمفاهيم ، والدين وفى مقدمة هذا كله ، اللغة التى يتكلم بها الأفراد. ويعتبر بعض العلماء أن المجال الاجتماعى للفرد يتمثل فى المواقف الاجتماعية التى تجعله يشعر بوجوده مع غيره من الناس أو بوجود عوامل نفسية ترتبط بالمفاهيم أو الذكريات التى تؤثر فيه، ويتأثر بها ، وتبدو فى كل ما يصدر عنه من سلوك .

ومما تقدم يمكن القول بأن علم النفس الاجتماعى هو ذلك العلم الذى يدرس – بأسلوب علمى ، وبشكل منظم – السلوك الإنسانى للفرد داخل الجماعة وما يحدث بينهما من تفاعل ، وما ينتج عن هذا التفاعل من سلوك .

ومن هذا يتضح لنا أن ما يصدر عن الإنسان من سلوك يعد محصلة أو نتاجاً لما يحدث من تفاعل بين عدد من العوامل ذات الارتباط بالتكوين النفسى للإنسان ، وكذلك بين عدد آخر من العوامل البيئية التى يعيش فيها ، ودراسة هذا السلوك ، وما يحدث من تفاعل بين العوامل المؤثرة فيه ، وما ينتج عنها من سلوك ، ومبادئ ، واتجاهات ، وقيم ، ومعايير ، وعادات ،

هو مجال الدراسة فى هذا العلم .

تاريخ علم النفس الاجتماعى :

ليس من السهل تحديد بداية محددة لظهور علم من العلوم الإنسانية ، وعلم النفس الاجتماعى من بين هذه العلوم التى يصعب تحديد بدايته التاريخية ، إلا أن كل ما يمكن أن يقال هو أن تحدد هذه البداية بشكل تقريبى ، يشير إلى أن هذا العلم قد تبلور وأصبح قادراً على إعطاء نوع معين من المعرفة تختلف عن غيرها من أنواع المعارف التى تقدمها العلوم الأخرى ذات العلاقة بالإنسان .

وهو علم كغيره من العلوم الإنسانية من حيث النشأة الفلسفية ، وقد أرجع كثير من الباحثين فى هذا المجال نشأة هذا العلم - (فؤاد البهى ، ١٩٥٥ ؛ وكمال الدسوقى ، ١٩٦٩ ؛ وتومسون، ١٩٦٨)- إلى آراء كل من " أفلاطون وأرسطو " فقد اهتم أفلاطون بجوهر الطبيعة البشرية وقسم المجتمع فى جمهوريته إلى طبقات . وفسر سلوك الإنسان على أساس ما يتعرض له الفرد من مؤشرات داخل مجتمعه . بينما فسر " أرسطو " سلوك الإنسان على أساس الجانب الوراثى البيولوجى ، وأشار إلى أن الإنسان مدنى بطبعه ، وأكد على أهمية الاتصال الاجتماعى بين الإنسان وغيره من البشر؛ موضحاً هذا بما يحدث من تفاعل نتيجة تحقيق المشاركة الوجدانية بين الخطيب والمستمعين ، وكذلك ما يحدث من تفاعل بين الأصدقاء لأنه يشكل ضرورة أساسـية للحياة الاجتماعية ، ذلك لأنه ليس من السهل أن يعيش الإنسان حياته دون أن يكون له عدد من الأصدقاء وبينه وبينهم درجات من التفاعل تحدث قدراً من العلاقات الاجتماعية لاستمرار حياة الإنسان .

كما أننا لا يمكن أن ننسى المفكر الإسلامى " ابن خلدون " الذى قدم أسس الفكر الاجتماعى بما يمكننا من تفسير السلوك الإنسانى ؛ حيث أكد على أن الإنسان يمكن أن يؤكد ذاته ، ويحقق وجوده عن طريق ما يحدث

من تفاعل اجتماعى بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ولذلك يعتبر أن التفاعل الاجتماعى هو المحور الأساسى للتقدم والعمران . كما قدم عدداً من الآراء ذات العلاقة بهذا العلم ، منها الصفات اللازمة للنجاح فى مهنة معينة .

هذا ؛ ويشير كثير ممن اهتموا بالكتابة فى مجال علم النفس الاجتماعى إلى أن هذا العلم قد تبلور فى النصف الأول من القرن العشرين ؛ حيث ظهر سنة (١٩٠٨) كتاب " لمكدوجل " تحت عنوان " مقدمة فى علم النفس الاجتماعى " كما قدم " أدوارد روث " فى العام نفسه كتاباً بعنوان " علم النفس الاجتماعى " إلا أنه اختلف المنحى لكل منهما فى تناولهما لأساسيات هذا العلم .

حيث ظهر فى كتاب " مكدوجل " مدى التأثر بمفاهيم التطور " الداروينية " وأكد على أهمية الجانب البيولوجى كأساس لهذا العلم، وأهتم فيه بدوافع السلوك ، واعتبر أن المحرك الأول للسلوك هو الغرائز . على حين ظهر فى كتاب " ورث " الاهتمام الكبير بكثير من الموضوعات ذات الاتصال بعلم الاجتماع ؛ فأكد على التفاعل الإنسانى ، وأهمية دراسة سلوك الجماهير ، وخاصة عملية الإيحاء والتقليد ، ولذلك انصب اهتمامه على التفكير الإنســانى وما ينتج عنه ، ومدى التشابه بين الأفراد .

وقد أهتم علماء علم النفس الاجتماعى بما ورد فى هذين الكتابين ، باعتبار أنهما خطين هامين كل خط منهما يعتبر مساراً هاماً فى هذا المجال ، خاصة وقد أيد وجهة نظر " مكدوجل " كل من " ثورنديك " و" ورث " على حين عارض " واطسون " ما نادى به " مكدوجل " حول أهمية الغرائز كدوافع للسلوك ، وجاء بعد ذلك " كيرت لفين " بما أسماه " المجال النفسى " الذى يركز فيه على دراسة الفرد فى تفاعله مع مختلف المواقف والخبرات التى تؤثر فى سلوكه بشكل أو بآخر . كما اهتم " بياجيه " و " مورنيو " بالعوامل الذاتية للفرد التى تسهم فى كل من المواقف والخبرات الى تحدد

سلوك الفرد الاجتماعى .

وهكذا استطاع هذا العلم الانتقال من الفكر الفلسفى الذى يعتمد على عرض الأفكار ووصف الظواهر إلى مجال التجريب . أى أنه انتقل من التركيز على البحوث النظرية إلى البحوث ذات المنهج العلمى الدقيق .

علم النفس الاجتماعى وصلته بالعلوم الأخرى

علم الاجتماع :

من يتفهم العلاقة بين علم النفس ، وعلم الاجتماع يدرك أن مجال الاهتمام فى هذين العلمين هو الإنسان ، وأن كلاً منهما يدرس فى مجالات تكاد تكون مشتركة ومتداخلة . حيث يهتم هذا العلم بدراسة ما يحدث من نمو فى التنظيم الاجتماعى ، وما يصدر عن الجماعة من سلوك ، والمبادئ الأساسية التى يرتكز عليها هذا السلوك ، وهذا يعنى أن الجماعة هى الوحدة الأساسية للدراسة فى علم الاجتماع ، كما يهتم أساساً بالموقف أو الوسط الاجتماعى الذى يحدث فيه السلوك . بالإضافة إلى دراسة نظام الجماعة وتركيبها ودينامياتها وتغيرها ، وما يحدث لها من تطور ، هذا فضلاً عن البحث عن أصولها .

بينما يدرس علم النفس الاجتماعى الفرد وكيفية تفاعله مع غيره من الناس ومع جماعة الأفراد . وكذلك دراسة العوامل النفسية التى تحدث التفاعل بين الفرد والجماعة ، وما ينتج عنها من تكوين الجماعات ، بالإضافة إلى العوامل النفسية التى تؤدى إلى تغيير ونمو مختلف التنظيمات الاجتماعية .

وهذا يعنى أن كلاً من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى يتعرض لموضوعات مختلفة أو مجالات متعددة ذات صلة بكيان كلى وهو الإنسان ، وهنا تبدو الصلة الوثيقة بين العلمين حيث إنه لا يمكن دراسة الأفراد بعيداً عن علاقاتهم الاجتماعية ، وأن هذه العلاقات لا يمكن أن تفهم بعيداً عن

وحدة هذه العلاقة .

علم الإنسان " أنثروبولوجى " :

يسهم المتخصصون فى هذا العلم فى فهم كثير من أنواع السلوك الإنسانى ، وذلك لأن الصلة بين علم الإنسان من جهة وعلم النفس الاجتماعى من جهة أخرى صلة وثيقة . حيث أن هذا العلم يدرس سلوك الفرد داخل الجماعة ومحاولة التعرف على أساليب تنشئته . وعاداته وتقاليده، ومختلف أنواع الأطر الثقافية التى يعيش فيها، والتى تؤثر بدرجة أو بأخرى فى تحديد مختلف أنماط سلوكه . وهذا من شأنه أن يجعل لهذا العلم صلة بكثير من العلوم التى جعلت الإنسان موضع اهتمامها فى الدراسة .

وإذا كانت العلوم الإنسانية تأخذ وتستفيد من نتائج الدراسات التى يهتم بها علم النفس الاجتماعى ، فإنه – علم النفس الاجتماعى – بدوره يأخذ ويستفيد من غيره من العلوم المتعددة الأخرى .

علم النفس العام :

ويسهم المتخصصون فى مجال هذا العلم إسهاماً كبيراً لفهم سلوك الإنسان ؛ حيث يهدف إلى التعرف على قوانين السلوك التى لا تتأثر بالفروق الفردية فى التنشئة الاجتماعية ، كما هى الحال فى قوانين الدافعية والإدراك والتعلم والتذكر والتفكير ، وهى قوانين تصدق على كل إنسان دون النظر إلى البيئة الاجتماعية والثقافية التى ينتمى إليها . وهذا يعنى أن علم النفس العام ينظر إلى الإنسان نظرة مجردة عن البيئة . بينما يدرس علم النفس الاجتماعى سلوك الفرد داخل الجماعة والمؤثرات الاجتماعية التى تشكل سلوكه . ومعنى هذا أن علم النفس الاجتماعى يستكمل ما لم يتناوله علم النفس العام بالدراسة . وما يمكن قوله فى الصلة بين علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى ، هو أن الثانى يستخدم كثيراً من قوانين الأول ، باستثناء ما يتعلق " بالإدراك الاجتماعى " خلال دراسة العناصر الحيوية ، والعناصر

الاجتماعية الثقافية للإنسان ، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعى بطبعه . كما أن لديه من القدرات ما يمكنه من الاتصال بغيره من الناس ، ونقل مهاراته ونتائجه ، ومعتقداته ، وعاداته وتقاليده إلى غيره من بنى جنسه . ولهذا يهتم هذا العلم بدراسة أنماط الثقافة ، والعادات والتقاليد ، بهدف تفسير الفروق بين الجماعات المختلفة فى أنحاء العالم .

بينما يهتم علم النفس الاجتماعى بالدراسة التى تمكن الإنسان من اكتساب الثقافة التى تحملها الجماعة التى يعيش فيها . وإذا كان " علم الإنسان " يستخدم الثقافة والعادات كمفاهيم أساسية لفهم مختلف أنماط التنظيم الاجتماعى ، فإن علم النفس الاجتماعى يهتم بتحليل العمليات التى تكمن وراء هذه المفاهيم حيث يسعى فى دراسته للتعرف على كيفية نشأة العادات ، وكيفية انتقالها من جيل إلى آخر . ومن هذا يتضح مدى عمق الصلة التى بين علم النفس الاجتماعى وعلم الإنسان .

الجانب التطبيقى لعلم النفس الاجتماعى :

كثيراً ما نسأل أنفسنا عن أهمية ما ندرس وخاصة فى مجال التربية وعلم النفس ؟ أو نقول ما العائد فى مثل هذه الدراسات ؟ ولكى نجيب عن مثل هذه الأسئلة وخاصة فيما يتصل بعلم النفس الاجتماعى نحاول أن نذكر المجالات التى يهتم بها هذا العلم – وهى دراسة سلوك الإنسان مع الآخر مؤثراً ومتأثراً ، ودراسة سلوك الإنسان داخل الجماعة ، ودراسة سلوك الجماعة مع الجماعة الأخرى ، ودراسة العمليات النفسية المختلفة بين هذه الجماعات ، وعملية التفاعل التى يعيشها الفرد والتى يتم من خلالها بناء شخصيته ونموها ، ودراسة مختلف أنواع العلاقات التى تنشأ بين الفرد وغيره من الناس أو بينه وبين ما يحيط فى بيئته – حتى يمكن أن ندرك مدى الفائدة التطبيقية التى تعود علينا كأفراد وجماعات ، أو على المجتمع ككل .

فبالنسبة للفرد فإنه يمكن – عن طريق ما تصل إليه الدراسات من

نتائج فى مجال علم النفس الاجتماعى - يمكن الاهتمام بالحاجات النفسية والاجتماعية للفرد بما يحقق له الشعور بالراحة والاطمئنان النفسى ، وخاصة فيما يتعلق بعلاقاته الاجتماعبة . حيث إنه إذا لم ينل الفرد التقدير والاحترام من جانب الآخرين ، فإنه قد يسلك سلوكاً تعويضياً يحقق له هذا الشعور بما يتنافى مع قيم المجتمع ومعاييره ، أو قد ينسحب أو يسقط أو يتقمص بأسلوب أو بشكل يؤدى إلى إلحاق الضرر بشخصيته وتكوينها . والأمر على خلاف هذا إذا ما استطاع أن ينال التقدير والاحترام وإذا أصبحت معاملته معاملة طيبة تتسم بالألفة ، والمودة ، والتعاطف . بما يحقق له الشعور بالأمن والطمأنينة ، وبما يجعل استجاباته للآخرين من النوع نفسه والمنبع ذاته ، وبما يجعله أكثر انطلاقاً لممارسة عمله بجد ونشاط ؛ حيث الشعور بالأمن والتمتع بمستوى مناسب من الصحة النفسية السليمة .

ولما كان من بين أهداف الدراسة فى مجال علم النفس الاجتماعى ؛ دراسة التفاعل والتعرف على العوامل ذات التأثير على سلوك الفرد داخل الجماعة فإنه يمكن تعديل سلوك الأفراد على أساس علمى سليم . بحيث يتفق وما يتبناه المجتمع من قيم ومعايير ، وبحيث يمكن الاستفادة بما لديه من إمكانات وقدرات فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير .

كما يسهم هذا العلم فى تعليم الفرد الدور الاجتماعى الذى ينبغى أن يقوم به ، وذلك عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية . حيث تم اكتساب الفرد القيم والمعايير و الاتجاهات ، وخاصة ما يمت بصلة للجماعة حتى يتمكن من التعامل السليم مع غيره من الناس ، بما يحقق النفع له ولغيره . هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالنمو الاجتماعى للفرد ؛ فيتعلم تحمل المسئولية الاجتماعية التى يتم من خلالها اكتشاف ما لديه من قدرات وإمكانات . الأمر الذى يمكنه من الإسهام فى نمو ذاته ، ويصبح مفهوم الذات لديه أكثر وضوحاً ؛ فيستطيع ممارسة مختلف أدواره الاجتماعية بنجاح دون تخبط أو وقوع فى الفشل .

كما يسهم علم النفس الاجتماعى فى كيفية بناء الجماعة وتركيبها تركيباً سليماً ، حتى يمكن إحداث التفاعل الاجتماعى السليم . بما يحقق إشاعة جو من التفاهم والمحبة يتحقق عن طريقهما التماسك القوى المتين بين أفرادها ، فتحقق بذلك أهدافها عن طريق إشباع الدوافع الاجتماعية السليمة التى تشكل بدرجة كبيرة سلوك الفرد والجماعة معاً ، بما يسهم فى خدمة أفرادها على حد السواء .

وتعد القيادة من أهم الموضوعات التى يهتم بها علم النفس الاجتماعى، ولذلك فإنه يستفاد من نتائج دراسات هذا العلم فى اختيار وإعداد القيادات المختلفة عن طريق تنمية ما لديهم من أنواع السلوك القيادى . بما يحقق نجاح القادة فى أدوارهم الاجتماعية داخل الجماعة . ذلك لأن نجاح الجماعة فى أى عمل من الأعمال التى تقدم عليها يتوقف إلى حد كبير على مهارة القائد فى تعامله مع أفراد الجماعة بما يشيع جو من الود والألفة على أساس من الديمقراطية .

هذا ؛ بالإضافة إلى ما يمكن أن يسهم به هذا العلم فى مختلف مجالات الحياة المتعددة . حيث إن أى مجال من مجالات الحياة تضم أفراداً وجماعات، وخاصة تلك المجالات التى يتأثر فيها الأفراد ببعضهم تأثراً كبيراً. ومن هذه المجالات المجال التربوى والتعليمي الذى يعتبر التلاميذ محور العملية التربوية والتعليمية ؛ سواء كانوا خارج الفصل فى نشــاط يمارسونه أو داخله يتعلمون فيه ؛ حيث يمد علم النفس الاجتماعى المعلم بأسس النمو النفسى والاجتماعى للتلاميذ فى مختلف المراحل التعليمية عن طريق ما يتوصل إليه من دراسات فى مجال العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين التلاميذ من جهة ، وبينهم وبين المعلم من جهة أخرى .

هذا ؛ بالإضافة إلى ما يقدمه من فهم دقيق لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ، والعوامل المؤثرة فيها ، بما يمكن من يعملون فى هذا المجال

من تنمية ما لدى التلاميذ من قدرات وإمكانيات ، فضلاً عن إكسابهم القيم والاتجاهات والمعايير على أساس علمى سليم .

ولا تقتصر أهمية هذا العلم فى المجال السابق الذكر إنما تمتد أهميته إلى مجال الصناعة والعمل حيث يمكن أن يسهم فى إنشاء علاقات إنسانية اجتماعية سليمة بين العمال من جهة والملاحظين والمهندسين من جهة أخرى، هذا فضلاً عن أهمية العلاقة بين العمال أنفسهم ومدى تفاعلهم مع بعضهم بما يعود على الدولة بزيادة الإنتاج والربح .

كما يمكن أن يسهم علم النفس الاجتماعى فى كيفية اختيار أصلح الأفراد لكل نوع من أنواع العمل ، وكيفية إعدادهم ، وتوجيههم بما يتفق وما لديهم من قدرات واستعدادات ، وبما يحقق للفرد إحساساً بالأمن والراحة والثقة بالنفس فى مجال عمله ، بالإضافة إلى الإسهام فى اختيار نوعية النشاط الاجتماعى داخل المصنع أو فى مجال العمل . بما يدعم ويقوى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، وبما يحقق مستوى من الصحة النفسية السليمة للعمال، وتهيئة مجال العمل بالعوامل المؤثرة لرفع الروح المعنوية لهم ، والتغلب أو القضاء على ما يعن من مشكلات تظهر فى محيط العمل . الأمر الذى يتحقق معه إحساسهم بالمسئولية الاجتماعية تجاه ما يقومون به من أعمال تسهم فى تنمية وزيادة الإنتاج .

ومن بين المجالات التى تستفيد بعلم النفس الاجتماعى مجال الخدمة الاجتماعية الذى يهتم بالتعرف على المشكلات الاجتماعية بهدف العمل على إزالتها بأسلوب علمى يحقق للإنسان حياة اجتماعية موفقة ، ويتهيئ بذلك مناخ اجتماعى سليم يتيح إمكانية حسن استثمار ما لديه من قدرات وإمكانات. بما يعود عليه وعلى وطنه بالخير والرفاهية .

ويمتد ويتسع نشاط من يقومون بالخدمة الاجتماعية فى مجالات متعددة

ومتنوعة فى الحياة ، فإنهم يستطيعون الاستفادة بالموضوعات موضع الاهتمام فى علم النفس الاجتماعى . حيث إن هذا العلم يهتم – كما سبق القول – بالجماعة وتركيبها والتفاعل بين أفرادها ، وما يتم من نمو اجتماعى للأفراد على أساس عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية . حيث يتم عن طريقها تكوين الاتجاهات وإكسابهم المعايير والقيم التى يتبناها المجتمع ، هذا فضلاً عن الاهتمام بالقيادة كأساس لتقدم الجماعة ونجاحها ، وأساليب عمل الجماعات ، ومواجهة مختلف التغيرات الاجتماعية للمحافظة على الفرد والجماعة ، وتهيئة مناخ نفسى اجتماعى يتحقق من خلاله مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة .

هذا ؛ ويفيد علم النفس الاجتماعى من يعملون فى مجال الصحة النفسية والإرشاد والعلاج النفسى ذلك لأن تهيئة جو من الصحة النفسية السليمة يتطلب ضمن ما يتطلب دراسة أهم العوامل التى يمكن أن تحقق مثل هذا المناخ ، وهذا يتم عن طريق دراسة المحيط الاجتماعى ؛ بالإضافة إلى دراسة الفرد الذى نشأ فى هذا المحيط حتى يمكن التعرف على أهم العوامل التى قد تهيئ مناخ من الصحة النفسية السليمة للفرد والمجتمع على حد سواء.

ولكى يتم الإرشاد أو العلاج النفسى لابد من دراسة الأسباب التى أدت إلى عدم اتزان الإنسان وتحويله إلى حالة مرضية تحتاج إلى توجيه وإرشاد أو علاج نفسى . ويتطلب التعرف على هذه الأسباب ، دراسة البيئة الإجتماعية التى نشأ فيها لكشف العوامل التى أدت إلى هذه الحالة ، وكذلك التعرف على أهم الجوانب الاجتماعية والسلوك الاجتماعى لهذا الإنسان . ذلك لأن ما يحدث للإنسان خلال مراحل عمره المختلفة مرتبط بكثير من المتغيرات والعوامل من بينها ؛ الجماعة والبيئة الاجتماعية ، وكلها موضوعات ذات أهمية فى مجال علم النفس الاجتماعى .

كما ينال هذا العلم اهتمام من يعملون فى مجال القوات المسلحة والحروب باعتبار أن إعداد الجيش لا يتوقف فقط على مستوى التدريب العملى والفعلى على المعدات والأسلحة الحديثة . بل يتطلب - أيضاً - رفع الروح المعنوية للأفراد ، وهذا لا يتم إلا عن طريق بناء أو تكوين شخصية هؤلاء الأفراد بشكل يجعل شخصياتهم أكثر قدرة على العمل ، واستجابة للأوامر ، وأكثر تحفزاً وقبولاً لتنفيذها ، وأكثر تهيئة لبذل الدم والروح من أجل الوطن . وهذا يتطلب دراسة دقيقة لنوعية سلوك أفراد هذه المؤسسة الاجتماعية العسكرية ، وتهيئة أسباب التفاعل الاجتماعى بين الأفراد بعضهم بعضاً ، وبينهم وبين جماعات متخصصة أخرى فى هذا الجيش . وإعداد الجماعة بشكل يحقق الانسجام التام بما يزيد من مستوى دافعيتهم للعمل سواء كان فى السلم أو فى الحرب على أساس من التعاون والمحبة والاحترام ، بناء على ما توصل إليه علم النفس الاجتماعى من دراسات تناولت خصائص ديناميات الجماعة ، وأسباب قوتها وتماسكها .

بالإضافة إلى الاستفادة بما توصل إليه علم النفس الاجتماعى من دراسات كشفت عن أهم العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة على سلوك الأفراد أثناء الحرب ، وكذلك كيفية تغيير السلوك وتعديله بما يحقق النصر للجيش . هذا فضلاً عن أهمية موضوع سيكولوجية القيادة بالنسبة لرجال القوات المسلحة بصفة خاصة . حيث يعتبر من أهم الأدوار الاجتماعية فى هذا المجال . وما يقدمه من دراسات فى مجال سيكولوجية الشائعات ، وتغيير الاتجاهات ، وأساليب الدعاية ، وما يصدره الناس من سلوك أثناء الحروب .

وتعد أجهزة الإعلام والاتصال الجماهيرية ، من المجالات التى تستفيد بموضوعات الدراسة فى علم النفس الاجتماعى ، حيث إنها تؤثر تأثيراً كبيراً على سلوك الأفراد والجماعات داخل المجتمع . بما يؤدى إلى تغيير اتجاهات وقيم ومعايير أفراده . وخاصة فى هذه الفترة من الزمان . حيث

التيارات والمؤثرات الواردة من الخارج على أساس الانفتاح على العالم الخارجى . فإن هذه الأجهزة تستطيع أن تقوم بدور فعال فى المحافظة على قيم المجتمع ومعاييره ، وتعديل اتجاهات الأفراد وميولهم بما لا يتعارض مع الخبرات وأنواع الثقافة الواردة من الخارج . وبما لا يزعزع أو يغير قيمنا ومبادئنا الأساسية .

كما تستطيع هذه الأجهزة - عن طريق ما توصل إليه علم النفس الاجتماعى من دراسة الرأى العام على أساس علمى سليم - أن تدعم قيم المجتمع ، وتعدل من سلوك الأفراد ، بما يتناسب وهذه القيم ، وتستطيع هذه الأجهزة - أيضاً - أن تعمل على مساعدة أفراد المجتمع على تحمل المسئولية الاجتماعية والإسهام فى بناء المجتمع وتطوره . بما يقدمه هذا العلم من دراسات فى طبيعة الجماعات والعوامل المؤثرة فيها ، وكيفية تشكيلها ، ورفع الروح المعنوية لها عن طريق ما يقدمه من دراسات فى مجال الاتجاهات الاجتماعية والنفسية .

هذا ؛ ويمكن القول بأن ما يتناوله هذا العلم من موضوعات بالدراسة العلمية الدقيقة تنعكس آثار نتائجها على المجتمع بشكل عام من خلال ما يقدم له من خدمات تسهم فى مجالات الحياة المختلفة بهدف نموه وتطوره . بما يعود على أفراده وجماعاته بالتقدم والرفاهية . ذلك لأن هذا العلم يهتم أساساً بالإنسان وما يمكنه من ممارسة حياته بشكل يحقق له الإحساس بالصحة النفسية السليمة . حيث يهتم بحريته، وبتوفير العدالة الاجتماعية له ، والأسس السليمة لإنشاء علاقات إنســانية بينه وبين غيره من الناس ، وتهيئة المناخ الاجتماعى النفسى الذى يمكنه من تحقيق أعلى معدل من الكفاية الإنتاجية ، والتفاعل بينه وبين جماعات المجتمع المختلفة ، وإعداد القادة على أساس علمى سليم بما يحقق مزيداً من التفاهم بين الجماعة وقائدها ، ودراسة قيم ومعايير الجماعة ، بما يسهم فى إرساء أسس يسير عليها الأفراد والجماعات تنعكس آثارها على راحتهم ودرجة اطمئنانهم فى الحياة التى يحيونها . هذا

بالإضافة إلى تكوين الاتجاهات السليمة ، وتعديل الاتجاهات التى لا تتفق وقيم المجتمع ومعاييره ، والكشف عن العوامل الاجتماعية ذات التأثير على تنشئة الأطفال ونموهم داخل الأسرة والمجتمع .

الفصل الثانى

(مناهج البحث فى علم النفس الاجتماعى)

- تقديـــــــــم .
- الاســـــــتبطان.
- الملاحظـــــــة .
- الطرق التجريبية .

تقديم :

تسعى العلوم كل فى مجال تخصصه إلى تفسير الظواهر موضع اهتمامها ، بهدف الكشف عن القواعد والقوانين التى تتحكم فى هذه الظواهر، حتى يمكن التنبوء بحدوثها ، ولذلك يلجأ الباحثون إلى استخدام أساليب منهجية محددة كى يمكن الوصول إلى النتائج السليمة ، وتتحقق الأهداف بأسلوب علمى دقيق .

ويبدأ الباحث باتخاذ عدد من الخطوات للتحقق من الهدف المراد الوصول إليه ، ومن هذه الخطوات : تحديد المشكلة موضع الدراسة . حيث إنه يوجد العديد من العوامل التى تؤثر بشكل أو بآخر فى اختيار وتحديد المشكلة ، كما يلجأ الباحث إلى كثير من المراجع والمصادر العلمية لمساعدته على اختيار المشكلة موضع الاهتمام فى الدراسة . ثم يسعى بعد ذلك لجمع المعلومات والبيانات ذات العلاقة بالمشكلة التى حددها ، مستخدماً عدداً من الوسائل لجمع هذه البيانات وتلك المعلومات . وينتقل الباحث بعد هذه الخطـوة إلى تصنيف وتحليل هذه البيانات بهدف الوصول إلى كثير من المعلومات التى يمكن أن تفيد الباحث فى تحديد وإجراء دراسـته. هذا ويصبح على الباحث بعد ذلك مهمة نقل ما توصل إليـه من نتائـج بحـثه أو دراسـته إلى غيره من طـلاب المعرفة والعلم ، بما يساعدهم فى مجال دراستهم والانتفاع بما توصل إليه .

وعلم النفس الاجتماعى كغيره من العلوم يسعى من خلال دراساته إلى الكشف عن القواعد والقوانين التى تحكم الظواهر موضع الاهتمام فى هذا العلم ؛ بما يمكن من التنبؤ بحدوثها ، ويشترك أيضاً مع العلوم الأخرى فى أسلوب البحث العلمى المستخدم إلا أنه يختلف فى طبيعة الظواهر التى يتناولها أو المشكلات التى يتصدى لها . حيث إنه يهتم بالتفاعل بين الفرد والمجتمع ، وتكوين الاتجاهات وما يتصل بهذه الموضوعات من مختلف أنواع النشاط الاجتماعى متمثلاً فى السلوك الإنسانى .

قبل الحديث عن أهم الطرق والأساليب التي تستخدم فى مجال دراسة الظواهر السلوكية فى مجال علم النفس الاجتماعى - بهدف دراسة السلوك الإنسانى دراسة علمية دقيقة - لابد من تناول بسيط للمحاولات الأولى فى هذا المجال . حيث بدأ " فونت " أول معمل لعلم النفس التجريبى فى سنة (١٨٧٩) . وقد بدأ فونت عناصر الخبرة الشعورية للفرد . واعتبر الإحساس بمثابة العناصر الأساسية لهذه الخبرة . واعتمد " فونت " فى بحوثه على أسلوب الاستبطان . حيث كان يقوم بتدريب أشخاصاً لوصف وتقرير ما يشعرون به من احساسات ، إلى أن جاء " واطسن " بعد حوالى ثلاثين عاماً - ونادى بضرورة أن يسير علم النفس بالأسلوب نفسه الذى تتبعه العلوم الطبيعية مخالفاً بذلك رأى " فونت " على أساس أنه ينبغى أن يتم البحث على ما يمكن ملاحظته من السلوك فقط وليس ما يشعر به الفرد .

الاستبطان :

وهو أسلوب من الأساليب التى يستخدمها الباحثون فى دراستهم للظواهر ؛ ويعتمد فيها الباحث على مدى قدرته على السيطرة على العوامل المؤثرة فى الظاهرة موضع الاهتمام فى الدراسة ، وهى تعتمد على ذاتية الباحث أكثر من اعتمادها على الموضوعية ؛ حيث يستبطن الفرد ذاته ثم يقوم بوصف وتقرير عما يشعر به من احساسات أو يراوده من أفكار ، ويقدم هذه المشاعر والأحاسيس أو الأفكار فى صورة وصف انفعالاته ، وقيمه ، أو أن يقوم بوصف أحد جوانب حياته النفسية فيما يمر به من خبرات حياته فى الماضى أو الحاضر .

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تعد من أقدم الطرق التى استخدمها من يعملون فى مجال علم النفس . إلا أنه قد وجه إليها كثيراً من أوجه النقد منها : الإفراط فى الذاتية ، وأن الإنسان لا يستطيع مهما بلغ مستوى قدراته، وسيطرته أن يراقب انفعالاته ، وما يراوده من أفكار أثناء مروره بخبرة كان يعيشها .

وكان لظهور حركة القياس الفعلى على يد " ألفريد بينيه " أثر كبير على طريقة الاستبطان ؛ حيث بينت هذه الحركة أنه يمكن دراسة جانب من نشاط الفرد بغير طريقة الاستبطان ، وأنه يمكن تحويل عملية الإمعان فى التصورات النظرية إلى تحديد كمى . هذا بالإضافة إلى ظهور " فرويد " بنظرياته التى أوضح فيها أن حياة الفرد النفسية لا تعتمد على الجانب الشعورى فقط ، بل أن هناك جانباً أكثر أهمية فى تحديد سلوك الفرد وهو الجانب اللاشعورى .

ومع ذلك فإن هذه الطريقة مازالت تستخدم وإن اتخذت صوراً أخرى غير ما كانت عليه من قبل ، حيث استخدم الباحثون بدلاً منها الاستفتاء ومقاييس التقدير .

الملاحـــــظة

أ) الملاحظة غير المنظمة :

استخدم كثير من الباحثين الملاحظة كوسيلة من وسائل جمع المعلومات والبيانات عن الظاهرة موضع الاهتمام ؛ بهدف الوصول إلى إجابات عما يطرحه الباحث من أسئلة عن كنه الظاهرة ، ولقد لجأ إليها المفكرون الأوائل والفلاسفة والعلماء واستخدموها بدقة وقدموا لنا عن طريقها فكرهم وإنتاجهم؛ وفى مقدمة هؤلاء أفلاطون وأرسطو وهوبز ولوك ورسو .. بالإضافة إلى أن كلاً من الأدباء والفنانين قد استلهموا أفكارهم بعد ملاحظة دقيقة لما يصدر من سلوك البشر . الأمر الذى يمكنهم من تقديم روائع الأدب العالمى ، ومن هؤلاء شكسبير وفولتير وجوته وموروافيا الذين استطاعوا أن يقدموا وصفاً دقيقاً لكثير من جوانب السلوك الإنسانى ورسموا العديد من الشخصيات الإنسانية التى لا تختلف كثيراً عما هو موجود فى عالم الواقع . كما أنها تعد أداة فعالة لمن يعملون فى مجال الفلك والأرصاد الجوية والاجتماع . وتعد أكثر موضوعية بالنسبة للاستبطان عند استخدامها لدراسة الإنسان .

ورغم ما لهذه الوسيلة من أهمية فى مجال دراسة السلوك الإنسانى وخاصة فى الدراسات الاستطلاعية . إلاّ أنه اخذ عليها عدة مآخذ من بينها إغفال الملاحظ لبعض الجوانب التى مرت أمامه لعوامل لاشعورية أو شعورية ؛ حيث قد يتحيز الملاحظ ضد مجموعة الملاحظة ، فلا يرى إلاّ ما يسىء إليها . والعكس صحيح ، أو قد تخون الذاكرة الملاحظ فى سرد كل ما لاحظه أو قد يسئ فهم ما لاحظه ، أو قد يكون ما يلاحظه الفرد من أساليب الحياة أو قيم وعادات وتقاليد مجموعة من الناس غير كافية لإعطاء بيانات صحيحة وذلك لعدة أسباب منها قلة عدد هذه المجموعة والمواقف التى تمت فيها الملاحظة .

ولذلك تعد الملاحظة غير المنظمة من الأساليب غير الجيدة للحصول على المعلومات وجمع البيانات بسبب عدم تنظيمها ودقتها ، وتداخل كثير من العوامل أثناء الملاحظة . مما يشوه المعلومات التى تجمع بهذا الأسلوب.

ب) الملاحظة المنظمة :

تختلف الملاحظة المنظمة عن الملاحظة السابقة باختلاف الإجراءات التى يتبعها الباحث . حيث يتم فى الملاحظة المنظمة تحديد الجانب السلوكى الذى يراد ملاحظته ؛ وذلك بهدف تحديد المواقف الاجتماعية التى يمكن عن طريقها ملاحظة السلوك المراد دراسته ، ثم تحديد عدد الأفراد الذين يقعون تحت الملاحظة حتى يمكن القول بأن هذا العدد يعد مثلاً للقطاع الذى نريد أن ندرس الظاهرة من خلاله ، ولكى يصل الباحث إلى معلومات دقيقة لابد أن يكون على درجة كبيرة من الوعى والدقة بحيث لا يخلط بين ما يلاحظ من سلوك ، وبين تفسيره لما لاحظه . بالإضافة إلى أنه ينبغى أن يكون الملاحظ ماهراً بحيث لا يشعر من يلاحظه بأنه موضع الملاحظة ؛ وهذا يتطلب أن يمر الملاحظ بتدريب معين ، وممارسة فعلية حتى يمكن الاطمئنان إلى ما يجمع من بيانات ومعلومات . كما ينبغى أن يقوم بالملاحظة أكثر من شخص واحد ، وذلك لإمكانية الإلمام بكل الجوانب موضع الملاحظة بحيث

أنه إذا أغفل أحد الملاحظين ملحوظة ما ، يمكن تداركها عن طريق الآخر. بالإضافة إلى أخذ المعلومات التى اتفق الجميع على ملاحظتها . بما يضفى عليها كثيراً من الاطمئنان لصحة المعلومات والبيانات التى تم الحصول عليها عن طريق هذا النوع من الملاحظة .

هذا ؛ ويندرج تحت الملاحظة المنظمة ما يتم من دراسات طولية أو تتبعية بهدف التعرف على مدى النمو الحادث فى جوانب السلوك المختلفة . فضلاً عن دراسة الحالة ؛ حيث يقوم الباحث بجمع معلومات عن ماضى الحالة وحاضرها بما يقدم صورة أكثر شمولاً للجوانب السلوكية موضع الاهتمام فى الدراسة .

الطرق التجريبية

تستخدم الطرق التجريبية بصورة كبيرة فى مختلف العلوم الطبيعية وتشارك الآن كثير من العلوم التى تدرس سلوك الإنسان هذه العلوم فى استخدام هذه الطرق إلا أنها تتطلب من الباحث أن يكون ماهراً فى السيطرة على العوامل التى قد تؤثر على الظاهرة موضع الاهتمام فى الدراسة ، وهو ما يطلق عليه الضبط التجريبى – وتعد الطرق التجريبية من أفضل الطرق فى مجال البحث عن كافة الظواهر ذات العلاقة بالسلوك الإنسانى وذلك لأنها أكثر اتصافاً بالموضوعية من الاستبطان المفرط فى الذاتية وخاصة إن استطاع الباحث أن يسيطر على العوامل الوسيطة قدر الإمكان .

كما تتيح هذه الطرق فرصة أمام الباحث للسيطرة على كثير من العوامل المؤثرة فى الظاهرة السلوكية موضع الدراسة ؛ فيستطيع أن يثبت متغيراً أو أن يعزل آخر ؛ بما يمكنه من دراسة دقيقة ومعرفة حقيقة العلاقة بين العوامل موضع الدراسة . وقد أكد هذا " كرونباك " عندما أوضح أن أهم المتغيرات التى يحددها الباحث تصبح تحت سيطرته بما يمكنه من التحقق من صحة فروضه أو بطلانها والتأكد من العوامل المسببة للظاهرة بدرجة

مناسبة من الدقة .

وفيما يلى مثالاً توضيحياً يعطى صورة تبين أن الطرق التجريبية لدراسة الظواهر ذات العلاقة بالسلوك الإنسانى . حيث إن الباحث يبدأ بتحديد الظاهرة موضع الدراسة ، ثم يحدد ما يتصل بها من مصطلحات أو مفاهيم بشكل إجرائى ثم يحدد بعد ذلك العوامل أو المتغيرات التى يهدف الباحث إلى دراسة ما لها من أثر على السلوك الإنسانى ، هذا وتمكن الطرق التجريبية الباحث من التغيير فى العوامل أو المتغيرات بصورة تجعله أكثر قدرة على الوصول إلى نتائج يمكن الثقة بها . كل ذلك فى إطار موقف يصممه الباحث يكاد يتفق والموقف الطبيعى أو الظروف الطبيعية .

وقبل أن يصمم الباحث الموقف التجريبى يقوم بمسح العوامل او المتغيرات التى قد يكون لها أثر أو لها صلة بالظاهرة موضع الاهتمام فى الدراسة ثم يقسم ما يتصل بالظاهرة من متغيرات إلى ثلاثة أنواع :

١- **المتغير المستقل** : وهو المتغير أو العامل الذى يقوم الباحث بتغيير مقداره حتى يتمكن الباحث من التعرف على ما يترتب على هذا التغيير من آثار .
٢- **المتغير التابع** : وهو المتغير الذى يتغير بتغير المتغير المستقل ، أو أنه العامل الذى يتبع العامل المستقل .
٣- **المتغيرات الدخيلة** : وهى المتغيرات الأخرى الغريبة أو الدخيلة التى قد تؤثر فى المتغير التابع والتى يهدف الباحث إلى التخلص منها عن طريق عزلها أو تثبيتها .

هذا ؛ ويقوم الباحث الماهر بمسح هذه العوامل والعمل على تثبيتها أو عزل أثرها حتى يمكن السيطرة الكاملة على المتغير المستقل بما يقوم به من متغيرات وقتما يريد بما يمكنه من ملاحظة ما يحدث من تغيرات تطرأ على المتغير التابع .

وتحتاج عملية تثبيت تلك المتغيرات أو العوامل الغريبة التى يسعى الباحث إلى أستبعاد تأثيرها على المتغير التابع فى الدراسة وإلى جهد ومهارة من الباحث بحيث يستطيع أن يصل إلى نتائج يثق بصحتها ، ولهذا لجأ الباحثون إلى استخدام أكثر من مجموعة واحدة تمثل الأولى المجموعة التجريبية والتى تتعرض لعوامل ومتغيرات لا تتعرض لها المجموعة الثانية - المجموعة الضابطة - مع اتفاق المجموعتين والمقارنة بين ما يحدث من تغيير فى السلوك يمكن أن ترجعها إلى العوامل أو المتغيرات التى تعرضت لها المجموعة التجريبية .

ومع أهمية وموضوعية الطرق التجريبية فى دراسة السلوك الإنسانى إلا أنه قد أخذ عليها بعض أوجه النقد منها أن ما يحدث من تصميم تجريبى داخل المعمل بهدف دراسة ظاهرة معينة يعد موقفاً مصطنعاً قد يأتى بنتائج أقل أصالة مما إذا درست فى المجال الطبيعى . هذا ؛ بالإضافة إلى أنه ليس من السهل أن يطلق أو يصمم الباحث نتائجه على الظاهرة الطبيعية فى حياتنا الاجتماعية ، كما أنه ليس من السهل دائماً استخدام المنهج التجريبى فى دراسة كل الظواهر التى يختص بها علم النفس الاجتماعى .

مع ذلك فإن الطرق التجريبية تعد من أفضل الطرق لدراسة السلوك الإنسانى ؛ حيث إن الباحث يستطيع أن يقوم بدراسة أية ظاهرة وأن يضع فروضه ثم يعد التصميم التجريبى للتحقق من صحة أو بطلان هذه الفروض. بل ويستطيع أيضاً أن يعيد هذه التجربة بالمواصفات نفسها مرة أخرى وقتما يريد . هذا فضلاً عن أن الباحث يستخدم فى رصده النتائج التجريبية تقديرات كمية وليست كيفية ذاتية بحيث يمكن لأى باحث أن يتأكد منها مرة أخرى .

ومما تقدم يمكن القول بان هناك عدداً من المناهج والطرق لدراسة ظواهر علم النفس الاجتماعى منها الاستبطان والملاحظة والطرق التجريبية، وكلها وسائل تمكن الباحث من التعرف على كافة صور السلوك الإنسانى

الاجتماعى وإن كان لكل منها جوانب ضعفه أو قوته فإن الباحث الماهر يستطيع الاستفادة منها ، كما أن عليه أن يدرك هذه الجوانب وأن يستفيد من جوانب القوة التى فى كل منها . بما يمكنه من الوصول إلى معلومات وبيانات عن الظاهرة التى يسعى للتعرف على جوانبها المختلفة .

الفصل الثالث

(الإنسان والاتجاهات الاجتماعية)

- تقديـــــــــــــــــم .
- تعـــريف الاتجاهـــــات .
- طبيعـــــة الاتجاهـــــات .
- وظائـــف الاتجاهـــــات .
- مؤسسات تكوين الاتجاهات .
- قيـــاس الاتجاهـــــات .

تقديم :

لكل منا موقف تجاه غيرنا من الناس . فقد نأخذ موقفاً أو اتجاهاً نحو " س " منهم معاد فيصبح سلوكنا من أفعال أو أقوال تغلب عليه سمة العداوة . ويتم ذلك عن طريق تقبل مثل هذا الإنسان أو رفضه . حيث يسعى الفرد بعد ذلك إلى البحث عن السبب الفعلى لهذا التقبل أو هذا الرفض وعادة ما يتجه الإنسان نحو التفسيرات المعقولة أو المتقدمة ويتبناها ثم يبحث بعد ذلك عن مبررات لوجهة النظر هذه .

وهذا لا يعنى أن هناك استجابة محددة أو فعل معين يقوم به الإنسان . إنما هو تكوين فرضى أو متغير وسيط ، ولبيان ذلك يمكن القول بأن كثيراً ما تتصف به استجابات الإنسان لنوع معين من المثيرات بشئ من الاتفاق والاتساق ؛ حيث إننا كثيراً ما تكون استجاباتنا نحو " س " من الناس معادية ولذلك نرفض زيارتهم أو الالتقاء بهم ، ومع ذلك قد نتعامل معهم بشكل قد يعطى تصوراً للإنسان بأنه سيلحق به الضرر فإذا كان هذا الإنسان على سبيل المثال تاجراً ، فإنه لا يكون لدينا مانع من بيعه سلعتنا ولكن بأسعار مرتفعة وهذا موقف يعطى صورة لشكل الاتجاه لمثل هذا الشخص فنقول أنه اتجاه معاد . ويمكن القول بأن هذه الاتجاهات المعادية هى استعداد أو سمة عند الإنسان تجعل استجاباته معادية مهما تباينت المثيرات واختلفت . ولما كانت الاستعدادات أو السمات من بين العوامل الذاتية التى ليس من السهل ملاحظتها فإننا فى هذه الحالة نقول إن الاتجاه متغير وسيط بين المثير واستجابة الإنسان . أما فيما يطلق عليه بأنه تكوين فرضى فلأنه يفترض وجوده وليس لدينا من الوسائل التى تمكننا من التحقق من وجوده .

تعريف الاتجاهات :

قدم كثير من علماء علم النفس الاجتماعى عدداً من التعريفات كلها تشير إلى أن الاتجاه يعد عاملاً أو متغيراً وسيطاً فرضياً ، ومن هذه

التعريفات تعريف ألبورت (٩٣٠) الاتجاه بأنه " حالة من التهيؤ والاستعداد العقلى العصبى توجه سلوك والاستجابات الفرد نحو الموضوعات والمواقف والأشياء ذات الارتباط بها ويتفق بوجاردس (١٩٣١) مع ": ألبورت " على اعتبار أن الاتجاه هو " الميل الذى ينحو بالسلوك نحو عوامل البيئة أو بعيداً عنها ويضفى عليها معايير إيجابية أو سلبية وذلك تبعاً لدرجة الجذب إليها أو النفور منها " . ومن بين هذه التعريفات أيضاً " كرتش وكرتشفيلد" (١٩٤٨) الذى يرى أن تعريف الاتجاه هو " عدد من العمليات الدافعية والانفعالية والادراكية والمعرفية التى اتسمت فى صورة شكل دائم وأصبحت تحدد استجابة للرد لجانب من جوانب بيئته".

هذا ؛ ويعرف " كامبل " (١٩٥٠) الاتجاه الاجتماعى بأنه ما يصدر من الفرد من استجابات ذات الاتساق أو الاتفاق للمواقف الاجتماعية ، كما يعتبره جرين (١٩٥٤) المفهوم الذى يعبر عن استجابات الفرد تجاه موضوع اجتماعى سواء أكان هذا تأييداً أو معارضة له .

ويتفق احمد زكى صالح (١٩٥٩) مع غيره من علماء النفس الذين تناولوا هذا التعريف بالتحديد ؛ حيث يرى أن الاتجاه هو استجابة عامة عند الفرد إزاء موضوع نفسى معين ؛ وهو بذلك يرى أن الاتجاه يتضمن حالة تأهب واستعداد تجعل الفرد يستجيب بشكل معين وبسرعة دون تفكير أو تردد إزاء موضوع معين ويضيف قائلاً " إن هذا الموضوع يرتبط عادة بشعور داخلى لدى الفرد " بمعنى أن ما يصدر من استجابات إزاء موضوع أو موقف الاتجاه هى استجابة تنتمى إلى الجانب الانفعالى فى الإنسان وإن اختلف التعبير عنها سواء بالقول أو بالفعل " .

وهناك العديد من التعاريف التى تتناول موضوع الاتجاه ؛ وهى تختلف باختلاف الخلفية الثقافية للإنسان ، وباختلاف المنحى العقائدى الذى يتبناه ، والإطار النظرى الذى ينتمى إليه .

وبناء على ما تقدم من تعاريف يمكن القول بأن الاتجاهات عبارة عن قوى داخلية دافعة للسلوك الإنسانى توجهه نحو القبول أو الرفض إزاء الموضوعات أو المواقف أو الأشياء ، كما أنها لا تخرج عن كونها استجابات إزاء هذه الأشياء ، ولا تظهر إلا إذا كان الموقف يحتمل أكثر من رأى ، وكلها تكاد تكون مقنعة . وهذا يعنى أن ما يحدث من اختلاف بين الأفراد فى الاتجاهات لا يعنى أن هذا الاتجاه صحيح والآخر اتجاه خاطئ إنما نستدل منه على خبرة هذا الإنسان تجاه موقف معين ومدى اعتقاده فيه .

ولعل ما تقدم – أيضاً – يؤكد على أهمية تحديد وتعريف الاتجاه تعريفاً إجرائياً بحيث يصبح من السهل قياسه ، وتقدير قوته ، ويمكن توضيح ذلك بالمثال الآتى إن ما يحدث اليوم من معارضة لظهور المرأة بغير حجاب أو خمار ، والدعوة إلى التزامها بالبيت كمربية لأبنائها . فإن هؤلاء الذين يقفون هذا الموقف ويتبنون هذا الرأى يستنكرون خروج المرأة للعمل فى المهن المختلفة، وأن ما يحدث من اتفاق واتساق فى استجابات الإنسان المختلفة تجاه موضوعات أو مواقف اجتماعية معينة هو ما يجعل التعريف الإجرائى تعريفاً يمكن الباحث من قياسه وتقديره . أى أنه كلما كان الإنسان متسقاً ومتفقاً مع نفسه فى معارضة بعض سلوك المرأة – على سبيل المثال – فإن اتجاهه يكون أكثر تحديداً ووضوحاً إزاء الموقف أو الموضوع أو الشئ.

والاتجاهات بالنسبة للإنسان متعددة ومتنوعة ؛ حيث إن للإنسان موقف تجاه كل ما يقع فى مجال إدراكه أو ما يمكن أن يكون موضوع اتجاه ، ولما كان الأفراد يختلفون فيما بينهم فى مستوى إدراكهم لما يحيط بهم فى مجالاتهم الحيوية ، فإنه يصبح للإنسان – كما ذكرنا – اتجاه نحو موضوع معين يخالف اتجاه غيره تماماً كما أنه يمكن القول بأنه من الصعب قياس اتجاهاً معيناً نحو مشكلة لا تقع فى المجال الإدراكى أو الحيوى للإنسان ، وهذا يؤدى إلى صعوبة قياس اتجاهات الناس والتعرف على الرأى العام .

هذا ؛ ويفيد التعرف على ما لدى الإنسان من اتجاهات نحو بيئته الاجتماعية فى التنبؤ بما يمكن أن يصدر عنه من سلوك فى المواقف المختلفة ، ولهذا دعا كثير من علماء النفس الاجتماعى إلى دراسة الاتجاهات وطبيعتها وما تقوم به من وظائف وكيفية تطورها وتغييرها وأساليب قياسها .

طبيعة الاتجاهات :

يشير علماء النفس إلى أنه توجد خمسة أبعاد رئيسية تحدد طبيعة الاتجاهات وهى : التطرف ، والمحتوى ، ووضوح المعالم ، والانعزال ، ثم القوة .

أ) التطرف :

ويقصد به درجة الاقتراب من الإيجابية أو بعده من الطرف السلبى أو العكس ، وبذلك يصبح التطرف فى اتجاه هو موقع الاتجـــاه بين طرفيـــن متقابلين هما التأييـــد التام والمعارضة المطلقة .

ب) المحتوى :

ويقصد به درجة وضوح الاتجاه ومعناه عند أصحابه . بمعنى أن موضوع الاتجاه لا يأخذ مفهوماً واحد عند جميع الناس ، وأن ما يقوم به الفرد من تسجيل استجاباته حين يثبت ذلك سواء كان مؤيداً أو معارضاً لموضوع ما ، هى استجابات ذاتية تعبر عن موضوع الاتجاه وليس تعبيراً عن الصورة الموضوعية للموضوع ذاته . وتفيد درجة الوضوح هذه عند قياس اتجاهات مجموعة من الناس نحو موضوع معين ولذلك ينبغى التأكد من هذه الدرجة تجاه الموضوع المراد قياسه .

جـ) وضوح المعالم:

ويقصد به أن هناك درجة من التفاوت فى وضوح الاتجاهات بمعنى أنه يوجد اتجاه عند " س " من الناس واضح المعالم بينما يوجد اتجاه آخر غير واضح المعالم . وقد يوضح ذلك موقف شاب لديه اتجاه واضح تجاه ما

يطلق من مسميات على الأحزاب الشيوعية . ولذلك فهو يعارضه معارضة شديدة وهو على دراية بأسباب هذه المعارضة على حين يوجد شاب آخر لديه اتجاه ايجابى نحو الاشتراكية ويؤيد بشدة هذا النظام ، وإن لم يكن لديه مفاهيم واضحة عن هذا النظام ، كما أنه ليس لديه القدرة على التمييز بين مختلف النظم الاشتراكية ، وكل ما يستطيع أن يقوله فى هذا الشأن أن الاشتراكية نظام يفيد المجتمع بصفة عامة .

د) الانعزال :

ويقصد به درجة ترابط الاتجاهات بعضها ببعض أو مقدار التكامل فيما بينها . ويعنى هذا أنه قد يكون اتجاه الفرد نحو موضوعٍ ما اتجاهاً انعزالياً . فلا يحدث تفاعل بينه وبين غيره من الاتجاهات ويمكن توضيح ذلك بالآتى : قد يكون لإنسان ما اتجاه نحو المعرفة اتجاهاً مترابطاً قوياً على حين يكون اتجاهه نحو أنواع المأكولات على سبيل المثال اتجاهاً انعزالياً بمعنى أن الإنسان لديه القدرة والرغبة على تغيير وتبديل نوع المأكولات .

هـ) القوة :

ويقصد بها مدى قوة الاتجاه وتأثيره بمعنى أنه يوجد من الاتجاهات ما يأخذ صفة الاستمرار مهما دعته الظروف فى الحياة إلى التغيير . وتتوقف قوة الاتجاهات على ما تكسبه للإنسان من قوة الشخصية وإعدادها إعداداً سليماً . كما أنه كلما قويت الاتجاهات لدى الإنسان أصبح من الصعب تغييره والعكس صحيح إذا كانت الاتجاهات ضعيفة فإنه من السهل أن تتغير وتتبدل أمام ما يحدث من تغير فى ظروف الحياة الصعبة ، ويوضح هذا اتجاه الأشخاص المتدينين إلى عدم الاعتراف بتنظيم النسل من منطلق أن الدين يحرم ذلك . وأن الرازق هو الله وأنه لديه من الأسباب القوية التى يعتقد اعتقاداً جازماً فى صحتها ، والأمر على عكس هذا بالنسبة للأشخاص الذين يختلف قوة تأثير هذا الاتجاه لديهم . فهم لا يلتزمون به تحت ظروف الحياة الصعبة . حيث ضغط الحياة وغلائها وارتفاع أسعار القوت اليومى .

وظائف الاتجاهات :

لعل ما تقدم من عرض لطبيعة الاتجاهات يوضح أن لها وظائف متعددة ومختلفة فى حياة الإنسان . حيث إنها تساعده على التعامل فى مختلف مجالات الحياة التى يعيش فيها ، وتمكنه من تنظيم العمليات الدافعية والانفعالية والادراكية والمعرفية . بما تجعله ينزع إلى تحقيق أهدافه فى الحياة مهما واجه فى سبيل تحقيقها من صعاب أو مشاكل .

كما تمكن الإنسان من اتخاذ القرارات فى المواقف المختلفة بشكل منسق ومتوافق دون أن يصحب اتخاذ هذه القرارات شئ من التردد أو الانتظار ، وللتفكير فى كل موقف من مواقف الحياة بصورة مستقلة عن غيرها من المواقف . بما يجعل معظم استجاباته لكل ما فى مجاله من موضوعات أو أشخاص أو أشياء تتصف بالثبات .

هذا ؛ وتسهم الاتجاهات إسهاماً كبيراً فى سلوك الإنسان وما يصدر من أقواله وأفعاله ، وتحدد مدى تفاعله مع غيره من الناس أو الجماعات التى يتعامل معها . ولهذا فإنها تصوغ وتبلور شكل العلاقة بينه وبين المجال الاجتماعى الذى يعيش فيه . بما يجعله موافقاً لما ينظم حياة مجتمعه من قيم ومعايير ومعتقدات وعادات أو مخالفاً لها .

وتكســب الاتجاهات الإنسان درجة من الحس تجاه بعض الظواهر والموضوعات أو الأشخاص فتحدد موقفاً إيجابياً أو سلبياً تجاه مســبب هذه الظواهر أو حيال هذه الموضوعات أو التعامل مع نوعية هذه الأشــخاص بما يجعله يدرك ويفكر بشكل معين تجاههم .

مؤسسات الاتجاهات :

إن ما تقدم من عرض لوظائف الاتجاهات يمكن أن يشير إلى أن هناك كثيراً من العوامل التى تسهم فى تكوين الاتجاهات النفسية الاجتماعية ، وفى

مقدمة هذه العوامل الجماعات وعلى رأسها الأسرة . حيث يتم عن طريقها عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية، وتعليم الرموز ، وتوضيح المفاهيم التى تسهم إسهاماً فعالاً فى تكوين وتجديد الاتجاهات .

هذا ؛ وللمدرسة كمؤسسة تربوية أثر كبير فى هذا التكوين ، وتعد الأجهزة الإعلامية من أكثر الأجهزة خطورة فى تكوين الاتجاهات ، حيث إنها تؤثر تأثيراً كبيراً فى أفكار الأفراد على اختلاف مستوياتهم العقلية . بما يعزز اتجاهات قد تتفق وقيم ومعايير المجتمع أو ما يعزز اتجاهات تتخذ موقفاً سلبياً من نوعية معينة من المعتقدات أو التقاليد والعادات ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع ، كما يتضح أيضاً أن للتفاعل الاجتماعى دوراً أساسياً فى إكساب الإنسان خبرات تساعده على تكوين الاتجاهات . كما أن لخبرة الفرد الذاتية فى المواقف الحياتية المختلفة التى يمر بها دور هام فى تكوينها .

الأسرة وتكوين الاتجاهات :

من المعلوم أن لأشكال السلطة الوالدية وما تتبعه الأسرة من أساليب تربوية دوراً هاماً فى إعداد شخصية أفرادها وتكوين اتجاهاتهم ، وذلك لأن استخدام الأسلوب الاستبدادى – على سبيل المثال – فى معاملة الأبناء وتربيتهم يكون نوعية معينة من الاتجاهات تختلف كل الاختلاف عن الاتجاهات التى تتكون عن طريق استخدام الأسلوب الديمقراطى أو الفوضوى . ذلك لأنه عادة ما يتكون لدى الأفراد الذين عوملوا باستخدام الأسلوب الاستبدادى اتجاهات معادية أو جامدة إلا أنه ينبغى أن يؤخذ هذا الرأى بدرجة من الحذر . حيث إنه قد تتاح لمن عومل بالأسلوب الاستبدادى فرصة الانفتاح على كثير من أنواع الثقافة والمعرفة والتوصل إلى حقائق لم يكن من السهل أن تصل إلى والديه ، وبذلك يمكن أن يكون لمثل هذا الفرد اتجاهات جديدة أكثر تحرراً .

المدرسة وتكوين الاتجاهات :

تستكمل المدرسة الحديثة الدور الذى قامت به الأسرة لتكوين الاتجاهات ، حيث كان ينظر إلى دور المدرسة إلى عهد ليس ببعيد على أنه مجرد تلقين التلاميذ المعلومات وإتاحة الفرصة أمامهم للمعرفة . ولذلك كان مجال اهتمام المدرسين بالمقررات الدراسية أكثر من اهتمامهم بالمنهج ، بالإضافة إلى البحث عن أفضل الوسائل التى تساعد على نقل المعلومات والمعارف إلى عقول التلاميذ . وهذا هو كل ما كانت تتبناه المدرسة التقليدية إلا أن دور المدرسة الحديثة أصبح يهتم بالطفل كإنسان له كثير من الجوانب التى تحتاج إلى الإشباع حيث أكد رجال التربية وعلم النفس على أهمية هذه العملية فى إشباع هذه الجوانب واهتموا بالمنهج ، لأنه يحتوى على المقررات الدراسية ومختلف أوجه النشاط التى ينبغى أن يمارسها التلاميذ بهدف إشباع كثير من الحاجات والدوافع . بما يمكنهم من تكوين وإعداد شخصياتهم بشكل سوى متكامل .

ومن بين مكونات شخصية الإنسان المتكاملة والسوية هو أن يكون لديه ميوله واتجاهاته وقيمه الخاصة به ، والتى تتفق وما يتبناه المجتمع من قيم وتقاليد وعادات . هذا ؛ فضلاً عن الاتجاهات التى تعد من أهم الدوافع التى تدفع وتوجه سلوك الإنسان .

ولذلك كان من بين أهداف المدرسة تكوين الاتجاهات لدى التلاميذ التى تتفق واتجاهات المجتمع وفهم فلسفة المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا يعنى أن من بين أهداف المدرسة تزويد التلاميذ بمجموعة من الاتجاهات التى تمكنهم من فهم ما يحيط بهم من أحداث وما ينبغى أن يصدر عنهم من سلوك يتفق مع مكونات شخصيته ومكونات شخصية المجتمع .

ومن المعروف أن تكوين الاتجاهات وتغييرها يتطلب جهداً كبيراً من المعنيين بالرغبة فى التغيير أو التكوين ، ومن بينهم المدرسة كمؤسسة يمكن أن تسهم إسهاماً كبيراً فى هذا الشأن وعلى سبيل المثال فإن ما يحدث اليوم من تطور سريع متلاحق فى مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية يتطلب من المدرسة أن تقوم بدور فى تكوين الاتجاهات التى تتفق ونوعية التغيير بما يحقق للإنسان قدراً من التكيف السليم فى مثل هذا المناخ.

بناء على هذا يمكن القول بأن تكوين الاتجاهات يتوقف على العوامل السابقة وخاصة الأسرة والمدرسة لأنهما تقومان بدور هام فى إكساب الأطفال شخصية معينة . حيث يتم عن طريق الآباء والأخوة والمدرسين والمربين كثير من عمليات التنشئة أو التطبيع الاجتماعى ، كالتعليم والتقليد والمحاكاة والاندماج والتوحد والتى عن طريقها يتم تنمية الميول وتكوين الاتجاهات ، هذا بالإضافة إلى أهمية دور كل من الأسرة والمدرسة فى نقل التراث والقيم والمعايير ... والثقافة بصفة عامة . بما تشمله من نظم اقتصادية واجتماعية وسياســية وأخلاقية وكلها أسس تعبر عن فلسفة المجتمع الذى يعيش فيــه الفرد وينتمى إليه ويؤثر فى تكوين اتجاهات أفراده .

قياس الاتجاهات :

إن ما ذكر من معلومات عن الاتجاهات يؤكد أنها ذات تأثير كبير على السلوك الإنسانى من حيث دفعه وتوجيهه . ما إن قياسها يسهل مهمة التنبؤ بالسلوك كما تلقى الضوء على صحة أو خطأ ما يقال فى الدراسات النظرية بهذا الشأن . كما أنه يقدم للمهتمين بدراسة السلوك الإنسانى العوامل التى تؤثر فى تكوين الاتجاه ونشأته ومدى استقراره وثباته أو مدى تغييره أو تعديله .

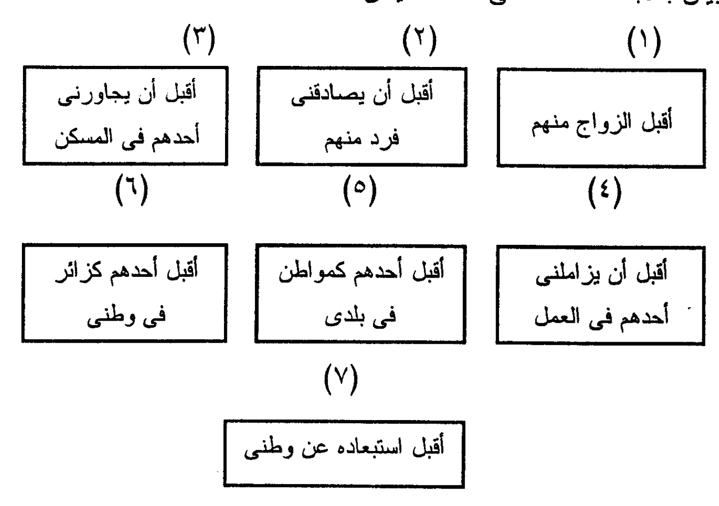
هذا ؛ ويهدف قياس الاتجاهات إلى التعرف على موقف الإنسان إزاء موضوع معين إن كان موافقاً أو معارضاً للموضوع موضع الاتجاه . بالإضافة إلى التعرف على مدى قوة الاتجاه أو مدى ثباته ، ولذلك يؤكد المشتغلون بهذا المجال على ضرورة توافر عدد من الشروط للوصول إلى نتائج طيبة بهذا الصدد . ومن هذه الشروط وضوح موضوع الاتجاه ، وبساطته ، وأهميته بالنسبة للأفراد المفحوصين . ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد بدأ كثير من علماء النفس الاهتمام بقياس الاتجاهات الاجتماعية ، خاصة بعد أن تم قياس الذكاء باختبار استانفورد بينيه . حيث فكروا فى كيفية قياس الظواهر الوجدانية ، ومن هؤلاء بوجاردس Bogardus الذى وضع مقياساً لقياس البعد الاجتماعى أو المسافة الاجتماعية ، وثرستون Thurstone الذى اقترح طريقة لقياس الاتجاهات نحو عدد من الموضوعات ، وليكرت Likert الذى ابتكر طريقة لقياس الاتجاهات نحو موضوعات شتى كالمرأة والزنوج والمحافظة ...، وجتمان Guhman الذى أعد مقياساً تجمعى متدرج ثم توالت بعد ذلك عدد من المحاولات الأخرى لقياس الاتجاهات النفسية والاجتماعية .

هذا ؛ وقد أعد المهتمون بهذا المجال فى العالم العربى وخاصة مصر – عدد من مقاييس الاتجاهات وفى مقدمتهم عماد الدين إسماعيل ورشدى فام (١٩٦٧) ، مقياس الاتجاهات الوالدية، وعنايات زكى (١٩٧٤) اتجاهات طلبة كليات إعداد المدرسين نحو مهنة التدريس ، وسيد صبحى (١٩٧٥) مقياس الاتجاهات الوالدية كما يدركها الأبناء ، ومحمد خالد الطحان(١٩٧٧) مقياس الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الأبناء بهدف قياس اتجاهات الإنسان الاجتماعية تجاه موضوعات ذات أهمية فى المجتمع العربى . وفيما يلى عرض لعدد من المقاييس الأجنبية التى تهدف إلى قياس الاتجاهات الاجتماعية :

مقياس بوجاردس :

تعد هذه المحاولة أولى المحاولات لقياس الاتجاهات ، وقد قام " بوجاردس " بإعداد هذا المقياس لقياس البعد الاجتماعى أو المسافة الاجتماعية Social distance بين الجماعات أو بين الشعوب أو بين ما يتصوره من وجود مسافات بين الإحساس أو الشعور بالعنصرية بالنسبة للقوميات المختلفة.

وكان يهدف هذا المقياس إلى التعرف على مدى تقبل الأمريكيين أو مدى نفورهم من القوميات الأخرى أو درجة التباعد الاجتماعى بين الأمريكيين من جانب وأفراد الشعوب الأخرى فى الجانب الآخر . ولذلك لجأ إلى إعداد وحدات أو عبارات تمثل بعض المواقف الحقيقية فى الحياة عن طريقها يستطيع الفرد أن يعبر عن مدى البعد الاجتماعى أو المسافة الاجتماعية لقياس مدى تسامح الفرد أو تعصبه أو تقبله أو نفوره وقربه أو بعده بالنسبة لجماعة عنصرية أو جنس أو شعب من الشعوب ، وفيما يلى بيان بالأبعاد المقاسة فى هذا المقياس :



وقد افترض " بوجاردس " أن الاستجابات السبعة متدرجة للتقبل الاجتماعى بمعنى أن العبارة الأولى تمثل أقصى درجات التقبل أو الاقتراب وأن العبارة السابعة تمثل أقصى درجات الرفض أو التباعد وأن ما بينهما من عبارات تمثل درجات متوسطة بين التقبل الاجتماعى أو التباعد الاجتماعى ، كما أن أى بعد بين أى عبارتين مساوٍ تماماً لأى بعد بين أى عبارتين متجاورتين . كما هى الحال فى الشكل السابق من (١) إلى (٧) .

وقد أخذ على هذا المقياس أنه إذا كانت استجابة المفحوص بنعم على العبارة رقم (٤) فإنه سيستجيب بنعم للعبارة رقم (٥) ورقم (٦) بمعنى أن من يوافق على وحدة من وحدات القياس فإنه قد يوافق على ما يليها من وحدات مما جعل أن وحدات هذا المقياس لا تتدرج تدرجاً متساوياً وأن العبارة رقم (٧) لا تمثل أقصى درجات التباعد أو الرفض . هذا ؛ بالإضافة إلى أن عبارات هذا المقياس لا تتضمن وحدات تستطيع أن تقيس الاتجاهات المتطرفة أو التى تتصف بالتعصب الشديد وكل ما يتميز به هذا المقياس أنه سهل التطبيق .

طريقة ثرستون :

نتيجة لما أخذ على مقياس " بوجاردس " من عدم تساوى المسافات بين الوحدات المقاسة فقد دعا " ثرستون " إلى ضرورة الاجتهاد عند وضع مقياس الاتجاهات إلى أن تكون المسافات بين العبارات متساوية أو موحدة بحيث تصبح لكل وحدة من الوحدات قيمة تعبر عن وضعها بالنسبة للمقياس ككل .

وقد قام " ثرستون " مع " تشيف " بوضع عدد من العبارات تعبر عن الموضوع المراد قياس اتجاه الأفراد نحوه ثم تعرض هذه العبارات على عدد من المحكمين والخبراء ممن لهم دراية وخبرة فى هذا المجال ، وكان يطلب

منهم تصنيف العبارات إلى إيجابية وسلبية ، بحيث توضع العبارة الأكثر إيجابية فى الخانة رقم (١) على حين توضع العبارة الأكثر سلبية فى الخانة رقم (١١) والعبارة المتوسطة فى الخانة رقم (٦) ثم استبعد العبارات التى وضعها المحكمين بأنها غامضة أو أنها لا تعبر عن الموضوع المراد قياسه والإبقاء على العبارات التى اجمعوا عليها بأنها يمكن أن تعكس اتجاه الأفراد نحو الموضوع المراد قياسه . وقد استفادوا من هذا التعرف على أنسب العبارات التى تبعد الواحدة عن الأخرى بالدرجة نفسها عن طريق حساب القيمة الوسيطة لترتيب المحكمين وتحسب قيمة المتوسط حسب عدد المحكمين وهى التى تعطى الوزن للعبارة .

كما لوحظ أن العبارات تكتب بصورة عشوائية . بمعنى أنها غير مترتبة ترتيباً تصاعدياً أو تنازلياً حسب أوزانها بحيث لا يتمكن المفحوص من الاستدلال على شدة محتواها من الترتيب أو وضعها بالنسبة لبقية العبارات . هذا ويشير الوزن العالى على الاتجاه السلبى والوزن المنخفض على الاتجاه الإيجابى .

وبذلك استطاع " ثرستون " إلى التوصل إلى مقياس يتكون من (٤٥) خمس وأربعين عبارة ذات أوزان مختلفة ، فيما يلى عدد من عبارات المقياس وأمام كل منها وزنها الخاص بها .

- ليس هناك ما يدعو إلى الحرب .... (٠٠,٢)
- الحرب صراع عديم النفع يؤدى إلى تحطيم النفوس... (١,٤)
- الحرف فناء للنفوس البشرية لا داعى له............. (٢,٤)
- إن ما نحصل عليه من مكاسب الحرب لا يساوى مآسيها(٣,٢)
- اعتقد أن الكنيسة أعظم المؤسسات التى تسهم فى النهوض بالمجتمع.................................... (٠,٥)
- أعطف على الكنيسة مع عدم اشتراكى فى نشاطها.... (١٤,٢)
- أعتقد أن الكنيسة تفقد أهميتها نتيجة لتقدم التربية فى

المدارس .... (٧,٢)
– أرى أن الكنيسة مؤسسة طفيلية فى المجتمع.......... (١٠,٦)

ويقوم المفحوص بوضع علامة (✓) أما العبارة التى تعبر عن رأيه ثم يتم تقدير كل عبارة على أساس وزنها المقدر بالأسلوب السابق الذكر .

وقد اخذ على هذه الطريقة مآخذ منها أنها تأخذ جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً لإعداد المقياس والشك فى الأوزان التى يقدمها المحكمون ، حيث قد تتأثر بتحيزات المحكمين ولذلك وصفت بأنها تفتقر إلى الموضوعية ؛ حيث أنه قد يختلف المحكمين عن تقدير المفحوصين الذين يمثلون الواقع .. مع هذا فقد استخدمت هذه الطريقة لقياس الاتجاهات نحو موضوعات مختلفة كالاتجاه نحو الحرب أو نحو الكنيسة أو نحو الزنوج .

طريقة ليكرت :

من منطلق ما أخذ على طريقة " ثرستون " من مآخذ فقد رأى أنه من الأفضل أن يعد مقياساً يقاس به اتجاهات الأفراد بحيث يمكن استخدامه عند تقدير اتجاهات الناس نحو موضوعات مختلفة.

ولهذا رأى أن يتكون المقياس من عدد من النقاط كأن يتألف من خمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشر نقطة ؛ بحيث تكون النقطة المتوسطة هى التى تعبر عن الرأى المحايد كالنقطة الثالثة بالنسبة للمقياس ذوى الخمس نقاط ، وفيما يلى بيان لنموذج المقياس بطريقة ليكرت .

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
أوافق جداً	أوافق	محايد	غير موافق	غير موافق على الإطلاق

بحيث توضع العبارة التى تعبر عن الاتجاه ثم توضع درجات الموافقة والمعارضة أمامها . ويطلب من المفحوص أن يعبر عن درجة اتجاهه بوضع علامة (✓) أما كل عبارة من عبارات المقياس .

وتشير الدرجات التى بين القوسين إلى تقدير درجة الاستجابة، وتمثل الدرجة المرتفعة الاتجاه الموجب على حين تمثل الدرجة المنخفضة الاتجاه السالب . ثم تجمع الدرجات التى حصل عليها المفحوص لتمثل الدرجة الكلية التى توضح اتجاهه بشكل عام .

هذا ؛ وتختار عبارات المقياس من عدد كبير من العبارات بحيث تكون واضحة المعنى وغير غامضة ويمكن التعرف على مدى صلاحية أى عبارة من عبارات المقياس عن طريق حساب معامل الارتباط بين استجابات المفحوصين من ناحية ودرجاتهم الكلية فى المقياس من ناحية أخرى . كما أنه يمكن أن تقارن بين درجات مجموعة من المفحوصين ومجموعة أخرى من حيث اتجاهاتهم عن طريق متوسطات الدرجات الاجتماعية التى يحصل عليها أفراد كل من المجموعتين فى مقياس واحد .

وقد تميزت طريقة " ليكرت " بأنها لا تحتاج إلى المحكمين كما فى طريقة " ثرستون " وأنها تسمح باختيار عدد أكبر من العبارات ، وأن العبارات فى مقياس ليكرت بطريقته تستطيع أن تمد الباحث ببيانات أكثر من العبارات التى فى مقياس " ثرستون " بطريقته كما أن المقياس الذى يعد بطريقة ليكرت يستطيع أن يوضح مدى شدة اتجاه المفحوص بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس ، هذا بالإضافة إلى أن تراوح درجات الموافقة والمعارضة يزيد من درجة ثباته .

هذا ؛ وينبغى أن نعرف أن الدرجات التى نحصل عليها من طريق أداء المفحوصين على مقاييس الاتجاهات لا تعطى علماً فى حد ذاتها ، إنما يجب أن تفسر نتائج قياس الاتجاهات ، وهذا بدوره يتطلب من الباحث دراية بالأصول المنهجية للقياس النفسي وأن يكون على علم بأصول وكيفية تفسير البيانات الإحصائية . هذا فضلاً عن معرفته لكثير من حقائق السلوك التى توصلت إليها الدراسات فى مجال علم النفس الاجتماعى .



الفصل الرابع

(التنشئة والسلوك الاجتماعى)

- تقديـــــــــم .
- مفهــــوم التنشـــئة الاجتماعية .
- الوراثـــة والتنشـــئة الاجتماعية .
- البيئـــة والتنشـــئة الاجتماعية .
- الوراثة والبيئة .
- التنشئة الاجتماعية .
- الحضـــارة والتنشـــئة الاجتماعية .
- الثقافـــة والتنشـــئة الاجتماعية.
- الأســـرة والتنشـــئة الاجتمـاعــية.
- المدرســـة والتنشـــئة الاجتماعية.
- جماعة الرفاق والتنشـــئة الاجتماعية.

تقديم :

إننا إذا لاحظنا ما يصدر عن سلوك الأفراد فى البيئة الواحدة، لأدهشنا مدى التشابه بين أنماط السلوك الذى يصدر عنهم . ولا غرو فهم نشأوا فى بيئة واحدة واكتسبوا من منبع ثقافى واحد واجتازوا مراحل واحدة من حيث التعلم والاكتساب . مما يجعلهم على درجة عالية من التشابه فى كثير من الصفات . وإذا ما وجد اختلاف فى درجات التشابه بين مجموعة واحدة من الأفراد تعيش فى بيئة معينة ، فإن ذلك راجع إلى ما يتمتع به الفرد من تعدد النشاط والحركة ومستوى الحيوية ، لأن ذلك من شأنه أن يجعل معدل اكتسابه لمختلف أنماط الثقافة والخبرة الموجودة فى البيئة أكثر من معدل نشاط فرد ليس لديه من الإمكانيات والطاقات والقدرات ما يمكنه من الوصول إلى مستوى غيره من الأفراد .

وكثيراً ما نلاحظ أيضاً أن مع نمو الأفراد وتقدم الزمن بهم ، أنهم يتباينون ويختلفون فيما يصدر عنهم من الأنماط السلوكية . ويرجع هذا إلى نوعية الثقافة التى اكتسبتها هذه المجموعة من الأفراد ، أو إلى درجة الانتماء للثقافة التى اكتسبوا منها . ولهذا نجد أن أفراد البيئة الواحدة قد تشابهوا فيما يصدر عنهم من أنماط السلوك ، على حين نجد أن بعض الأفراد قد اختلفوا عن غيرهم فيما يصدر عنهم من هذا السلوك ، وذلك لشدة انتمائهم لثقافة دون غيرها . وإعجابهم بحضارات متنوعة .

كما أنه يمكن القول بأن التشابه فى كثير من أنماط السلوك التى تصدر عن الجماعات إلى ما نطلق عليه عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى . وهى العملية التى تسهم فى تشكيل وتعديل السلوك الإنسانى . وهذا ما دعا كل من أناستازى وفولى Anastasi & Folley إلى القول بأن التكوين النفسى لا يتحدد بفعل ما يرثه الفرد من عنصر أو جنس أو بنية جسمانية ، إنما يتحدد بفعل المجموعة الحضارية التى نشأ فيها وما اكتسبه من تقاليد وعادات واتجاهات وقيم ، وبفعل ما تلزمه هذه المجموعة من تبنى

وجهات نظر معينة بالإضافة إلى ما يبذل من جهد لتنمية قدراته وإمكاناته .

ويوضح هذا قصة إنسان الغابة Feral Man التى تشير إلى أن الإنسان لا يكتسب صفة الإنسانية من خلال خصائصه البيولوجية وحدها . بل من خلال ما يكتسبه من أنماط الثقافة وأنماط السلوك السائد فى البيئة التى يعيش فيها . وقد عثر على هذا الإنسان – إنسان الغابة – فى غابة " افيرون " بفرنسا ١٧٩٨ ، وقدر عمره بحوالى ١٢ عاماً وكان يعيش على أساس بيولوجى فقط وليس لديه من السمات الاجتماعية ما يميزه عن غيره من حيوانات الغابة .

وقد وضع له " ايتارد Itard " برنامج تدريبى لتنمية الجوانب الحسية والاجتماعية لدى هذا الطفل . بالإضافة إلى تنمية الجوانب الحسية لديه ، وظلت رعايته إلى أن وصل فى تعليمه إلى تعلم الكلام وقراءة بعض الكلمات، وضبط بعض دوافعه . إلا أنه لم يستطع أن يمكنه من ضبط النفس، وإحداث التوافق الاجتماعى والضبط الانفعالى . حيث اتضح أن الطفل كان ضعيف العقل .

هذا ؛ ويشير تاريخ علم النفس الاجتماعى إلى قصة الطفلتين الذئبتين اللتين كانتا تعيشا فى أحد كهوف الهند ، والتى وجدتا تسيران على أربع ، وتأكلان ما يأكله الحيوانات ، وتلعقان الطعام بالأسلوب الذى تستخدمه حيوانات الغابة فى تناولها للطعام ، ولا تصدر عنها إلا أصوات لا دلالة لها ولا معنى . وقد تم تدريبهما على بعض أنماط السلوك الإنسانى ، وأحرزتا تقدماً ملحوظاً فى عملية تناول الطعام ، وارتداء الملابس ، وفهم بعض كلمات اللغة البسيطة ، وقدراً من التعاطف مع الأطفال .

ولعل هاتان القصتان اللتان سردهما تاريخ علم النفس تشيران إلى أن الإنسان يولد ولديه من الإمكانيات التى تمكنه من اكتساب مختلف الأنماط

السلوكية ، وتقبل الجانب الحضارى والثقافى الذى بهما وعن طريقهما يستطيع أن يكون الفرد إنساناً اجتماعياً يحدث التوافق والتكيف مع البيئة التى يعيش فيها ، ومع الأفراد الذين ينتمى إليهم ويتم ذلك من خلال المجتمع عن طريق مؤسساته المختلفة التى تقوم باكتساب الأفراد أنماط من السلوك دون غيرها ، وتدعيم نمط دون الآخر ، والقضاء على أنماط أخرى من السلوك لا تتفق وطبيعة البيئة الاجتماعية التى نشأوا فيها . وهى ما نطلق عليه عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى التى تمكن الإنسان من إحداث التكيف فى حياته ، والوصول به إلى مستوى أفضل من الصحة النفسية .

مفهوم التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى :

تعددت الآراء حول مفهوم التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى وحاول كثير من علماء النفس والاجتماع تحديد هذا المفهوم ، فعرفها شريف وشريف Sherif & Sherif (١٩٥٦) بأنها " عملية تحويل الكائن الحى البيولوجى إلى كائن اجتماعى ، بما يجعله ينمو اجتماعياً داخل الجماعة " .

واعتبرهما " نيوكمب New Comb " (١٩٥٩) " عملية تعلم اجتماعى Social Learning يتم عن طريقها تعلم الإنسان للأدوار الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعى بينه وبين أفراد المجتمع حيث يتم عن طريق هذا التفاعل اكتساب المعايير الاجتماعية التى تحدد هذه الأدوار . بالإضافة إلى اكتسابه للاتجاهات التى تمكنه من الإتيان بالسلوك الذى يحدث التوافق بينه وبين مجتمعه " .

كما يراها " حامد زهران " (١٩٧٤) أنها " عملية تعلم وتعليم وتربية، وأنها تقوم على التفاعل ، وتهدف إلى اكتساب الفرد - طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً - سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة

تمكنه من مسايرة جماعية ، والتوافق الاجتماعى معها ، وتكسبه الطابع الاجتماعى ، وتيسر له الاندماج فى الحياة الاجتماعية " .

ويرى سعد جلال (١٩٧٤) أن التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى هو " تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة فى هذه الثقافة " .

على حـــين يعتبرهـــا كل من" أحمد ســـلامة وعبد السلام عبد الغفار" (١٩٧٦) " العملية التى يتحول الفرد من خلالها من طفل يعتمد على غيره متمركزاً حول ذاته ، ولا يهدف فى حياته إلا إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية، وطفل لا يستطيع إرجاء إشباع حاجاته حين يشعر بالدافع إلى الإشباع ، إلى فرد ناضج يدرك معنى المسئولية وكيف يتحملها ، ويعرف معنى الفردية والاستقلالية ويستطيع أن يضبط انفعالاته ، ويتحكم فى إشباع حاجاته ، فيشبع ما يسمح له المجتمع بإشباعه ، ويرجئ إشباع تلك الحاجات التى يقضى الموقف إشباعها .. ويدرك قيم المجتمع ومعايير على المستوى المعرفى الانفعالى فيلتزم بها ويستطيع أن يشبع العلاقات الاجتماعية مع غيره.

وبناء على ما تقدم من عرض لهذه المفاهيم التى توضح مفهوم التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى فإنه يمكن القول بأنه مع تعدد هذه الآراء وما يضيفه العلماء من أبعاد جديدة توضح المفهوم ، فإنها تجمع على أن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يمكن عن طريقها أن يكتسب الإنسان خلال مراحل عمره المختلفة أنماط الثقافة والحضارة بما فيها من عادات وتقاليد واتجاهـــات وقيم ، وتحوله من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى قادر على إحداث التوافق والتكيف مع بيئته وأفراد مجتمعه ، والقيام بمختلف أدواره الاجتماعية المتعددة التى تسند إليه بقدر معقول من النجاح وعن طريقها يستطيع الإنسان أن ينظم حياته ، وينسق بين أهدافه وأهداف الأفراد

فى مجتمعه ، بما يجعله قادراً على التقليل من حدة التمركز حول الذات ، وإرجاء إشباع بعض حاجاته التى تتعارض مع إشباع أفراد مجتمعه لحين ما تتوافر الظروف والإمكانيات التى تمكنه من الإشباع الذى لا يلحق الضرر بالآخرين من أفراد مجتمعه . وبذلك تهيئ عملية التنشئة الاجتماعية للإنسان كثيراً من عمليات البناء والاكتساب والتنسيق والتنظيم المناخى الذى يمكنه من النمو الاجتماعى السليم .

عوامل التنشئة الاجتماعية :

من يتناول بالدراسة والبحث موضوع التنشئة الاجتماعية يجد أن هناك عدداً من العوامل التى تسهم بقدر ما فى عملية التنشئة الاجتماعية وتؤثر فى السلوك الإنسانى ، وفى مقدمة هذه العوامل الوراثة والبيئة وغيرهما من العوامل كالنضج والتعلم – التى تسهم بشكل أو بآخر فى عملية تنميط السلوك الإنسانى . وفيما يلى سنتحدث عن كل من الوراثة والبيئة .

الوراثة : Hereditary

يشير تاريخ علم النفس إلى أن عامل الوراثة كان يسيطر على تفكير عدد من علماء النفس . حيث كانوا يرجعون السلوك الإنسانى إلى هذا العامل. مما جعلهم يرون أنه إذا ظهر الإنسان تفوقاً ملحوظاً فى قدرة من القدرات ، أو إمكانية من الإمكانيات ، فإنهم يردون ذلك إلى عامل الوراثة وحده دون اعتبار لغيره من المتغيرات التى تحيط بالإنسان .

وفى مقدمة الذين أكدوا على أهمية عامل الوراثة فى السلوك الإنسانى " وليام مكدوجل " الذى أشار إلى أهمية الدور الذى تقوم به الوراثة فى تحديد الشكل الذى سيكون عليه السلوك الإنسانى . ذلك لأنه أرجع السلوك إلى عدد من الغرائز التى ولد الإنسان مزوداً بها ، وبلغ إمعان " مكدوجل " فى هذا الرأى إلى الحد الذى جعله ينادى بوراثة السلوك المتعلم . عندما أشار إلى أن الكائن الحى يرث ما تعلمه الأجيال السابقة .

ولبيان ماذا نعنى بالوراثة فإنه يمكن القول بأن الوراثة هى مجموعة من العوامل التى ولد وزود بها الإنسان منذ بداية حياته ، أى عند لحظة الإخصاب ، ولذلك يتوقف معدل النمو بشكل عام على وراثة خصائص النوع.

هذا ؛ وتنتقل الوراثة من الإنسان الفرد من والديه وأجداده ، وتتحدد السمات الوراثية عن طريق المورثات (الجينات) التى تحملها الصبغات (الكروموزات) . وتتأثر المورثات بعدد من العوامل فى مقدمتها تفاعلها مع بعض ، ومع غيرها من المواد التى تصل إليها من البيئة الخارجية التى تحيا فيها الخلية ، وتفاعلها مع الناتج الكيميائى للمورثات الأخرى ، وكلها عوامل يمكن أن تؤدى إلى تغير فى إحدى المورثات . مما يحدث صفات وراثية جديدة .

ولهذا كثيراً ما نلاحظ أن بعض الأبناء يختلفون فى سماتهم عن والديهما اختلافاً بيناً ، وذلك بسبب هذه الانماط من التفاعل، وبسبب وجود سمة وراثية منتحية وسيادة سمة أخرى عليها ، وهذا ما يجعلنا نفسر سبب اختلاف سمات بعض الأبناء عن والديهما .

البيئة : Environment

يبين تاريخ علم النفس - أيضاً - أنه قد أتت فترات من الزمن فقد عامل الوراثة الأهمية التى بلغها ، ونالت البيئة الأهمية القصوى فى موضوع تحديد مصدر السلوك الإنسانى . وفى مقدمة من نادوا بأهمية البيئة فى تشكيل السلوك الإنسانى " جون واطسن " الذى نادى بأن البيئة لها تأثير كبير على تشكيل كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك ، إلى حد ثقته بأنه إذا ما تولى تربية طفل وتنشئته فإنه يستطيع أن يجعل منه كما يشاء ؛ عالماً أو مهندساً أو طبيباً أو قاتلاً . ولذلك اعتبر أصحاب هذه النظرة أن السلوك المرضى سلوك متعلم . وبلغ حد الثقة بعامل البيئة عملية فى تشكيل سلوك

الإنسان إلى القول بإمكانية زيادة معدل ذكاء الإنسان عن طريق تهيئة البيئة التى تحيط به ، وعن طريق توفير عدد من المثيرات التى تمكنه من نمو ما لديه من المستوى العقلى إلى أفضل ما هو عليه .

ولبيان ماذا نعنى بالبيئة فإنه يمكن القول بان البيئة هى مجموعة العوامل الخارجية التى لا ترتبط بالمورثات ، والتى تؤثر فى تشكيل سلوك الوليد منذ بداية تكوينه فى رحم الأم . فبيئة الرحم قد تتأثر بعدد من المتغيرات التى يتأثر بها الجنين وهو مازال فى رحم أمه ، ومن هذه المتغيرات درجة الحرارة والضغط ونوع التغذية .. وغيرها من المتغيرات الكيميائية أو الإصابة بالبكتريا أو الإشعاعات التى تؤثر فى شكل الجنين . كما تعنى البيئة كل المتغيرات المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية التى تحيط بالإنسان .

هذا ؛ وتسهم البيئة إسهاماً بالغاً فى تشكيل السلوك الإنسانى ، ونمطه ، وتحديد أسلوبه فى الحياة ، وكيفية معالجة ومواجهة مواقفها. وهى التى تحول الطفل من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى ، يتميز بنمط من الشخصية تجعله قادراً على النمو الاجتماعى من عدمه . حيث يكتسب عدداً من السمات من خلال عملية التفاعل مع أفراد المجتمع و عملية التنشئة الاجتماعية .

ولهذا يكون للأسرة بجميع أفرادها ، والمدرسة بما فيها ومن فيها ، ومجموعة الأقران على اختلاف مستوياتهم وأنماطهم ، والجانب الثقافى والحضارى أثره البالغ فى عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى . حيث يتم عن طريق هذه المتغيرات إكساب الإنسان كثيراً من العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم التى يتبناها المجتمع الذى يعيش فيه وينتمى إليه .

الوراثة والبيئة :

ويذكر تاريخ علم النفس مدى مبالغة أنصار عامل الوراثة الذين ينادون بأهمية هذا العامل فى تحديد وتشكيل السلوك الإنسانى والتقليل من أثر عامل البيئة فى هذا الأمر . وفى الوقت نفسه تشير إلى مبالغة أنصار عامل البيئة الذين يؤكدون على أهمية دور هذا العامل فى تنمية الشخصية وتحديد إطارها وأنماط سلوكها ، والتقليل من اثر عامل الوراثة فى هذا المجال . ومع تمسك أصحاب كل وجهة نظر بقولهم ظهر اتجاه ثالث ينادى بأن المبالغة فى أهمية أحد العاملين دون الآخر فى تشكيل السلوك يبتعد عن الصواب . ولذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه - الثالث - يرون أهمية العاملين - الوراثة والبيئة - معاً. وبدأوا ينادون باستحالة تشكيل سلوك الإنسان بمعزل عن الوراثة والبيئة. حيث اعتبروا أن شخصية الإنسان هى دالة للعاملين معاً . وانتهى بهم الأمر إلى وضع المعادلة الآتية :

الشخصية = د. (الوراثة والبيئة)

الحضارة والتنشئة الاجتماعية :

لقد اتضح مما تقدم أن عملية التنشئة الاجتماعية تسهم فى تشكيل السلوك الإنسانى . وهذا ما يدعونا إلى التعرف على الجوانب التى تؤثر فى كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك ، ومن هذه الجوانب ، الجانب الحضارى لما له من تأثير فى عملية التنشئة الاجتماعية . ويمكن أن يتضح هذا التأثير عن طريق عرض الدراسات التى قامت بها " مارجريت ميد " فى غينيا الجديدة New Guines (١٩٣٥) ، حيث قامت بعمل دراسة أنثروبولوجية لعدد من الأقوام البدائية فى هذه المنطقة . وقد أظهرت هذه الدراسات أن الجانب الحضارى له تأثير فى التنشئة الاجتماعية . ذلك عندما اتضح أن الإنسان الذى يعيش فى هذه المنطقة قد تأثر سلوكه بالنمط الحضارى الموجود فيها . حيث لوحظ أن الدراسات التى قد قامت بها انصب اهتمامها على دراسة مدى تأثير الجانب الحضارى على الأدوار الجنسية لأفراد هذه المنطقة قد أسفرت عن أن للجانب الحضارى تأثيراً كبيراً على

سلوك الذكورة والأنوثة .

وفيما يلى عرض للنتائج التى توصلت إليها " مارجريت ميد " عند دراستها لمجموعة الارابش Arapesh وجدت أن سلوك كل من الذكور والإناث يتصف بعدد من السمات منها أن سلوك الرجال يتسم بالأنوثة من وجهة نظر الحضارة الغربية - وأنهم يميلون إلى المسالمة والتعاون ، ولا يسعون للتنافس ، وكل منهم يستجيب لحاجات الآخر . كما اتضح أيضاً أن الرجل يتزوج ممن تماثله فى الصفات . حيث يتزوج الرجل اللطيف المتجاوب بالمرأة اللطيفة المتجاوبة ، وأنهم لا يتصفون بالسيطرة والعدوان . وأن الدافع الجنسى يسيطر عليهم .

جماعة المندوجمور : Mundugmor

كانت هذه الجماعة على خلاف مجموعة الأرابش . حيث اتضح أن الرجال والنساء - من وجهة نظر الحضارة الغربية - يميلون إلى السلوك العدوانى ، وليس فى سلوكهم سمات اللطف واللين . كما لوحظ أيضاً أن الرجل العدوانى يقبل الزواج من امرأة تماثله فى الصفات فهو يتزوج من امرأة تحب العنف والعدوان ، وأن ما نطلق عليه الملاحقة بين الجنسين تسبق الزواج تتسم هى الأخرى بالعدوان والعنف من جانب كل منهم .

جماعة التشامبولى : Tahambuli

تشير نتائج الدراسة التى قامت بها " مارجريت ميد " إلى أن هذه الجماعة كانت على خلاف مع كل من جماعتى " الأرابش " و " المندوجمور "؛ حيث اتضح أن الرجال والنساء فى هذه المجموعة يتبادلان الأدوار الاجتماعية ، فنجد أن الرجال يتصفون بسمات الأنوثة ، وقلة الإحساس بالمسئولية ، وزيادة الإتكالية والجانب الانفعالى . بينما وجد أن النساء يملن إلى السيطرة وحب العمل ، كما تذكر " ميد " أن تناول الأدوار يتم حال الرقص ، فيلبس الرجال أقنعة النساء ، ويلبس النساء أقنعة الرجال ،

ويقوم كل منهما بدور الآخر ، ويتبين من الرقص أن الرجل هو السيد ، وهو المالك لكل شئ ، على حين أن السيد الحقيقى هو المرأة ، وأن المالك الفعلى للأرض النساء ، ولذلك لوحظ أن النساء حين يقمن بالرقص يبدين السلبية والانعزالية .

جماعة لنجسنه : Langasana

تعتبر هذه الجماعة من القبائل التى تعيش فى جبال لنجسنه ، وهى قبائل بدائية معظم أفرادها على الفطرة .حيث شاهد الباحث[١] النساء لا يسترن إلا عوراتهن بقليل من القماش البدائى ، وقد نزلن من الجبل إلى الوادى ، وذلك للقيام بالمهام الأساسية فى حياتهم ؛ وهى زراعة الأرض ، ورعاية البهائم ، ورعى الغنم ، وجلب المياه من الينابيع . بينما يظل الرجال على قمم الجبال كما ولدتهم أمهاتهم يشربون " المريثه " [٢] .

وهذا يشير إلى أن النساء فى هذه القبائل يقمن بدور الرجال فيما يمارسن من أعمال الزراعة والرعى ، وجلب المياه . وأن الرجال يقومون بدور النساء . حيث يجلسون على قمم الجبال دون ممارسة أى نوع من أنواع العمل . وهذا يعنى أنهم لا يعتمدون على أنفسهم ، وأنهم اتكاليون ، وأن النساء على عكس هذا الأمر .

وغالبية أفراد هذه القبائل لا يدينون بأى دين سماوى ، وأنهم يقدسون القمر . حيث إنهم يحتفلون بظهوره طوال الليل ، ويمارس النساء الرقص مع الرجال فى الليالى القمرية ، وأن المتزوجين يشعرون بالفخر عندما تطلب زوجاتهم وبناتهم للرقص مع الرجال.

---

(١) عند دراسته المسحية ضمن فريق بحث تابع لمعهد تعليم اللغة لغير الناطقين بها عام ١٩٧٧.

(٢) نوع من الشراب كالبوظى فى مصر .

وقد لوحظ أن من ينزل من الرجال إلى الوادى يبدأ فى ممارسة أعمال الزراعة مساعدة منهم للنساء ، وخاصة عندما يتقدم شاب لخطبة إحدى الفتيات ، فإنهم يفرضون على الخطيب أن يعمل لأهل العروس لمدة ثمانى سنوات ، وعليه الالتزام بخدمة جميع أهلها . وإذا حدث أثناء هذه الفترة ما يعكر صفو أحدهم أدى هذا إلى عدم الاعتراف به كخطيب للفتاة .

ومما تقدم يبدو واضحاً أن للحضارة أثراً على السلوك الإنسانى ؛ حيث يتحدد من خلالها سلوك الذكور والإناث والأدوار التى يمكن أن يقوم بها كل من الذكور والإناث ، وأن هذا الأثر الذى يشكل السلوك الإنسانى هو عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى .

الثقافة والتنشئة الاجتماعية :

ويقصد بالثقافة كل ما من شانه أن يضيف معلومة جديدة تسهم فى نمو الإنسان وتقدمه ، فالسلوك السليم والأخلاق المهذبة ، والفن الرفيع ، والشعر ، والموسيقى ، والفلسفة ، والدين كلها مجالات تشملها الثقافة . وكذلك الأشياء الصناعية البسيطة كما تنسب الخرفات الثقافية مثل الأعمال الميتافيزيقية أو النظريات العلمية المجردة . بالإضافة إلى تقاليد وعادات ومعتقدات الأفراد فى مجتمعهم .

تؤثر الثقافة السائدة فى المجتمع تأثيراً بالغاً فى تحديد نمط شخصية الفرد ؛ حيث تسهم بقدر كبير فى تشكيل سلوك الإنسان الذى ينتمى إلــى هذه الثقافــة . وهذا ما جعل لينتون Linton (١٩٦١) يرى أن للثقافة أثرها الكبير على الكثير من أنماط السلوك التى تصدر عن الإنسان ، وما يعتقده من معتقدات ، وما يكتسبه من اتجاهات . بالإضافة إلى ما يكتسبه من أنماط التفكير وكلها أمور تساعد الإنسان على حسن التوافق مع أفراد مجتمعه الذين ينتمون إلى مثل هذا النمط الثقافى .

ولذلك كان من الضرورى للإنسان أن يكتسب كثيراً من العوامل الثقافية التى يتميز بها المجتمع الذى يعيش فيه ، بما يجعله قادراً على الإتيان بمختلف أنماط السلوك التى تتفق ونمط هذه الثقافة ، ويتم ذلك عن طريق تفاعله فى مختلف المواقف الاجتماعية التى يعيشها مع غيره من أفراد مجتمعه . وينتج عن هذا التفاعل ما نطلق عليه السلوك الاجتماعى بالنسبة للفـرد والجماعة . وهو السلوك الذى دفع عملية التنشئة الاجتماعية إلى إكسابه لأفراد المجتمع جميعاً .

ولما كانت للثقافة هذه الأهمية فى تشكيل سلوك الإنسان عن طريق التنشئة الاجتماعية ، فإنه لابد من بيان هذا المفهوم والوقوف على عناصرها، حتى يمكن أن نحدد مختلف العناصر الثقافية التى يجب أن نعمل على توافرها فى المناخ الذى يعيش فيه الفرد . بما يساعد على اكتسابها بسهولة ويسر .

حرص كثير من العلماء المهتمين بموضوع الثقافة على محاولة تحديد مفهوم الثقافة ؛ لهذا تعددت وتباينت المفاهيم التى عرضها هؤلاء المهتمين ؛ ومن هذه المفاهيم مفهوم كروبير Kroeber الذى يرى " أن الثقافة هى ما يتعلم ، وينقل من نشاط حركى ، وعادات ، وتكنولوجيا ، وأفكار ، وقيم وما ينشأ عنها من سلوك . وفى هذا إشارة إلى أن مفهوم الثقافة ليس مفهوماً يمكن وضعه فى حدود معينة . بل هو مفهوم شامل لكل المثيرات التى تحيط بالإنسان ، والتى تؤثر على نمط السلوك الصادر منه والذى يشترك فيه معظم أفراد المجتمع . حيث يتضمن أيضاً مختلف أنماط العلاقات بين الأفراد، وكذلك من العلاقات بين الأفراد وكل من العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم التى يتمسك بها معظم أفراد المجتمع . هذا فضلاً عن مختلف أنواع المشاعر والأحاسيس التى يشعر بها الجميع .

كما يدخل ضمن مفهوم الثقافة ما تنشره المؤسسات الدينية -

المسجد والكنيسة – وكذلك نظم الدولة ، والمعتقدات الدينية ، وما تتضمنه من الصواب والخطأ ، وكل ما يتعرض له الإنسان فى المجتمع من مثيرات خلال المواقف الحياتية التى يمر بها أو يعيشها.

ولمختلف المتغيرات الثقافية تأثيرها الكبير على نمط الشخصية ؛ حيث تحدد ما يكون عليه الفرد من أنماط سلوكية بعد أن يكتسب كثيراً من هذه المواقف الثقافية . ومن المعلوم أن حياة الأفراد مليئة بعديد من المتغيرات الثقافية التى يعيش فى وسطها ويشعر بها فى مختلف مواقف حياته ، كموقف تلقى العلم والمعرفة داخل الفصول الدراسية وخارجها ، أو موقف الفرد أثناء ممارسة العبادة فى المسجد أو الكنيسة ، أو موقف التساؤل عن أمر من أمور الحياة .. وكلها مواقف تبرز فيها متغيرات ثقافية يتم عن طريقها تنشئة أو تطبيع الإنسان اجتماعياً .

هذا ؛ ويكتسب الإنسان ثقافة مجتمعه ويتأثر بها فى كل ما يصدر عنه من سلوك عن طريق الجماعات التى يعيش فيها وينتمى إليها ، ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ؛ وفى مقدمة هذه الجماعات الأسرة والمدرسة وجماعة الأقران. وفيما يلى سنتحدث عن دور كل منها فى عملية التنشئة الاجتماعية.

الأسرة والتنشئة الاجتماعية :

تعد الأسرة الجماعة الأولى التى يكتسب فيها الأطفال ثقافة مجتمعهم وتمكنهم من حسن التعامل مع غيرهم من أفراد المجتمع، وإتاحة الفرصة أمامهم لممارسة مختلف أدوار حياتهم بسهولة ويسر . حيث يتم عن طريقها اكتساب العادات والتقاليد والقيم التى يتميز بها المجتمع الذى يعيشون فيه عن غيره من المجتمعات الأخرى . بالإضافة إلى اكتساب مختلف الأفكار والآراء ، وما تتمسك بها من معتقدات ، وهى فى هذه كله تقوم بعملية الانتقاء والاختيار لما تكسبه لأطفالها ، ذلك لأنها تهدف إلى حسن تنشئة الأبناء على افضل ما يكون عليه السلوك الإنسانى .

ومن المعلوم أن الأسرة تحمل ثقافة المجتمع الذى تعيش فيه وتنتمى إليه ، وتسعى عن طريق التربية إلى تنشئة الأبناء وفق المعايير الاجتماعية السائدة فيها . بما يجعلهم قادرين على إدراك مختلف المعايير الاجتماعية ، وما تتضمنه من اتجاهات وقيم ، تمكنهم من ضبط سلوكهم وفقها .

وتتطلب عملية نقل وإكساب الثقافة للأبناء أساليب سوية تمكن الآباء من تحقيق أهداف عملية التنشئة الاجتماعية ، بحيث يستطيعوا أن يتعاملوا مع غيرهم من أفراد المجتمع تعاملاً سليماً ، بما يحدث التفاعل والتآلف معهم . فضلاً عن إحساسهم بالأمن والطمأنينة بينهم .

ولهذا كان لابد من تناول أساليب المعاملة الوالدية ، وأثرها فى عملية التنشئة الاجتماعية .

تتعدد أساليب المعاملة الوالدية التى يمكن استخدامها فى عملية التنشئة الاجتماعية ومن هذه الأساليب ، الأسلوب الاستبدادى الذى يمكن أن يستخدم فى إكساب الأبناء الأنماط الثقافية التى تتفق وثقافة هذا المجتمع والتى تسهم فى تحقيق أهداف عملية التنشئة الاجتماعية التى نتطلع إليها .

هذا ؛ ويمكن القول بأن استخدام الأسلوب الفوضوى لا يتيح للأبناء فرصة إدراك ما يعتقده المجتمع من معتقدات ، وما يتبناه من قيم واتجاهات وما يلتزم به من التقاليد والعادات التى تسعى مختلف المؤسسات التربوية لإكسابها لأبنائه . بالإضافة إلى أن هذا الأسلوب يجعل الخيوط التى تربط الأبناء بنمط الثقافة الذى تتبناه الدولة خيوطاً واهية . لأنه يترك العنان للفرد لممارسة أى شئ دون حدود أو قيود ؛ فلا يدرك قيمة ما ينبغى أن يتمسك به من قيم حتى يكون قادراً على حسن التعامل مع غيره من أفراد المجتمع . بل أن مثل هذا الأسلوب يكون لدى الإنسان سهولة التمرد إذا وقفت هذه القيم حائلاً دون تحقيق أهدافه ، ويجعله أكثر تمركزاً حول ذاته لأنه تعود أن يفعل ما يريد ، وما يحب أن يفعل وقتما يريد بهدف تحقيق اللذة الذاتية دون

مراعاة لأفراد المجتمع الذى يعيش بينهم ، لهذا لا يحقق الأسلوب الفوضوى فى التعامل مع الأبناء أى هدف من أهداف عملية التنشئة الاجتماعية .

بينما إذا استخدم الوالدان الأسلوب الديمقراطى فى إكساب الأبناء قيم وعادات وتقاليد واتجاهات ومعايير المجتمع . فإن ذلك يمكنهم من حسن التعامل السليم والتكيف الواقعى مع غيرهم من أفراد المجتمع ، لأنهم يصبحون على وعى تام ، وفهم سليم بكل القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات التى يكتسبونها ، فيأتون بأنماط السلوك عن اقتناع وإدراك لقيمة مثل هذه الأنماط السلوكية التى تصدر عنهم حيال غيرهم من أفراد المجتمع .

هذا ؛ ولاتجاهات الوالدين نحو الأبناء الأثر البالغ فى التنشئة الاجتماعية ذلك لأن تكوين شخصية الطفل يتطلب ضمن ما يتطلب وجود علاقات طيبة بين الوالدين والأبناء ، وهذه العلاقات تتحدد على أساس اتجاهاتهم نحو أبنائهم ، فنجد أن شخصية الطفل تتأثر بمدى إحساس الطفل بتقبل الوالدين له ، وشعوره بمدى حبهما وإقبالهما عليه ، ويترتب على ذلك مدى إقبال الطفل على التوعية الثقافية – التى يريد الوالدين أن يزودوا بهما الأبناء – عن حب ، وتقدير ، وفهم وتقبل . وبناء على هذا فإنه إذا كانت اتجاهات الوالدين نحو أبنائهم اتجاهات إيجابية وقادرة على إحداث التفاعل بين كل من الوالدين والأبناء فإن عملية التنشئة الاجتماعية تسهم فى إكساب الأبناء العادات ، والتقاليد ، والقيم ومختلف أنواع المعايير على أساس سليم وصحيح .

وللمستوى الثقافى الذى يكون عليه الوالدان أهمية بالغة فى تنشئة الأبناء تنشئة سليمة ، ذلك لأنه يحدد قبل الدخول فى معاملات من الأبناء أسلوب التعامل السليم ، وذلك بعد الانتقاء والاختيار بين الأساليب المختلفة للتعامل مع الأبناء . وهذا ما دعا "وارنر" Warner (١٩٥٠) إلى ضرورة اعتبار أهمية المستوى الثقافى للوالدين فى التنشئة الاجتماعية ، لما له من أثر

بالغ فى تنشئة الأبناء . حيث يمكن الوالدين من حسن التعامل فى كثير من المجالات ويتم ذلك عن طريق ما يتخذه الوالدان من أساليب التعامل أثناء توجيه الأبناء وإرشادهم .

كما أن للمناخ الأسرى أثر كبير فى عملية التنشئة الاجتماعية فإذا كانت العلاقات بين أفراد الأسرة علاقات تتسم بالود والمحبة ، ويسودها الاحترام المتبادل بينهم ، ويتمتع كل فرد من أفراد الأسرة بالتقدير والاحترام من جانب الآخر ، فإن هذا يمكن الطفل من الاكتساب لكافة أنماط الثقافة ؛ ومختلف أنواع العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم التى يسعى كل من الأب والأم إلى إكسابها لأولادهم ، حيث إن مثل هذا المناخ يتيح للأطفال العيش فى أمن وطمأنينة ، بما يمكنهم من الاكتساب الجيد لمختلف أنواع الخبرات من جميع أفراد الأسرة . كما يهيئ المناخ الأسرى الصحيح ، الاكتساب السليم لمختلف المتغيرات الثقافية عن طريق ما يقوم به كل من الأب والأم من أدوار أساسية فى عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يتم عن طريقهما تحديد الأدوار لكل طفل من أطفالهم سواء كان ذكراً أو أنثى . بما يجعلهم قادرين على القيام بأدوارهم فى الحياة على أكمل وجه .

هذا ؛ ويسهم المناخ الأسرى فى عملية الاستبصار السليم بالذات . حيث يستطيع الطفل عن طريق معاملة الوالدين ، ومعاملة الأخوة والأخوات أن يكتشف ذاته ، ويدرك مستوى قدرته ، وما لديه من إمكانات عقلية . وبشكل عام يستطيع المناخ الأسرى السليم أن يعطى للطفل داخل الأسرة فكرة واضحة وصحيحة عن ذاته .

وهكذا ؛ يتضح مما تقدم من عرض لدور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية أهمية هذا الدور وما يمكن أن يكون عليه السلوك الإنسانى إذا ما توافر فى الأسرة من أسس الاستقرار والأمن والاطمئنان ، بما يجعل لها الصدارة فى مقدمة الجماعات التى تسهم فى عملية التنشئة الاجتماعية .

المدرسة والتنشئة الاجتماعية :

تعد المدرسة من المؤسسات الهامة التى تؤثر تأثيراً كبيراً فى بناء شخصية الإنسان عن طريق ما تنقله من المتغيرات الثقافية من جيل إلى آخر. فضلاً عن تهيئتها للمناخ المناسب لاكتساب الأنماط الثقافية ، بما يساعد الأجيال على إحداث أفضل مستوى من النمو المتكامل جسمانياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً ، بحيث يستطيع أن يحسن استثمار ما لديه من إمكانيات عقلية وتوظيفها فى عملية التوافق مع أفراد مجتمعه توافقاً يتحقق من ورائه إسهام الأفراد فى مختلف عمليات نمو المجتمع وتطويره .

وتقوم المدرسة بإتمام الدور الذى قامت به الأسرة فى المرحلة التى سبقت دخول الطفل المدرسة . حيث تقوم بتعديل بعض الاتجاهات وأنماط السلوك التى لا تتفق والمفهوم السليم للمتغيرات الثقافية التى تسود المجتمع أو التأكيد عليها وتدعيمها إذا كان كل ما تلقاه الطفل فى الأسرة من معايير اجتماعية واتجاهات وقيم سليماً صحيحاً ، وذلك عن طريق إتاحة الفرص أما الطفل للالتقاء بعديد من الأفراد داخل المدرسة ، ومن خلال ما يتعلم من مقررات داخل الفصول أو ممارسته لمختلف أوجه النشاط التى يتضمنها المنهج . وبذلك يستطيع الطفل أن يعيش التجربة الفعلية لممارسة الأنماط السلوكية التى تعلمها فى الأسرة ، واكتشافه مدى صحة ما تعلمه بين أفرادها. فضلاً عن أن المدرسة تكسب الأفراد مزيداً من المعايير والاتجاهات والقيم بأسلوب منظم دقيق عن طريق ما يقوم به الأطفال من أدوار اجتماعية جديدة داخل الفصول وخارجها .

وتقوم المدرسة بتعليم الطفل - عن طريق هذه الأدوار - ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وكيفية إحداث التوافق بين متطلباته وحاجاته ومتطلبات وحاجات غيره من أفراد المجتمع . كما أنها تقوم بتعليمه عملية ضبط الانفعالات فى المواقف التى يعيشها ، وتعريفه أهمية وقيمة التعاون فى حياته ، وكيفية اختيار الأنماط السلوكية التى تصدر عنه ، والتى تتفق

ومعايير المجتمع الذى ينتمى إليه . وتتم عملية الاكتساب عن طريق ما يحدث من تفاعل بين الطفل وغيره من الأفراد المحيطين به ، وكذلك عن طريق محاكاتـــه للمعلمين كقادة ونماذج ســلوكية يعتقـــدون فى مثاليتها .

وفى المدرسة - أيضاً - يكتشف الأطفال ما لديهم من طاقات وإمكانيات عقلية من خلال مقارنة أنفسهم بغيرهم من الأطفال أثناء القيام بالأدوار الاجتماعية ، سواء كان داخل الفصول أو خارجها وبذلك يمكن للطفل أن ينمو نمواً سليماً فى مختلف جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية .

هذا ؛ وتتحدد الخبرة بالنسبة للأطفال حال انتقالهم من صف إلى آخر ، حيث زيادة معدل ما تقدمه المدرسة من نشاط يتمثل فى سعة المنهج ، وشموله ، واتفاق مستواه مع مستوى نموهم الجسمى والعقلى ، كما تستطيع المدرسة - أيضاً - أن تكسب الأطفال الأدوار التى تتفق وطبيعتهم الذكرية أو الأنثوية عن طريق ما تسنده إليهم من أدوار اجتماعية يقومون بها ، وهى بذلك تسهم فى تكوين المفاهيم الحقيقية عن الذات سواء كانت ذكرية أو أنثوية. مما يمكنهم من إحراز النجاح فى حياتهم القادمة .

جماعة الرفاق والتنشئة الاجتماعية :

لجماعة الرفاق دور أساسى ، وهام فى عملية التنشئة الاجتماعية ، حيث إنهم يؤثرون فى إكساب أقرانهم العادات ، والتقاليد ، والاتجاهات ، والقيم عن طريق ما يحدث من اندماج وتفاعل معهم أثناء اللعب أو المناقشة والحوار. والطفل بحكم طبيعته يجد فى جماعة الرفاق التى تقاربه فى العمر والميول والاتجاهات ما يشبع كثيراً من حاجاته ورغبته وميوله بما يسهم فى إمكانية القيـــام بالأدوار التى لم تمكنه كل من الأسرة والمدرسة القيام بها .

ولذلك نجد أن " هافجهرست " قد أبرز ما يمكن أن تقوم به جماعة

الرفاق من خدمات لرفيقهم . حيث أن الطفل وسط جماعة الرفاق يجد فيهم من يتفق مع ميوله ، ومن يستطيع أن يسايره ، ومن يساعده على تنمية الحساسية نحو القيم . بالإضافة إلى تكوين الاتجاهات وتحديد الأدوار الاجتماعية التى يمكن أن يقوم بها ، وتجعله قادراً على الاعتماد على نفسه . ويتحدد مدى تأثير جماعة الرفاق على الفرد على درجة تقبله للجماعة واقتناعه بمعاييرها واتجاهاتها وقيمها ، ودرجة انتمائه لها . هذا ولتماسك أفراد جماعة الرفاق ودرجـــة التفاعـــل بينهم الأثـــر البالـــغ على مدى تأثرهـــم ببعضهم ؛ فكلما كانت الميول والاتجاه والقيم متقاربة ، أدى هذا إلى سهولة التفاعل والاندماج واكتساب كثير من الأنماط السلوكية ومعاييرها ، ومن أجل هذا تعتبر جماعة الرفاق ذات أهمية بالغة ومؤثرة فى عملية التنشئة الاجتماعية .

وقد أكدت أبحاث " كليفوردشو " على أثر الرفاق على سلوك الطفل . حيث أشارت إلى أن الصحبة السيئة والبيئة السيئة لها أثرها السئ على الأطفال . كما أسفرت أبحاث " تراشر " عن أن نوع الصلة وجماعة الرفاق يتوقف على نوع البيئة التى يجاورها الطفل .

هذا ؛ وأظهر " شريف " فى دراسته أن تأصل الفرد برفاقه يتوقف على نوع العلاقة ، ودرجة التفاعل بين الفرد ورفاقه ، ولوحظ أنه كلما زادت درجة هذه العلاقة ازداد مدى اكتساب الفرد لما اعتبرته الجماعة أنماط سلوكية تميزهم عن غيرهم .

وبناء على هذا فإنه يمكن القول بأن لجماعة الرفاق أثراً كبيراً فى عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق ما يمارسه الإنسان الفرد من نشاط بينهم؛ سواء كان هذا النشاط رياضياً أو اجتماعياً أو فنياً أو ثقافياً ، وكذلك عن طريق ما يحدث بينهم من درجات التفاعل وتكوين الصداقات التى تؤثر فى تكوين كثير من أنماط السلوك الانفعالى والاجتماعى ، وإكساب المعايير

الاجتماعية ، وتنمية درجة الحساسية والتفوق . بالإضافة إلى أنها تتيح له إمكانية القيام بالأدوار الاجتماعية وتبادلها بين القيادة والتابعية ، واكتساب مزيد من الخبرات عن طريق ما يتاح له من فرص التدريب والتجريب ، وتحمل المسئولية ، سواء كانت شخصية أو اجتماعية . فضلاً عن أنها تسهم فى عملية تعديل بعض أنماط السلوك الذى لا يتفق ومعايير الجماعة والمجتمع ، وإشباع كثير من الحاجات التى يريد الإنسان أن يشبعها ؛ كالحاجة إلى الانتماء ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال .. وبشكل عام إحداث التكامل فى بناء الشخصية عن طريق اكتساب الخبرات التى لم تستطع الأسرة أو المدرسة أن تكسبها للأطفال .

الفصل الخامس

(الإنسان والقيادة)

- تقديم .
- القيادة والرئاسة .
- القيادة والسمات الشخصية.
- القيادة والمواقف .
- القيادة ووظائفها .
- أساليب القيادة .
- الثقافة والتنشئة الاجتماعية .
- القيادة والسلوك الاجتماعى.

تقديـــم :

القيادة اسم لما يقوم به بعض الأفراد من دور اجتماعى . نتيجة لما يحدث من تفاعل بينه وبين غيره من الأفراد . حيث يكون لديه القدرة على التأثير فى غيره من الناس ، بما يقدم من أعمال تعاونية ومساعدات لمختلف أفراد الجماعة تسهم فى تحقيق أهدافهم . كما أنها عبارة عن سلوك اجتماعى يقوم به القائد محركاً الجماعة وموجهاً لها . ومحدثاً التفاعل بين أفرادها . بما يساعدهم على إنجاز الأعمال التى يسعون إلى تحقيقها .

ومما تقدم يمكن توضيح خطأ ما يتصوره بعض الناس من أن القيادة سلطة أو مركز قوة . أو مكانة ينالها الفرد للسيطرة على غيره من أفراد الجماعة ، وذلك لأنها مسئولية يتحملها أحد الأفراد الذين يتسمون بالقدرة على التأثير والتوجيه والتفاعل مع غيره من أفراد مجتمعه بما يجعله قادراً على توجيههم نحو الأهداف بأسلوب يتم بواسطته أهدافهم التى تعود عليهم بالفائدة .

وتظهر القيادة إذا ما أتيحت الظروف وتوافرت الإمكانات والقدرات الخاصة فى الأفراد ، بما يمكنهم من ممارسة هذا الدور الاجتماعى ؛ وهو دور يقوم به الفرد لخدمة وصالح الجماعة ، وفى هذا إشارة إلى أن دور القائد ذات ارتباط وثيق بالجماعة أكثر من ارتباطه بالأفراد ، وهو دور شغل الإنسان كثيراً لما له من أهمية فى نمو المجتمع وتقدمه . الأمر الذى دعا علماء النفس الاجتماعى إلى أهمية دراسة هذه الظاهرة للتعرف على سمات وخصائص القادة والأدوار الاجتماعية التى يمكن أن يقوموا بها لخدمة غيرهم من الأفراد .

القيادة والرئاسة :

وهى تختلف عن الرئاسة ، ذلك لأن مصدرها الجماعة وتظهر بشكل تلقائى نتيجة لما يحدث من تفاعل بين أفــراد الجماعة . يحاول أكثر من فرد

فيها أن يثبت قدرته على تحقيق أهدافها ، ويمنح أفراد الجماعة هذا الدور لأكثر الأفراد قدرة على الإنجاز وإحداث التفاعل بينهم ، وتحريكهم تجاه الأهداف التى تنشدها الجماعة ويصبحون تبعاً له وملبين توجيهاته وأوامره ، والأمر على خلاف هذا بالنسبة للرئاسة لأن مصدرها النظام الذى تتبعه الجماعة وليست الجماعة نفسها .

كما أن درجة التفاعل بين الرئيس والأفراد أقل كثيراً من درجة التفاعل بين القائد وأفراد الجماعة . حيث يتحدد الهدف فى الثانية عن طريق الجماعة وبينما يتحدد الهدف فى الأولى عن طريق الرئيس ، ولذلك اختلفت درجة التفاعل فى كل منهما .

هذا ؛ ويسعى الرئيس للحفاظ على مكانته بين الأفراد ، بما يحدثه من الاحتفاظ بالمسافة بينه وبينهم . الأمر الذى يقلل من درجة التفاعل بينهما . ويزيد من درجة التباعد . بينما يسعى القائد إلى تواجده بين أفراد الجماعة قدر الإمكان وعلى هذا الأساس يحدث التفاعل بين الأفراد ، بما يساعد على سرعة تحقيق الأهداف وإنجازها .

القيادة والسمات الشخصية :

اختلفت وجهات نظر من يعملون فى مجال دراسة سيكولوجية القيادة . حيث رأى فريق منهم أن ينبغى دراسة شخصية القائد على أساس من الخصائص والسمات التى تميزه عن غيره من الأفراد فى الجانب الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى . حيث اعتبروا أن القائد له سمة واحدة دون النظر إلى نوع الجماعة التى يقودها أو المواقف أو نوعية الثقافة التى تنتمى إليها الجماعة . إلا أن هذه النظرة لم تدم طويلاً لظهور أنواع من القيادات نشأت فى ثقافات أخرى متعددة غير معتمدة على هذه الفكرة على أساس أنه إذا كانت هناك سمة معينة قد يشترك فيها كثير من القادة . فإن هذا لا يعنى مطلقاً أن عدم وجود هذه السمة لا يعنى عدم وجود قادة ، وهذا ما أكده كثير

من المواقف والظروف . حيث ظهر عدد لا بأس به من القادة على غير هذا الأساس .

مما دعا كثير من الباحثين إلى القول بأن هذه النظرة ممعنة فى القدم، حيث اعتمدت على دراسة بعض الشخصيات التى ظهرت فى التاريخ الماضى ، وحققت نجاحاً ، وكان من أسباب هذا النجاح ما حباهم الله من قدرات خاصة لم تكن لدى غيرهم من الناس كالقدرة على الحدس وقراءة الأفكار وأن القائد يستطيع التعبير عما يريده الناس ويسعون إلى تحقيقه .

إلا أن ما ظهر من دراسات فى مجال سيكولوجية القيادة وخاصة أهم الخصائص أو السمات التى تميز القائد عن غيره من الأفراد - قضى على هذا الافتراض . حيث استطاعت البحوث العلمية التى استخدمت الاختبارات والمقاييس أن تعطى نتائج عكس ما قدمته نظرية السمات يمكن الاطمئنان إلى صحتها ، وإن كانت قد أشارت إلى أن ما يميز القائد من سمات أو خصائص فى جماعة ما لا يعنى أن القادة فى جميع الجماعات الأخرى يتصفون بهذه السمات نفسها . حيث أن اختلاف الظروف التى تعيش فيها الجماعة ونوعية الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها تدعو إلى إيجاد نوعيات أخرى من القادة الذين لا يتميزون بالسمات التى افترضوا تواجدها فى القائد . على اعتبار أن القائد هو أى شخص لديه القدرة على قيادة جماعة من الناس بما يتركه من أثر فى سلوكهم وحسن توجيههم ، وليس على أساس عدد محدد من السمات الشخصية . وهذا يعنى أن تحديد السمات بعينها لكى تنطبق على جميع القادة أمر بالغ الصعوبة . إلا أنه يوجد سمات ذات تأثير بالظروف ، بحيث أنه إذا تشابهت الظروف التى تعيش فيها الجماعة ظهر قائد لديه من السمات ما يتفق وقائد آخر يعيش فى جماعة تحت هذه الظروف نفسها .

وفيما يلى عرض لأهم نتائج البحوث والدراسات التى أسفرت عن بعض من السمات الواجب توافرها فى كل من الجانب الجسمى والعقلى

والمعرفى والإنفعالى والاجتماعى ثم السمات العامة التى يجب أن تتوفر لأى قائد يقود الجماعة .

السمات الجسمية :

فيما يتصل بهذه السمات فإنه وجد أن القائد عادة ما يكون أطول أفراد الجماعة وأقوى منهم وخاصة إذا كانت الجماعة بصدد محاولة تحقيق أهداف تعتمد على القوة العضلية وأكثر حيوية ونشاطاً وحركة من اتباعه .

السمات العقلية :

وفيما يتصل بهذه السمات فإنه وجد أن القائد يتميز عن اتباعه بارتفاع مستوى ذكائه وخاصة إذا كانت أهداف الجماعة تتجه صوب المجالات العلمية . كما وجد أن القائد يتميز عن أفراد الجماعة بالثراء الثقافى واتساع مجالات المعرفة . الأمر الذى دعا الناس إلى وصفه بأنه أوسع أفقاً وأبعد نظراً . وأكثر قدرة على التنبؤ ببعض الأحداث . هذا ؛ بالإضافة إلى القدرة العالية فى الإدراك والتفكير وإصدار الأحكام السليمة ، واتخاذ القرارات المناسبة ، وأكثر تماسكاً بالقيم ، واحتراماً للعادات والتقاليد والالتزام بالمبادئ والمعايير .

السمات الانفعالية :

ونتيجة لتوافر السمات السابقة فى أى قائد فإن أصحاب هذه النظرية يؤكدون على أن القائـــد يكون أكثر ثباتاً من الناحية الانفعالية . وأنه يتميز بمستوى أعلى من النضج الانفعالى ، كما أنه يقوم بالأدوار القوية ، وأنه أكثر ثقة بنفسه ، ولذلك فهو أكثر قدرة على ضبط النفس .

السمات الاجتماعية :

ومن الطبيعى بناء على ما تقدم من بيان لكيفية تولى قيادة الجماعة أن يكون القائد أكثر تعاوناً وأميل إلى مساعدة غيره ولديه أساليبه فى رفع الروح المعنوية ، وتشجيع أفراد الجماعة . بما يجعلهم أكثر قدرة على التفاعل

والعطاء بما يقدمه من حب واحترام للجميع ، وحسن التعامل معهم ، ومراعاة مشاعر وأحاسيس غيره ، وبما يقدمه من أساليب سلوكية تكسب أفرادها الثقة به والثقة فيهم . هذا ؛ فضلاً عن اتصافه بالقدرة على المساهمة الإيجابية فى مختلف أنواع النشاط الاجتماعى الذى تمارسه الجماعة ، وحسم المواقف ، والتحلى بروح الدعابة والمرح بين أفرادها .

السمات العامة :

ويؤكد أصحاب نظرية السمات على أن للقائد سمات عامة لابد أن تتوافر فيه منها حسن المظهر دون مبالغة فيه ، واحترام العمل وتقديره ، والالتزام بالقيم الروحية والمعايير الاجتماعية ، والالتزام بعادات شخصية طيبة ، والمحافظة على الوقت ، وتقدير قيمته ، والمحافظة على مصالح الجماعة والحرص على نظامها ، والالتزام بالأمانة فى التعامل ، والمحافظة على حسن السمعة ، مع الالتزام بالتواضع فى معاملة أفرادها .

ومع تعدد هذه السمات وتنوعها ، لابد من أن تتفاعل هذه السمات ، بما يشكل شخصية القائد بصورة تمكنه من ممارسة دوره بين أفراد الجماعة بأساليب متسقة منظمة تتيح له فرصة تحقيق أهدافها بنجاح . وهذا لا يعنى كما قلنا أن هناك سمة واحدة تستطيع أن تشكل شخصية القائد الذى يحقق لجماعته النجاح .

القيادة والمواقف :

ويرى فريق آخر من العلماء أن المواقف الحياتية وما تتطلبه من سلوك هى التى تحدد القائد ؛ بمعنى أنه إذا استطاع أحد أفراد الجماعة أن يقوم بما يطلبه الموقف من وظائف فإنه يصبح قائداً لهذا الموقف نتيجة لقدرته على القيام بالوظائف المناسبة له ، وبما استطاع أن يحققه من أهداف كانت تسعى الجماعة إلى تحقيقها . وفى هذا إشارة واضحة بأن القيادة من وجهة النظر هذه ترتبط ارتباطاً مباشراً بالموقف ومدى قدرة القائد على تلبية

متطلبات هذا الموقف . بما يحقق نجاح أهداف الجماعة ، كما أن هذا يعنى أن الفرد قد يكون قائداً فى موقف معين ، لا يصبح بالضرورة قائداً فى موقف آخر مخالف . حيث قد يصلح الفرد لقيادة أفراد الجماعة فى وقت الحرب . بينما لا يصلح لقيادتهم فى وقت السلم . ويعتمد منطلق هذا الفريق على أن ظهور القيادة مرهون بالظروف فى المواقف الاجتماعية . فإذا ما أتاحت الظروف لأحد أفراد الجماعة أن يستخدم ما لديه من قدرات واستعدادات وإمكانات فإنه قد يصبح قائداً إذا ما كان الموقف يتطلب هذه النوعية من الأفراد ذات القدرات والاستعدادات والإمكانات الخاصة بهذا الموقف . بمعنى أن ظهور القائد مرتبط بالموقف ومتطلباته ، ثم يلى هذه الخطوة ما يصدر من سلوك الأفراد حيال هذا الموقف بهدف تحقيق أهداف الجماعة ، وهنا تأتى خطوة أخرى ؛ وهى الحكم باختيار القائد الذى يصلح لقيادة الجماعة فى هذا الموقف . وهكذا ؛ من كان قائداً لموقف ما لا يصبح قائداً فى موقف آخر . ولذلك فإن الموقف وما يحيط به من ظروف هو الذى يساعد على ظهور القائد الذى يستطيع أن يقود الجماعة بما لديه من إمكانات وقدرات واستعدادات تصلح لقيادة الجماعة إلى تحقيق أهدافها بنجاح .

وهناك من النظريات ما تقول بأن التفاعل بين المتغيرات الأساسية اللازمة للقيادة هى التى تقدم القائد . حيث يرتبط القائد بما لديه من إمكانات وقدرات واستعدادات وبما يقدمه من مختلف أنواع النشاط وبما لديه من سمات شخصية تؤهله لأن يكون قائداً لأفراد الجماعة . بما لديهم من قيم واتجاهات ، وبما لديهم من رغبات وحاجات . وبما يعانون من مشكلات وبناء على الجماعة ونوعية العلاقة بين أفرادها ، وبما يتميزون به من سمات وخصائص وبأهدافهم ، وبدرجة التفاعل بينهم . هذا وللموقف وما يتصل به من ظروف وعوامل طبيعية ومادية علاقة بعملية التفاعل بين المتغيرات الأساسية لظهور القائد . ويعد التفاعل بين القائد وأفراد الجماعة هو المحور الارتكازى لحدوث التفاعل بين بقية المتغيرات ذات العلاقة بعملية ظهور

القائد . حيث تظهر من خلال عملية التفاعل بين كثير من العوامل التى ينبغى أن تكون أكثر وضوحاً ؛ كالفهم الصحيح لسلوك وتصرفات القائد ، وإدراك القائد لنوعية أفراد جماعته . بما يمكنه من توجيههم فى الاتجاه الذى يحقق من خلال إسهامهم فى العمل ، فيتحقق بذلك كل ما تنشده الجماعة من أهداف .

ومما تقدم يتضح أن هذه النظرية تعطى أهمية كبيرة لعملية التفاعل الاجتماعى الذى يتم من خلاله ظهور القائد المناسب الذى يقود الجماعة إلى تحقيق أهدافها ويعتبرون أن من أهم أسباب التفاعل بين القائد والجماعة هو مدى الاشتراك فيما بينهم فى القيم والاتجاهات والمعايير والأهداف والمشاكل. بما يجعلهم قادة وأفراداً يتجهون إلى وجهة واحدة لتحقيق أهدافهم.

القيادة ووظائفها :

يرى فريق آخر أن القيادة عملية تنظيمية يقوم بها القائد بهدف مساعدة الجماعة على تحقيق أهدافها بمعنى أنها القيام بالوظائف الاجتماعية المختلفة التى تسهم فى تحقيق أهداف الجماعة بنجاح . ولذلك فهم يرون أن للقائد وظائف أساسية ؛ حيث تقع عليه مسئولية القيام بها ؛ منها التخطيط ، ووضع السياسة التنفيذية لتحقيق هذه الأهداف مستمداً خطوات التنفيذ من أكثر من مصدر واحد . حيث يتم وضع السياسة بتفويض من السلطات العليا للجماعة وأعضائها عن طريق ما يضعونه من ثقة فيه . ولذلك يصبح معبراً عن أفكار ومعتقدات وقيم أفراد الجماعة التى يقودها ، ويستطيع القائد من خلال خبراته المعرفية والفنية والإدارية أن يحرك أعضاءها وفق السياسة الموضوعة بحيث يحدث التفاعل بين أفراد الجماعة بما يحقق أهدافها .

هذا ؛ ومن وظائف القائد – أيضاً – هى الحكم بين أفرادها فيما قد ينشأ من صراعات نتيجة لاختلاف الآراء ووجهات النظر أو ما قد ينشب فيها من مشاكل بين أفرادها . حيث تكون له السلطة فى إصدار الأحكام بالثواب

والعقاب على أفراد الجماعة . بما يحقق الانضباط فى سلوك أفرادها وهو من خلال هذا السلوك يقدم المثل الأعلى لبقية أفرادها فيتحقق بذلك مناخاً اجتماعياً سليماً يتيح للمجتمع القيام بدوره على اكمل وجه. وفى هذا إشارة إلى أن الوظائف الاجتماعية هى التى يمكن أن تحدد القائد فإذا استطاع أحد أفراد الجماعة أن يقوم بما ذكر من وظائف لخدمتها فإنه يصبح القائد الفعلى لمثل هذه الجماعة .

أساليب القيادة :

نتيجة لما قام به الباحثون فى مجال سيكولوجية القيادة من دراسات . فقد توصلوا إلى أن هناك أنواعاً مختلفةً من أساليب القيادة . حيث وجدوا أن من أنواع القيادة ؛ القيادة الدكتاتورية وهى التى تتسم بتركيز السلطة فى يد القائد دون مشاركة من أفراد الجماعة فى هذه السلطة . حيث يتخذ القائد القرار بنفسه دون اشتراك الآخرين فيه وينظم الأعمال ويسندها إلى الأفراد ، ويهتم بمدى التزام الأفراد وطاعتهم لأوامره كما يحدد بنفسه مختلف أوجه وأنواع النشاط الذى يلزم الأفراد بممارسته ، وهو فى ذلك كله لا يشارك الجماعة فى ممارسة ما يسند إليهم من أعمال أو ما يقومون به من نشاط ، وهو يفعل هذا عندما يكون بصدد شرح خطة العمل وإعطاء نموذج لكل فرد من أفراد الجماعة . كما أنه يقلل من عملية الاتصال بينه وبين أفراد الجماعة وكثيراً ما يظل مستمراً فى إلقاء الأوامر ، ودفع الأفراد لتنفيذها بصورة فرضية على أساس اعتبار رأيه فقط .

وقد استقرت الدراسات من أن أفراد الجماعة التى يقودها قائداً دكتاتوراً ينفذون ما يصدر إليهم من أوامر دون معارضة منهم أو نقدها أو إبداء الرأى فيها . وهم فى مراحل تنفيذها لا يعرضون سوى المرحلة التى يعملون فيها . كما أنهم ليس من حقهم من وجهة نظر قائدهم اختبار رفاقهم فى العمل .

واتضح أن مثل هذا الأسلوب – الأسلوب الدكتاتورى – فى القيادة

يخفض من مستوى الروح المعنوية فى العمل ، ويزيد من حدة الصراع والمنافسة غير الشريفة ، ويؤدى إلى أن سلوك أفراد الجماعة يتسم بالخضوع والاستسلام ، ويقلل من مستوى الثقة بالنفس بالنسبة للأفراد أنفسهم أو الثقة فى القائد نفسه . أو بالنسبة للأفراد فيما بينهم . مما يدفع الأفراد إلى استخدام أساليب النفاق والتملق لمن له سلطة وشيوع جو يتسم بالاضطراب والقلق فى مجال العمل ، ويجعل الأفراد يشعرون بالتقصير أو العجز والإحساس بالإحباط من آن إلى آخر ، وكلها أمور تؤثر على شخصية أفراد الجماعة على مستوى أدائهم فى مجالات حياتهم المختلفة .

كما أكد العلماء وجود نوع آخر من أساليب القيادة وهى ؛ أسلوب القيادة الديمقراطية ، التى يسعى فيها القائد إلى وجود قنوات مباشرة أو غير مباشرة بينه وبين أفراد الجماعة . ويسعى القائد من خلال دوره إلى إشباع حاجات أفراد الجماعة عن طريق إسناد الأعمال التى تتفق وما لديهم من إمكانات وقدرات واستعدادات ، وبما يتفق وميولهم ، مع إتاحة الفرصة للمنافسة معهم فيما يسند إليهم من هذه الأعمال وإعطائهم الفرصة للتعبير عن أرائهم فيما يعن لهم من أفكـــار تجاه الموضوع الذى تسعى الجماعة إلى تحقيقه ، ويتخذ القرار بالأسلوب الديمقراطى بشكل جماعى بحيث يشترك فيه الجميع ولا يسمح للقائد بالانفراد باتخاذ القرار إلا بعد مناقشة كافة وجهات النظر فى الموضوع موضع المناقشة .

ولذلك تعد كل الخطط على أساس ما يتفق عليه الجميع ، وكذلك يتم توزيع المسئوليات على الأفراد بحيث تسند الأعمال إلى الأفراد بناء على رغبتهم وموافقتهم . ويعتمد الأسلوب الديمقراطى على إحاطة أفراد الجماعة علماً بكل مراحل العمل ، وبكل ما أنجز منه ويصبح الجميع على دراية ومعرفة بكل جوانب العمل ، والعوامل المؤثرة فيه سواء بالإيجاب أو السلب وإذا ما طرأت مشكلة أثناء مراحل تنفيذ خطة العمل فإن الجميع يكون لهم الحق فى الاشتراك ومناقشة المشكلة وإبداء الرأى فيها ، ولذلك يشيع بين

أفراد الجماعة التى يقودها قائد مناخاً ديمقراطياً . حيث النقد الذاتى والنقد الجماعى البناء . بما يحقق للجميع تعديل السلوك وتبديل الوسائل ، وبما يساعد على إنجاز الأعمال بشـكل أفضل يرضى عنه الجميع .

ويسود مثل هذا المناخ الاحترام المتبادل بين الجميع رؤساء ومرؤسين، ويشعر كل فرد فى الجماعة بأهميته من خلال الدور الذى يقوم به داخل الجماعة . حيث يسهم بشكل إيجابى فيما يتخذ من قرارات ، وفيما يعد من خطط ، وفيما يتم من إجراءات فى مرحلة التنفيذ .

هذا ؛ وللأفراد حق اختيار رفاق العمل بحيث يتم التفاعل بينهم بما يزيد من مستوى قوة الدافع لديهم ، وبما يؤدى إلى تحسن مستوى الأداء وسرعة إنجاز العمل المسند إليهم ، ويشعر الجميع فى مثل هذا المناخ بالنجاح ، والتقدير والرضا ، وتتميز الروابط بين أفراد الجماعة بالتماسك والود ، ويشيع بينهم الثقة والاطمئنان ، ويصبح الضمير الجماعى هو الذى يحكم سير العمل ويوجه سلوك الأفراد ؛ فيتحقق بذلك أقصى مستوى من الإنتاج الذى ينعكس عليهم برفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى ويتحقق بذلك كل من الأمن الاقتصادى والنفسى للجميع .

ومن المؤكد أن أساليب المعاملة الديمقراطية فى أى مجال من مجالات التعامل مع أفراد يسهم فى اكتسابهم كثيراً من القيم والاتجاهات السليمة . بل وتعمل على إرسائها وتعميقها فى نفوسهم، فيصبح مستوى الأداء ومعدل الإنتاج ذات ارتباط قوى بهذه القيم والاتجاهات سواء أكان القائد حاضراً أو غائباً .

ويشير العلماء – أيضاً – إلى وجود نوع آخر من أساليب القيادة ؛ وهو أسلوب القيادة الفوضوية : وهو الذى ينال فيه جميع أفراد الجماعة رئيساً ومرؤسين الحرية المطلقة فى ممارسة ما يعن لهم من رغبات دون الالتزام بأى نوع من الضوابط ، والقائد فى هذا الأسلوب يمارسه أسلوباً محايداً ،

وإن شارك فإن مشاركته لا تعدو تعليمات سطحية لا تسهم فى تنظيم أو تخطيط أو اتخاذ القرار بالنسبة للجماعة . وهو محايداً بمعنى أن رأيه يؤثر على أفراد الجماعة بالسالب أو الإيجاب . فهو لا يذم ولا يمدح ولا يضيف أفكاراً جديدة .

والأفراد فى مثل هذا المناخ - الحرية المطلقة - يفعلون ما يعن لهم دون الالتزام برأى الآخرين ويختارون أصدقاءهم بالأسلوب نفسه . حيث لا يتدخل أحد فى هذا الأمر . ولذلك لوحظ أن درجات الثقة فيما بين القائد والأفراد نتيجة لعدم تداخل بعضهم مع بعض قد تصل إلى درجة يمكن تقديرها بأنها متوسطة وأن ما يسود المناخ النفسى للجماعة بالنسبة لدرجة التفاعل بينهم ، وما يشيع من ود ومحبة لا تعلو عن مستوى الثقة بينهم . ولهذا يتلاشى تأثير القائد على مستوى دافعية الأفراد بالنسبة للإقبال على العمل أو مستوى الأداء أو معدل الإنتاج بحيث يصبح معدل الإنتاج ومستوى أدائه فى غياب القائد أو حضوره خاضعاً لمستوى درجات التفاعل بين الأفراد .

القيادة والسلوك الاجتماعى :

نتيجة لوقع التطور الحضارى السريع وانهماك الأفراد فى أعمالهم سعياً وراء مواكبة المستوى الحضارى الذى يعيش فيه ، وأصبح من الصعب على الأفراد أن يسعون للإسهام فى تشكيل واتخاذ القرار . ومن هنا كان لقرار القيادة أهميته وأثره فى تشكيل سلوك أفراد الجماعة ، وفى دفعهم للمشاركة الفعلية لتحقيق أهداف المجتمع . بما يعود على الجميع بالخير والتقدم .

لذلك كانت عملية اختيار القادة عملية تحتاج إلى الموضوعية والدقة ؛ لأنها تشكل خطورة وأهمية فى حياة الأفراد والجماعات . حيث يصبح القائد صاحب القرار ومصدره ، ومن هنا كان لابد أن يكون القائد أكثر الناس

تمسكاً بقيم المجتمع وتقاليده وأكثر الناس إدراكاً لحاجات الأفراد ، ورغباتهم. بما يتمشى مع هذه القيم وتلك التقاليد ، وبما يواكب الحضارة والتقدم وذلك لأنه مصدراً أساسياً من المصادر التى تشكل السلوك الاجتماعى للأفراد .

كما ينبغى أن يكون ذا قدرة عقلية عالية لأنه يسهم بما يصدره من أفكار واعية فى اتخاذ القرارات السليمة والتى يمكن أن تكون معبرة عن أو ممثلة لوجهة نظر أفراد الجماعات . بالإضافة إلى مراعاة احتياجاتهم ، وترتيبها حسب الأولوية . بما يحقق الإشباع للجميع والإحساس بالرضا والاطمئنان الذى يمكنهم من الإقبال على الحياة ، وممارسة أدوارهم بفاعلية وإيجابية فتسير حياتهم سيرها الطبيعى ، وبما يتيح لهم فرصة استثمار قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم أحسن استثمار .

ولما كان القائد أمل الجميع ومصدره لما لديه من سلطة إصدار القرار. حيث يبدأ من عنده أوامر التنفيذ ، فإن المستوى الثقافى له ومدى انفتاحه على الخبرة يشكلان أهمية كبرى فى أسلوب اتخاذ القرار وخطوات التنفيذ . بحيث يضع فى اعتباره أن رأى الآخرين من الأمور الهامة فى اتخاذ القرار السليم وفى اختيار أنسب الأساليب التنفيذية وبما يشحذ أفراد الجماعة ويدفعهم إلى المساهمة فى تحمل المسئولية فى الاشتراك فى تحقيق النجاح والإحساس به .

وهذا ؛ يعنى أن القائد الذى يهتم برأى أفراد الجماعة يعرف تماماً قدرهم بما يقدمون من وسائل مختلفة تساعدهم على حسن سير الحياة ودوامها وبما يقدمونه من إسهام فى التغذية والكساء والتربية ، وفى الترفيه عن طريق مختلف أنواع السلوك الذى يصدر منهم بهدف المشاركة الفعلية الإيجابية فى تحقيق الأهداف بنجاح . الأمر الذى يدعو القائد إلى أن يكون على هذا المستوى من المسئولية . بحيث يدرك أنه كلما اشترك أفراد الجماعة فى إصدار القرار وفى وضع الخطط التنفيذية التى ينبغى أن تتبع أثناء عملية تنفيذ القرار ، ضمن بذلك مستوى عال من التفاعل الاجتماعى

بينه وبين أفراد الجماعة ، وبينهم وبين بعضهم بما ينعكس بصورة أو بأخرى
على سلوكهم الاجتماعى . وبما ينعكس على مدى تحمسهم فى إنجاز وزيادة
معدل الإنتاج ، فيتحقق بذلك مجتمع أفضل ينعم بالخير والرفاهية .

الفصل السادس

(القيم والسلوك الاجتماعى)

- تقديـــــــــــم .
- مفهـــــــوم القيـــــم .
- طرق التعــرف على القيم .
- القيم والسلوك الاجتماعى .

تقديم :

تعد القيم من أهم محددات صفة كل من الفرد والمجتمع ، ويختلف الأفراد فيما بينهم فيما يصدر عنهم من سلوك تبعاً لاختلاف القيم المتبناه ، كما تختلف خصائص كل مجتمع عن المجتمع الآخر تبعاً لاختلاف نوعية القيم التى يتبناها لنفسه . هذا ؛ وتحدد القيم المعايير التى من خلالها يمكن الحكم على الشئ بأنه صالح أو غير صالح ، فعن طريقها يمكن الحكم على الشجاع ، والنبيل ، والجبان ، والخائن .

هذا ؛ وليست القيم عبارة عن عدد من السمات المجردة ، إنما هى أنماط من السلوك التى يمكن التعرف على القيم من خلالها . وهى ذات فاعلية كبيرة فى حياة الإنسان ، لأنها تدفع سلوكه وتوجهه ، وذات أهمية – أيضاً – فى حياة المجتمعات وتقدمها ، لأنها تشكل سلوك الإنسان الذى يسهم فى حضارة المجتمعات ومدنيتها .

ومن المؤكد أن كل مجتمع له ثقافته التى تميزه عن غيره من المجتمعات ، وكل ثقافة لها عدد من القيم التى تنبع من هذه الثقافة ، وإن كل فرد من أفراد المجتمع يكتسب هذه القيم بدرجة أو بأخرى وتتفاوت درجة اكتساب الأفراد فى المجتمع الواحد تبعاً لمدى عمق الثقافة فى مجتمعه ، ومدى انتماء الفرد لهذا المجتمع . حيث يتوقف على ذلك سرعة وسهولة اكتساب هذه القيم .

وتحدد قيم أى مجتمع من المجتمعات نقط الالتقاء التى يلتقى عندها سلوك الأفراد داخل المجتمع الواحد . بما يؤدى إلى وحدة الكيان الاجتماعى للدولة . حيث إنه كلما استطاعت الدولة المحافظة على قيمها التى تتبناها ، كان لديها إحساس قوى بالتماسك الداخلى للمجتمع . هذا ؛ فضلاً عن أن هذه القيم تمكن أفراد المجتمع من تكوين شخصياتهم ، فتجعلهم موضع تقدير واحترام مجتمعهم . بالإضافة إلى سرعة تأثير مثل هؤلاء الأفراد على

غيرهم من أفراد المجتمع . بما يؤدى إلى تعديل سلوكهم وفق هذه القيم .

ومن هنا يمكن القول بأن القيم ثقافية المنبع . وكلما كانت القيم ذات أصول ضاربة فى الأعماق ، كانت عملية اكتسابها سهلة ميسورة ، واستطاعت أن تشكل سلوك الأفراد دون عناء ، بحيث يسلكون السلوك الذى يهدف المجتمع إلى تحقيقه . ولذلك تعد القيم ضرورة اجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وينتمى إليه ، لأنها تمكن الفرد من سرعة التجاوب والانخراط مع أفراد المجتمع ، وتسهم فى تهيئة المناخ الاجتماعى السليم الذى يتيح فرصة النمو الصحيح ، والحياة فى واقع إنسانى له محدداته التى تشكل أسلوب أفراد مجتمعه .

وفيما يلى عرض لوجهات نظر علماء النفس والاجتماع فى تحديد هذا المفهوم ، بما يمكننا من فهم هذا المصطلح ، ومعرفة محدداته لإبراز تصورهم عن مفهوم القيمة ، لما له من أهمية كبيرة - كما ذكرنا - فى تشكيل سلوك الإنسان .

مفهوم القيم :

لقد تعرض عدد كبير من علماء اللغة والفلاسفة ، والمشتغلين بدراسة علم الاقتصاد ، والاجتماع ، وعلم النفس لتحديد معنى القيم ؛ وقد لوحظ أنه على الرغم من اختلاف العلماء فى استخدامهم لهذا المفهوم فإن معظمهم قد نظر إلى القيم على أنها مجموعة من الأحكام التى يصدرها الفرد أو الجماعة على كل ما يحيط بهما فى الحياة ، وإن اختلفت التعبيرات التى تصاغ بها .

وقد ذكرت فوزية دياب (١٩٦٦) " إن بعض العلماء قد عرفوا القيمة بأنها الخير أو الشر مثل مور Moor ، ولامونت Lamont وأنها الاهتمام مثل بيرىBerry ، وأشار بعضهم إلى أنها تفضيلات Perferences بين الأشياء مثل ثورنديك Thornidke " (ص٢٢) وقال عنها فريق آخر بأنها علاقات بين

الإنسان والموضوعات ، ورأى فريق منهم أن القيم عبارة عن استعداد نفسى أو تهيؤ للقيام بعمل نحو هدف معين . على حين يعتبرها آخرون تنظيمات لأحكام عقلية وانفعالية نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعانى ، وأنها تقديرات أو معايير يلتزم بها الأفراد .

وقد حاول بعض العلماء تصنيف هذه التعريفات ووضعها فى إطار يسهل للقارئ أو الباحث فهم هذا المصطلح ، فقد ذكر عطية هنا (١٩٥٩) مثالاً لذلك حيث قال : إن " برتا فريدمان : قد صنفت تعريفات القيم من وجهة نظرها إلى مشاعر ، أو اتجاهات ، أو تهيؤ ، أو نشاط ، أو سلوك ، أو نهاية لسلوك ما ، أو تفضيل ، أو تقويم ، أو استعداد .

وإذا دقق النظر فى مثل هذا التصنيف يتضح أنها قد وضعت تسعة أسس كأساس لتصنيف القيم ، وأنه يترتب على مثل هذا التصنيف إهمال عدد كبير من التعريفات التى لا تدخل تحت أى أساس من الأسس التى وضعتها " برتا فريدمان " فى تصنيفها .

وإذا ما حاولنا عرض هذه التعريفات التى تحدد معنى القيمة ، وجدنا أن للقيم تعريفات متعددة ، فقد عرفها عدد من علماء النفس بأنها المثل العليا التى تدفع الفرد للقيام بعمل ما تجاه هدف معين . ومن هؤلاء " رايتستون وجاستمان " (١٩٥٦) اللذان يعتبران أن القيمة هى " عدد قليل من المثل العليا الأساسية التى يمكن أن تعيننا على تفسير سلوك الإنسان "
(ص ٥٤٥) فهى فى نظرهم المثل العليا القليلة التى يعتنقها الإنسان ، والتى عن طريق معرفتها يمكن تفسير السلوك الذى يصدر من الإنسان .

كما يعتبرها كل من " ميرفى ، ونيوكومب ، وميرفى " Murphy, Newcomp, Murphy الاستعدادات أو التهيؤ للقيام بعمل نحو عملية معينة " (عطية هنا ، ١٩٥٩ ، ١٨٦) أى أن القيمة فى نظرهم هى مجموعة

الاستعدادات التى تدفع سلوك الإنسان إلى تحقيق ما يهدف إليه .

ووجد أن بعض الباحثين قد عرفوا القيمة على أساسا أنها التفضيل والاختيار بين المرغوب فيه ، المرغوب عنه ومن هؤلاء " محمد إبراهيم كاظم " (١٩٦٢) الذى يعرفها بقوله : " أنها مستوى أو معيار نستهدفه فى سلوكنا بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه " (ص ١٤) ويتفق كل من " كرتش وكرتشفيلد وبولاتشى " Krech, Crutchfield & Pollathey (١٩٦٢) مع غيرهم على أن القيم هى " الاعتقاد حول ما هو مرغوب ، أو ما هو أفضل ، وما هو غير مرغوب أو ما هو سيئ " (ص ١٠٧) وهم بهذا التعريف يرون أن القيم معتقد يستطيع به الفرد أن يفضل أو يختار بين المرغوب ، وغير المرغوب .

هذا ؛ ويرى " كلوكهون " Kluckhon " أن " القيمة مفهوم تجريدى – ظاهراً أو مضمراً يميز الفرد أو الجماعة – يؤثر فى اختياراتنا من عدة بدائل كوسائل وأهداف السلوك (ريشر Rescher ١٩٦٩ ، ٢) فالقيمة عنده عبارة عن فكرة واضحة مجردة تميز سلوك كل من الأفراد والجماعة وتؤثر فى عملية الاختيار فقط .

وتعتبرها فوزية دياب (١٩٦٦) " اهتمام أو اختيار ، أو تفضيل يشعر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية أو العقلية أو الجمالية ، بناء على المعايير التى تعلمها من الجماعة ، ورعاها فى خبرات حياته نتيجة عملية الثواب والعقاب والتوحد مع غيره " (ص ٥٣) أى أن القيـم فى نظرها هى ذلك الاهتمام ، أو الاختيار ، أو التفضيل الصادر عن المبررات الخلقية أو العقلية ، أو الجماليـة التى تعلم معاييرهـا من الجماعـة خـلال تجاربه فى الحياة .

وإذا ما نظر إلى تعريف آخر كتعريف يونج Young وجد أنه يتفق مع

غيره على اعتبار أن القيم اختيار أو تفضيل ، ولكن التفضيل عنده بين البواعث أو الدوافع التى تدفع الإنسان إلى السلوك حيث يقول :" إن القيم عملية التفضيل Preference بين البواعث الإنسانية Drives " (مصطفى الخشاب ، ١٩٦٦ ، ١٨٧ - ١٨٩) ، هذا وتبدو القيم فى نظر " محمد عاطف غيث " (١٩٦٦) " الصفات الشخصية التى يفضلها أو يرغب فيها الناس فى ثقافة معينة " (ص ٢٥٩) فهى تدخل تحت التفضيل والرغبة ، ولكنها عبارة عن الصفة الشخصية التى ترتبط بثقافة معينة ، ويرغب فيها الناس .

ويذكر ريشر (١٩٦٩) " إن سملسر Smelser يعتبر القيم بمثابة التفضيل بين الحالات التى تعمل موجهاً لسلوك الإنسان تجاه الأغراض المشروعة التى تقود الحدث أو الفعل الاجتماعى"(ص٢).

ويتضح من هذا أن القيم عنده تدخل فى نطاق التفضيل - أيضاً - إلا أن التفضيل هنا بين الحالات التى تدفع الإنسان إلى السلوك الذى يحقق الأغراض المشروعة التى تقود الحدث الاجتماعى .

ويتفق كوبسومى Kuppuswamy (١٩٧٤) مع " سملسر " وغيره ممن عرفوا القيمة على أساس التفضيل أو الاختيار . حيث يعرفها بقوله : " إن القيمة هى تفضيل لشيء محبوب أو مرغوب وهى مرتبطة بإشباع رغبات الفرد ، وتحقيق أهدافه ، وتأكيد مفهومه لذاته " (ص ٢٠٦) ولكن التفضيل هنا مرتبط عنده بإشباع رغبة الفرد ، وتحقيق أهدافه التى تحقق ذاته.

وهكذا ؛ يتضح من مجموع التعريفات السابقة أنها اتفقت على اعتبار التفضيل أو الاختيار هو المحك الأساسى للتعريف ، وإن صاغ كل باحث تعريفه بصياغة تختلف عن الأخرى ، وأبرز فيها تصوره عن مفهوم القيمة .

وإذا ما نظرنا إلى مجموعة أخرى من التعريفات ؛ وجد أنها تعرف القيمة على اعتبار أنها معايير يحكم بها على الأشياء ، ومن هذه التعريفات تعريف " فؤاد البهى السيد " (١٩٥٨) الذى يعتبر القيم عبارة عن معايير اجتماعية إلا أنها من وجهة نظره ذات صبغة انفعالية فيقول : إن القيم معايير اجتماعيـــة ذات صبغة انفعالية ، تتصل من قريب أو بعيد بالمستويات الخلقية التى تقدمها الجماعة ، ويمتصها الفرد من بيئته الخارجية الاجتماعية، ويقيم بها موازين يزن بها الأفعال " (ص ٢٩٤) .

ويتفق أحمد زكى صالح (١٩٥٩) مع " فؤاد البهى السيد " على أن القيم عبارة عن المعايير الاجتماعية التى تتكون لدى الفرد نتيجة لتأثره بالبيئة الخارجية على اختلاف مستوياتها ، وكذلك نتيجة للمواقف الاجتماعية الخاصة التى يعيشها الفرد ، ويرى أن هذه المعايير الاجتماعية تتكون نتيجة لخضوع الفرد لعملية التعلم المباشرة ، أو غيرها من البيئة التى ينشأ فيها . ويتضح ذلك من قوله :" إن القيم نوع من المعايير الإجتماعية التى تتأثر بالمستويات المختلفة التى يكونها الفرد نتيجة احتكاكه بمواقف خارجية معينة نتيجة لخضوعه لعملية التعلم المباشرة او غيرها من البيئة التى ينمو فيها " (ص ٣٨٧) .

ويشاركهما الرأى كل من " جاكوب وفلنك " Jacop & Flink فى اعتبار القيم هى المعايير التى تؤثر فى عملية الاختيار للسلوك الذى يدركه الإنسان حين قالا :" إن القيم هى المستويات المعيارية التى تؤثر فى اختيار الإنسان لبدائل السلوك التى يدركها " (ريشر، ١٩٦٩ ، ٢) ، ويعرفها " تالكوت بارسونز " بأنها مستوى أو معيار للإنتقاء Selection من بين بدائل الاتجاه فى المواقف الإجتماعية " (عبد الباسط محمد ، ١٩٧٠ ، ١١٠) وهو بهذا التعريف يتفق مع كل من " جاكوب وفلنك " ذلك لأنه اعتبر القيم عبارة عن مستوى أو معيار يستطيع الفرد عن طريقه أن يختار السلوك إذا ما كان فى موقف اجتماعى متعدد الإتجاهات ، ويحتم عليه إختيار اتجاه واحد من بينها .

كما أنه وجد أن القيمة قد عرفت على أساس أنها المحدد الذى يستطيع به الفرد أن يحدد ما يريد من الأشياء التى يتطلع إليها ويشير تعريف " ثومبسون " Thompson (١٩٦٩) إلى هذا حيث يقول :" بأنها محدد الملامح الأساسية لتقاليد وقوالب الحياة المدنية ، وأنها تحدد الأشياء التى يتطلع إليها الأفراد كما أنها تحدد على المدى البعيد أسلوب الحياة الذى ينبغى أن يكون عليه"(ص ٢٢٥).

هذا ؛ وقد ربط عدد من العلماء بين مفهوم القيمة وعملية التقويم ، ومن هؤلاء " محمد عماد الدين إسماعيل " (١٩٦٢) الذى عرف القيمة بأنها " لفظ نطلقه ليدل على عملية تقويم يقوم بها الإنسان ، وتنتهى هذه العملية بإصدار حكم على شئ ، أو موضوع أو موقف ما " (ص ١١) وهو بهذا التعريف يرى أن القيمة عبارة عن حكم يصدره الإنسان على الأشياء ، أو الموضوعات ، أو المواقف ، وذلك بعد تقويمه لها .

ويتفق معه فى ذلك " هرتزلر " Hertzler الذى يعرف القيمة بأنها " تقديرات لمعانى وأهمية الأشياء ، والعلاقات اللازمة لإشباع حاجات الفرد " (فوزية دياب ، ١٩٦٦ ، ٢٤) ذلك لأنه يصدر حكماً على معانى الأشياء وأهميتها ، والأعمال ، وكل ما يشبع حاجات الفرد بعد عملية تقديرها .

ويعرف فريق آخر القيمة بأنها تنظيمات للأحكام العقلية المعممة ، ومن هؤلاء " عطية هنا " (١٩٦٥) الذى يعتبرها " تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص ، أو الأشياء ، أو المعانى سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحاً أو ضمنياً (ص ٦٠٢)، ويتفق حامد زهران (١٩٧٢) مع عطية هنا على أن القيم " أحكام عقلية إنفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء ، أو المعانى ، أو أوجه النشاط " إلا أنه يراها " مفهوماً مجرداً ضمنياً ، غالباً يعبر عن الفضل أو الامتياز ، أو درجة الفضل الذى يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعانى أو أوجه النشاط " (ص ١٥٦) .

وهكذا ؛ يبدو من هذه التعريفات أن القيمة لا تخرج عن كونها حكماً يصدره الإنسان على كل من الأشياء أو المعانى ، أو الموضوعات ، أو الأشخاص ، أو الحاجات وذلك بعد تقويمها أو تقديرها . وهذا ما أكده فؤاد أبو حطب (١٩٧٤) عندما قال: " إن تعريفات القيم كثيراً ما تتفق على أنها مجموعة أحكام يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والإجتماعية والمادية ، وهذه الأحكام هى فى بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره " (ص ٦٢) .

ويتضح من هذا أن هناك إتفاقاً بين مجموعة من علماء النفس على أن القيم عبارة عن مجموعة الأحكام التى يصدرها الأفراد أو الجماعات على ما فى بيئتهم ، وأن هـــناك تقارباً بين هذه التعريفات ، والتعريفات التى اعتبرت القيمة لفظاً يدل على عملية تقويم أو تقدير تنتهى بإصدار حكم ما على شئ أو موضوع ، أو موقف ما ، ...

هذا ؛ وقد عرف عدد آخر من المشتغلين فى مجال علم النفس القيم على أنها عوامل ، أو رغبات شعورية ومن هؤلاء " جنزبرج" Ginsburg الذى عرف القيمة بأنها عبارة عن " عوامل شعورية موجهة للسلوك ومؤثرة فى التكيف " (عطية هنا ، ١٩٥٩، ١٨٦)، وقد اتفق معه فى هذا " باركو " حيث يعتبر القيمة رغبات شعورية وأن ما يصدره الفرد من أحكام قيمية هى أفكار حول التنسيق بين الرغبات ، وما يراد إشباعه حين قال :" إن القيم رغبات شعورية ، وأن الأحكام القيمية هى أفكار وإفتراضات حول ما نريد إشباعه والتنسيق بين الرغبات " (محمد جميل منصور ، ١٩٧٣ ، ١١) .

كما أن كيرتس Curtis (١٩٦٠) اعتبر القيم عبارة عن أفكار ومعتقدات يعتنقها الإنسان عندما قال :" إنها الموضوعات والأفكار، والعقائد التى يتم اعتناقها " (ص ١٣٨) . وقد عرفها بعض العلماء بأنها مجموعة الأهداف المتفق عليها اجتماعياً ومن هؤلاء "ميكرجى" Mukerjee الذى يؤكد

هذا الأساس لتعريف القيم ، ولكنه يشترط أن تكون هذه الأهداف متمثلة فى المجتمع نتيجة عملية الاشتراط والتعلم والتنشئة الاجتماعية ؛ ويتضح هذا من تعريفه للقيم بأنها " مجموعة الأهداف المتفق عليها اجتماعياً ، والمتمثلة فى المجتمع خلال عملية الاشتراط Conditioning والتعلم والتنشئة الاجتماعية " (عبد الباسط محمد ، ١٩٧٠ ، ١٠٧) .

هذا ؛ وقد قسم جوردن Gordon (١٩٦٧) القيم إلى قيم شخصية ، وأخرى إجتماعية ، وذكر لكل منها تعريفاً خاصاً ، فعرف القيم الشخصية بأنها " محددات لكيفية تعامل أو توافق الفرد مع ما يواجهه من مواقف أو مشكلات يومية " ، أما القيم الاجتماعية فقد عرفها بأنها " تنظيمات نفسية تدفع الفرد ، وتوجهه إلى سلوك معين فى المواقف الاجتماعية " (جوردن ، ١٩٦٧).

ومن هذا العرض لتعريفات القيم يبدو أن هناك اختلافات بينها ولكن هذه الاختلافات ليست كثيرة ، وتستطيع أن تدرك قلتها عندما تقرأ تعريفات كل من " ميرفى ونيوكومب وميرفى " الذين عرفوها بأنها الاستعدادات أو التهيؤ " ، وايتستون وجاستمان " اللذان يريان بأنها المثل العليا و"سمبتون " الذى عرفها بأنها محدد الملامح الأساسية لتقاليد الحياة المدنية ، وأن هناك فريقاً من العلماء قد عرفها بأنها مستويات معيارية واعتبرها بعضهم الاهتمامات ، وعرفها فريق آخر بأنها الانتقاءات أو الاختيارات أو التفضيلات .

بينما اعتبرتها جماعة أخرى تقييمات وتقديرات ، أو اتجاهات تقويمية فى حين نظر إليها فريق آخر على أنها عوامل شعورية ، أو أنها تنظيمات معقدة لأحكام عقلية إنفعالية ؛ ومنهم من اعتبرها الأغراض أو الرغبات أو الحاجات ، أو أنها الصفات التى يفضلها الأفراد ، كما وجد أن من العلماء من يعتبرها محددات لتعامل الفرد وتوافقه مع ما يواجهه فى الحياة ، أو أنها

تنظيمات نفسية توجه الفرد إلى السلوك المعين فى المواقف الاجتماعية المختلفة .. وهكذا عديد من وجهات النظر حول هذا المصطلح .

ورغم تعدد وجهات النظر هذه حول مفهوم القيمة ، فإنه من الملاحظ أن الاختلافات التى تبدو بين هذه التعريفات ليست كثيرة ، وأنها ترجع إلى اختلاف صياغتها ، أو إلى اختلاف تصور العلماء والباحثين لهذا المفهوم ، وليس إلى الاختلاف فى المفهوم نفسه ، لأن كل تعريف من هذه التعريفات ينتهى فى الواقع بإصدار حكم على كل ما يحيط بالإنسان .

طرق التعرف على القيم :

للتعرف على القيم طرق مختلفة ومتعددة فقد رأى بعض الباحثين أنه يمكن التعرف عليها عن طريق " التسجيل اليومى ، ووصف أوجه النشاط التى يقوم بها الفرد فى فترة معينة " (شيفل، ١٩٦٥ ، ٣٧) ، ويراعى فى هذه الطـــريقة تحديد أهم أنواع النشاط ، ومن يشترك معه ، والوقت المخصص لكل نوع منه ، والمكان الذى يقام فيه هذا النشاط .

كذلك يمكن استخدام " سير الحياة دون تنظيم معين حيث إنها تستطيع أن تكشف عن قيم الطفل " (برتشرد Pritchard ، ١٩٥٢، ١٥٨) أو كتابة الموضوعات العامة كأن يكتب الفرد موضوعات " تعبر عن إحساساته وآرائه التى تكون موضع إهتمام بالنسبة له " (شيفل ، ١٩٦٥ ، ٣٨) كأن يعرض مثلاً ما ينبغى أن يكون عليه سلوك الإنسان أو الصديق ... وهكذا .

وتحرى مجموعة أخرى استخدام الأساليب الإسقاطية للتعرف على القيم ، وذلك عن طريقة استجابة الفرد للصور التى تتضمن موضوعات متصلة بالعلاقات بين الأفراد سواء كانت بين البنت أو الولد ، أو الصغير والكبير ، وقد استخدم راش Raths هذه الطريقة عندما أراد تحليل القيم (محمد عماد الدين إسماعيل ، ١٩٥٩ ، ٥٧٥) ، كما أنه يمكن الحصول

على الاستجابة عن طريق إجابة الفرد عن عدد من الأسئلة التى تتصل وهذه الصور ، " كأن يسأل الفرد مثلاً ، ماذا تفعل إذا كنت فى موقف هذا الشخص - مشاراً إلى الصورة ؟ أو ما رأيك فى مثل هذا الموقف .. وهكذا (شيفل ، ١٩٦٥ ، ٣٦) . هذا ويتم التعرف على قيم الفرد بعد تفسير الإجابات عن هذه الأسئلة .

وتستخدم أيضاً استجابات الأفراد للقصص والمواقف التى يذكرها المدرس فى ملخص القصة ، وذلك عن طريق طرح عدد من الأسئلة مثل الأسئلة السابقة . هذا ؛ وتضاف الدراما الاجتماعية كطريقة من الطرق التى يستطيع عن طريقها الفرد إظهار شعوره الشخصى ، وعلاقته بمواقف المشكلة ، كذلك يمكن الاستدلال بالدور الذى يختاره الفرد ويتمسك به على قيمه ، ويؤكد ذلك كرونباك Cronback (١٩٤٩) بقوله: " إن الروايات التمثيلية تسهم فى بيان قيم الفرد ، وذلك لأن عن طريق الدور الذى يسعى الفرد إلى أخذه يستطيع أن يسقط ما لديه من قيم يعتنقها "(٤٧٥) .

ويرى فريق آخر أنه يمكن استخدام الملاحظة بأنواعها ، والتسجيلات الوصفية للتعرف على قيم التلاميذ ؛ فيستطيع المدرس ان يسجل كل ما يحدث داخل حجرة الدراسة ، وخاصة ما يتصل بالعلاقات بين الأفراد ، وكذلك تفاعل المجموعة مع الفرد ، ويرى "رايتستوى وآخرون " (١٩٥٦) " أن الملاحظة غالباً ما تكون محصورة فى ملاحظة سلوك الأفراد ، وأوجه نشاطهم المختلفة " . ويذكر " أنه سواء كانت هذه الملاحظة يومية ، أو محددة المواقف ، فإن الملاحظ يستطيع أن يستخلص قيم هؤلاء الأفراد الخلقية والإجتماعية " (ص ٥٥٦ ، ٥٥٧) .

وينبغى عند الملاحظة أو التسجيل أن يشار إلى ما يحدث من تغيرات فى العلاقات والظروف التى على أساسها يتغير مدى اشتراك الفرد مع الجماعة ، وأن يستمر هذا التسجيل لمدة عدد من الأسابيع أو الشهور ، كما

أنه يجب تعيين أوقات خاصة لملاحظة سلوك الأفراد ، يتم فيها تدوين علاقة الفرد بالمجموعة وذلك لمدة ساعة أو ساعتين ، مع ضرورة وصف عمل الفرد أثناء الملاحظة والاهتمام باستجاباته تجاه المجموعة ، ومدى تفاعله معها .

كذلك تستطيع المناقشات التى تدور بين الأفراد أن تؤدى إلى معرفة القيم التى يتمسك بها هؤلاء الأفراد ، هذا وللرغبات دور فى بيان القيم لدى الأفراد فيستطيع الفرد أن ينبئ عن قيمه عن طريق اختياره لأهم الرغبات التى يتمناها ، وفى هذا يقول شيفل (١٩٦٥) " أنه يمكن عرض رغبات ثلاث يتم عن طريقها تحديد قيم الشخص " (ص ٤٠) .

كما أن المذكرات الشخصية التى يقوم بتسجيلها الأفراد ، وكتابة القصص دون التقيد بتنظيم معين تمكن من معرفة القيم ، وقد أشارت إلى هذه الطريقة " كارسون " (١٩٥١) حيث أشارت إلى " أن المذكرات الشخصية هى السجل الذى يسجل فيه المتفوق أوجه النشاط ، والناس الذين يتعامل معهم ، وعن طريقها يمكن التعرف على قيمه " (ص ٤٤٦) .

كل هذه الطرق يمكن أن تسهم إسهاماً إيجابياً فى التعرف على القيم بعد أن يتم تحليل الاستجابات المختلفة ، والمحتويات المتعددة التى يحصل عليها الباحث ، ثم يقوم بتحديد العبارات التى تحمل القيم ، ويفسرها ثم ينقح ويعدل هذا التفسير ، وبعد ذلك تجمع القيم فى وحدات ضمنية وتتلوها عملية التصنيف والتبويب . وقد استخدم رالف هوايت (١٩٤٧) هذه الطريقة فى التعرف على القيم (محمد إبراهيم كاظم ، ١٩٦٥ ، ١٣٩) .

هذا ؛ وتستطيع الاختبارات والمقاييس أن تعطى صورة واضحة عن قيم الأفراد بطريقة دقيقة ، وخاصة تلك التى قام بتصميمها وتطبيقها عدد من العلماء المشتغلين بدراسة سلوك الإنسان ، وأوجدوا لها صدقاً وثباتاً ، ذلك

لأنها مرت قبل الوصول إلى الصدق والثبات بعدد من التجارب والتطبيقات العلمية السليمة التى أدت إلى صدق وثبات هذه الاختبارات ، وقد أكد ذلك ريشر Rescher (١٩٦٩) حين قال :" إن المقاييس التى تقيس القيم تعتبر من أحسن الوسائل التى تساعد على التعرف على القيم ، وخاصة المقاييس التى تصمم على أساس التفضيل " (ص ٦٨) ويشاركه الرأى كل من رايتستون وآخرون (١٩٥٦) حيث يعتبرون أن الاختبارات المقننة من أهم وسائل الكشف عن القيم " (ص٥٥٢).

ومما تقدم يمكن تحديد الطرق والوسائل التى يمكن استخدامها للتعرف على القيم :

١- طريقة تحليل محتويات السير .
٢- طريقة تحليل الموضوعات .
٣- طريقة المناقشة والحوار وغيرها من الأساليب التى تستخدم فى التعرف على القيم .
٤- الطرق الاسقاطية .
٥- طريقة استخدام الاستبيان .
٦- طريقة استخدام الاختبارات .

القيم والسلوك الاجتماعى:

بناء على واقع الحياة التى نعيشها اليوم ، وسط مناخ حضارى ينتقل بسرعة مذهلة ، بل ومخيفة فى الوقت نفسه . وبناء على سرعة ملاحقة هذا التطور العلمى والتكنولوجى لكل إنسان فى أى مكان من العالم اليوم ، وبناء على كم المغريات التى تخاطب ، وتغزو الإنسان بهدف إعادة تكوينه وتشكيله وفق القوة الواحدة التى تسعى بكل ما تملك من طرق ووسائل للسيطرة على العالم لاستغلال ما فيه ومن فيه لصالحها ، وصالحه فقط ، فإنه يجب علينا . بل وفرض علينا أن نتمسك بقيمنا . ونسعى بكل ما نملك من طرق ووسائل لتعميق هذه القيم ، لأنها هى الأساس الأول الذى يجعل للإنسان محددات

واضحة لشخصيته ، والتى على أساسها يمكن أن تكون لديها القدرة على دفع السلوك تجاه المحافظة على وجودها ، والإحساس بإنسانيتها فى هذا الواقع المؤلم الذى يعيش الإنسان فى هذا العصر .

ومن هنا كان للقيم الشخصية والاجتماعية أهمية بالغة لما لها من دور بناء فى تكوين وبناء الشخصية الإنسانية ، وتوجيهها الوجهة التى يتم من خلالها تحقيق أهدافه ، وإشباع حاجاته ، ومدى تفاعله ، واندماجه فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ولهذا كان للمحافظة على كل من القيم الشخصية والاجتماعية ضرورة لابد منها ، لما لها من دور إيجابى فى دفع السلوك الإنسانى لتحقيق كل من أهداف الفرد والمجتمع – على حد سواء – بما يعود عليه بالخير والتقدم . بحيث لا يحدث تضارب بين الهدفين، وبحيث يصبح مقدار التفاعل بين أفراد المجتمع إلى أعلى درجة . بما يسهم فى تشكيل سلوك اجتماعى متميز ، يمكن المجتمع من المحافظة على ذاتيته ، والتصدى لأى محاولة للقضاء على هذه الذاتية أو النيل منها بأية طريقة أو وسيلة من الوسائل الحديثة .

ويعد التركيز على القيم كأساس لدفع السلوك الإنسانى نحو بناء ذاتية المجتمع ، والعمـــل على تميزه ؛ لأن القيـــم لا تقف عند حد ، ومستوى التفكير الفلسفى ؛ كإطار يحدد ملامح المجتمع . بل أنها " تتغلغل فى حياة الناس أفراد وجماعات ، وترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها ، لأن القيمة ترتبط بدوافع السلوك ، وبالآمال والأهداف... " .

ويلاحظ أن هذه المقولة تؤكد على ما للقيم من دور أساسى وهام فى تشكيل السلوك الاجتماعى للإنسان بما يمكنه من إدراك معنى الحياة وقيمتها عند كل من الفرد والمجتمع . حيث إن الإنسان يسعى فى حياته إلى بذل أقصى من طاقة فى سبيل تحقيق الأهداف ذات القيمـــة العالية . والأمر لا يختلف كثيراً بالنسبة لأفراد المجتمع ؛ فهم يبذلون الجهد كل الجهد فى سبيل

تحقيق أهدافهم أو المحافظة على وجودهم ، وصيانة ذاتهم من التغيير والتبديل أو التعديل . لذلك كان – ولا يزال – للقيم الأهمية الكبرى فى تكوين وبناء السلوك الاجتماعى الصحيح الذى تم عن طريقه المحافظة على الذات .

وتعتبر القيم هى مصدر الالتزام الخلقى تجاه ما يحدث من تغيرات وتطورات فى مختلف أمور الحياة بالنسبة للفرد والمجتمع . حيث يسعيان إلى المحافظة على وجودهما ، والعمل على إبقاء ما هما عليه من قيم ، ومعايير، ومحددات تشكل نمط سلوكهما ، وتصرفاتهما تجاه مختلف مواقف الحياة . وهما يقدمان على مثل هذا التحدى والتصدى لكل ما يسعى لنزعهما من أصولهما عن طريق تمسكهما بالقيم التى ارتضوها لحياتهما .

كما أن القيم لا تقف ضد كل ما يؤدى إلى تغييـر حياة الإنسان ، ونظامه ، وخاصة ما يقضى على أهم ملامح شخصية الفرد والمجتمع ، إنما قد تقف مع بعض أنواع التغيير ، والتعديل والتبديل مادام سيصل على تحقيق ما هو أفضل لحياة الفرد والمجتمع . حيث إنه قد يحدث من الظروف ، والأحوال ، والدوافع التى تدعو إلى ضرورة تعديل السلوك وتغييره . وعندئذ تقوم القيم – كمحددات للسلوك الإنسانى ، ولأفراد المجتمعات – بدعم عمليات التغيير ، بعد أعمال العقل لفهم ما سيترتب على مثل هذا التغيير ، فتتقدم بعض أنواع القيم التى تدفع الفرد والجماعات لفهم حقيقة الأمر – وإن بدى هذا أمراً صعباً – فإن القيم تستطيع أن تسهم فى تيسير وتخطى هذه الظروف بنجاح أكيد .

هذا ؛ وبناء على ما تقدم من العرض السابق لمفهوم القيم ؛ فإنه يمكن القول بأنها مصدراً أساسياً لكثير من خبرات الإنسان الحياتية ، والتى تساعده على إحداث أكبر قدر من التفاعل بينه وبين غيره من أفراد المجتمع . فضلاً عن أنها تساعده على حل ما قد يعترضه من صراعات حيال مواقف الحياة ؛ وذلك بناء على سرعة إصدار الأحكام لإنهاء مواقف الصراع ، وإصدار السلوك السوى الذى يحقق التوازن فى شخصية كل من الفرد والمجتمع .

الفصل السابع

(وسائل الإعلام والسلوك الاجتماعى)

- تقديم .
- مفهـــــــوم الرأى العـــــــــام .
- وسائل الإعلام واستخدامها للبعد النفسى.
- الإعـــــلام قائـــــــد أم منقـــــــاد .
- الرأى العـــــام والســـلوك الاجتماعى .
- قيــــــاس الرأى العـــــــام .

تقديـــــم :

تقوم وسائل الإعلام بدور أساسى وهام فى بناء الرأى العام . حيث تبث كافة المعلومات والأخبار ، والوقائع ، وتعرض للأفكار والمذاهب بهدف تكوين رأياً عاماً يحدد اتجاه الجماهير ويحركها عن طريق إثارة المشاعر ، ومخاطبة الوجدان ، واستخدام المنطق فى تثبيت المعلومات فى عقول الجماهير .

وتبدو خطورة أجهزة الإعلام فى أنها تبث ذلك كله بأسلوب يدعو الإنسان إلى الاعتناق والاعتقاد ، ذلك لأنه يستخدم فى بناء الرأى العام أساليب ديمقراطية كالمناقشة والحوار ينتهيان بحكم يجعل القارئ أو المستمع أو المشاهد على درجة من الاقتناع .

ولهذا فإن أجهزة الإعلام تعد من الخطورة بمكان إذا لم تكن على درجة عالية من الصدق والأمانة ، والانتماء للوطن قلباً وقالباً. وأن يتحلى العاملون فيها بنمط من الثقافة يتوافق والتاريخ الحضارى للأمة ، بما يساعد أفراد المجتمع على أن يكونوا على أعلى مستوى من التوافق الثقافى والاقتناع به ، والعمل على تعميمه وتنميته .

ولا يقتصر دور أجهزة الإعلام على تكوين الرأى العام فقط . بل يمتد ليتحول هذا الرأى إلى أنماط من السلوك الفعلى يأتى بها الإنسان فى تعامله مع غيره من أفراد المجتمع . ويصبغ الجماعة بصبغة تميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى .

وما يجعلنا ندرك أهمية وخطورة وسائل الإعلام فى تكوين الرأى بالعام ، ما يطرأ على المجتمع المعاصر من تغيرات سريعة، ومتلاحقة وكثرة الكم الهائل من المعلومات والأخبار والمفاهيم نتيجة للتطور العلمى والتكنولوجى السريع ، والذى يتفق وإيقاع العصر . حيث لا يستطيع إنسان

هذا العصر الحصول على المعلومات والأخبار من مصادرها الحقيقية ، بل يعتمد الآن كل الاعتماد على كافة أجهزة ووسائل الإعلام المتعددة فى الحصول على المعلومات . وهنا تكمن خطورة هذه الأجهزة فى عملية بناء وتكوين إنسان هذا العصر ، وتشكيل نمط شخصيته .

مفهوم الرأى العام :

إن المتتبع لدراسة الرأى العام يجد عديداً من المفاهيم التى حاولت تحديد هذا المفهوم فمنهم من يرى أن الرأى العام عبارة عن مؤثر للمعتقدات الشائعة والسائدة ، وبعضهم يعتبره الإدراك العام لدى مجموعة من الناس تجاه موضوع معين ، وبعض الباحثين يعتبرونه الصورة النهائية لآراء محددة سبق مناقشتها ، والعمل على تثبيتها ، وشيوعها بين مجموعة من الأفراد . أو أنه عبارة عن اتفاق بين الناس حول مسألة من المسائل التى يهتمون بها .

ويشكل تحديد مفهوم الرأى العام أهمية بالغة فى إحداث كثير من التغيرات ، والتطورات فى داخل المجتمع ، وهو يتطلب قدراً كبير من الحرية كى يتم تكوينه ؛ كالحوار والمناقشة بين الأفراد . كما أنه يحتاج لإثارة الجانب العاطفى الانفعالى لديهم . فضلاً عن العمل على نشره ، والسعى لدفع الناس لاعتناقه ، وبذل الجهد لتحويله إلى واقع ملموس تغييراً ، أو تطويراً ، أو تنظيماً .

وفيما يلى عرض لأهم وجهة نظر فى تحديد مفهوم الرأى العام ، وهى التى سعى لتحديدها " ألبورت " (١٩٣٧) ، حيث يرى أن الرأى العام عبارة عن تعبير مجموعة من الأفراد واسع الانتشار عن موضوع معين ، أو موقف محدد . بما يؤدى إلى إصدار أنواع محددة من السلوك تعبيراً عن هذا الموضوع العام ، وبما يؤدى إلى الاعتقاد رفضاً أو قبولاً لهذا الموضوع . وهو تعبير عن أهداف مشتركة بين مجموعة من الأفراد له قوة تصل إلى حد

تحقيق الأهداف التى يعبر عنها الرأى العام .

ومن هذا يبدو واضحاً أن الرأى العام يرتبط بموضوع معين يهم أكبر عدد من أفراد المجتمع ، فيتخذون موقفاً واضحاً حياله بحيث يعبر هذا الموقف عن الموضوع ذاته . وقد يكون هذا التعبير فى شكل رفض أو قبول، ولابد أن يكون هذا الرأى على درجة كبيرة من القوة . بما يؤدى إلى تحريك أولاء الأمر لاتخاذ إجراءات سريعة حيال هذا الهدف ترضى الجميع .

وسائل الإعلام واستخدامها للبعد النفسى للإنسان :

تعتمد عملية الاتصال Communication بين أجهزة الإعلام على عوامل أساسية هى المرسل وهو من يقوم بإرسال رسالة أو من يعمل فى أى جهاز من أجهزة الإعلام لتوصيل الرسالة . والمستقبل وهو مجموع الناس أو الجماهير التى تتلقى المعلومة . والمادة المنقولة التى يهدف الإعلامى توصيلها ، ووسيلة النقل كالإذاعة أو التليفزيون ، أو الصحف والمجلات ..... مستخدماً فيها اللغة والأشكال والصور والمؤثرات الصوتية ، ومختلف الفنيات التى من شأنها أن تخاطب الجانب الوجدانى لدى الإنسان ، ويصبح لها تأثير قوى على عقل الإنسان ، وتحدد بدرجة كبيرة نمط شخصيته .

وعندما نشير إلى أهمية البعد النفسى فى توصيل الخبر أو المعلومة أو الرسالة إلى الجماهير ، فإننا نعتبر أن ما يقدم عن طريق هذه الأجهزة الإعلامية من رسائل أو أخبار أو معلومات بصدد مثيرات فى غاية من القوة لاستخدامها كافة أساليب وفنيات العمل الإعلامى الذى يؤثر بشكل كبير على السلوك الإنسانى - يستجيب لها السامع أو الرأى أو القارئ - المستقبلون - الاستجابة التى تتفق ونوعية المثيرات المقدمة . ومن يعملون فى هذا المجال يدركون جيداً مكونات الشخصية الإنسانية بدوافعها وحاجاتها ، وغرائزها ، وخبراتها ، ومستوى تعليمها وثقافتها ، وميولها . ولذلك يكون لكل ما تقدمه

أجهزة الإعلام من رسائل ذات تأثير فعّال على شخصيتهم وعلى الرأى العام لديهم .

وهذا ؛ يتطلب إدراك إعلامى بأسس توصيل الرسالة وهى : إدراك حاجات المستقبل ، وإشباعها بمستوى يقلل من حدة التوتر الناشئ عن هذه الحاجات وإدراك الحالة النفسية للمستقبل ، وبث الخبر فى وقت مناسب وبأسلوب جيد التوصيل ، وبصياغة سهلة ، وتهيئة المناخ الذى تبث فيه الرسالة حتى لا يلحق بها التحريف ، فتصل الرسالة بالصورة المطلوبة ، والاهتمام باللغة المستخدمة لتوصيل الرسالة بحيث تكون سهلة واضحة ، وإذا استخدمت الرموز لتوصيل الرسالة لابد من أن تكون دلالة الرموز واضحة لدى المستقبلين . هذا ؛ بالإضافة إلى استخدام مثيرات قوية تلفت انتباه المستقبل وتجعله يهتم بمتابعة الخبر أو المعلومة أو الرسالة .

وحتى يحقق الإعلام رسالته لابد أن يراعى مدى قبول واهتمام الناس بنوع البث الإعلامى ، وهذا يتطلب دراسة حاجات الناس النفسية للعمل على إشباعها بما لا يتعارض مع الأهداف السامية للبث الإعلامى ، فإذا كان الجمهور فى حاجة إلى إشباع رغبتهم فى حب الاستطلاع ومعرفة المعلومات، والأخبار فإنه يجب ان يتم ذلك فى إطار من القيم والمعايير والمعتقدات التى يعتقدها الجمهور والتى تؤدى به إلى النمو والتقدم .

مما تقدم يبدو واضحاً مدى إسهام مختلف أجهزة الإعلام – سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية – فى عملية التنشئة الاجتماعية ، ومدى ما يكون عليه أفراد المجتمع أو انعزالها عنه ، ومدى إيجابيتها أو سلبيتها . وبشكل عام مدى إمكانية إسهامها فى نمو وتقدم ورقى المجتمع .

الإعلام قائد أم منقاد :

إن الإعلام برسائله يعكس صورة المجتمع ، وما يجرى به ، وما يدور

حوله من أخبار العالم . ولذلك فإن الإعلام بإمكانياته ، وما له من قوة مؤثرة على الإنسان يقود الرأى العام مؤثراً على مختلف جماعاته ، وطوائفه ، وأعماره . وهذا ما يجعلنا نعتقد تمام الاعتقاد فى أن الإعلام قائد لا منقاد ، فهو يقود أفراد المجتمع عن طريق تكوين أنماط شخصياتهم ، وبناء الرأى العام بالنسبة لهم ، وليس منقاداً لأهواء الناس ورغباتهم ، وميولهم . فهى تشبع حاجات الأفراد فى الاتجاه الإيجابى ، لا السلبى ، وتقوم عملية الكف لمختلف الدوافع التى من شأنها أن تؤثر تأثيراً سلبياً على نمط شخصيتهم . ومن هنا تصبح للأجهزة الإعلامية الدور الإيجابى الذى يسهم فى بناء شخصية المواطن الصالح ذو الرأى السليم .

وأن ما تقوم به أجهزة الإعلام من دراسات وبحوث ينبغى أن تكون لها أهداف وأغراض تفوق مراعاة أهواء ورغبات المستقبل ذلك لأنه قد تكون هذه الأهواء أو الرغبات سيئة بالشكل الذى يعوق عملية نمو الفرد داخل المجتمع ، بل تدعوه إلى تكوين نمط من الشخصية لا يتطلبه الوطن وخاصة فى هذا العصر الذى يتطلب أفراد ومجتمعات على درجة عالية من النمو الثقافى ، والوجدانى مما يجعلهم قادرين على الإسهام فى نمو المجتمع وتقدمه، لا آخذه إلى حافة الهاوية عن طريق تلبية الأهواء والرغبات الفاسدة.

انطلاقاً من أن الإعلام له تأثيره فى سلوك الفرد والمجتمع ، فلابد أن يكون حريصاً فى نقل مختلف الأخبار التى من شأنها أن تسهم فى النمو الثقافى لديهم ، بحيث تتسم بالدقة ، والصدق ، والوضوح بما يساعد على تكوين رأى عام سليم يقود الدولة إلى التقدم والتطور . كما يقع على عاتق الجهاز الإعلامى مسئولية المحافظة على أصالة الشعب وتراثه ، مع اعتبار مراعاة التغيرات الثقافية الجديدة ، والأخذ بها. والتى من شأنها أن تدعم أصالة الشعب وتحافظ على تراثه ، فضلاً عن قيامه بتنقية التراث من الخرافات التى تدخل إليه عن طريق الآخرين للتقليل من قيمته – أى التراث– فى بناء الشخصية السليمة .

هذا ؛ ما دعا المتخصصين فى مجال الإعلام إلى وضع بعض الأسس الذى يتم عن طريقها البث الإعلامى من بينهم " إبراهيم إمام" (١٩٦٩) الذى يرى عند عرض قضية من القضايا ، يجب أن تعرض وجهتى النظر فى هذه القضايا حتى يتفهم الإنسان العادى حقيقة الأمور . وأن يلتزم بالموضوعية ، وعدم التحيز أثناء عرض وجهتى النظر .

الرأى العام والسلوك الاجتماعى

تقديم :

يعد الرأى العام من المثيرات الأكثر تأثيراً فى استجابات الشعوب حيث يرتبط بما يبذله الأفراد من نشاط وسلوك ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة .ويمثل مثيراً يستجيب إليه مختلف الأفراد فى المجتمع الواحد موحداً سلوكهم ومحدداً وجهته ، ويعتبر من أهم موجهات السلوك بالنسبة للقادة ولذلك كثيراً ما يهتم القادة الديمقراطيون باستطلاع الرأى العام من حين إلى آخر . ذلك لأنه يعد مؤشرات لمدى ثبات النظام واستقراره .

كما أنه يسهم فى تحديد الاتجاهات السياسية داخل الدولة ، وبينها وبين غيرها من الدول ، ولذلك يشكل الرأى العام المنطلق الأول لممارسة الديمقراطية فمثلاً فى رسم سياسة ونظام الحكم فى الدولة بحيث يسير وفق ما يتطلبه أفراد المجتمع من حاجات ومتطلبات تســهم فى تحقيق مستوى أفضل من الحياة داخل المجتمع. وهو مؤشــر يشــير إلى كثير من مواضع الضعف الحقيقية ، والقوة. لهذا ، فهو وسيلة هامة وأساسية فى جمع شمل الجماعة وتوجيهها نحو ما هو أفضل لحياة الأفراد والشعوب .

المجالات التى يؤثر فيها الرأى العام :

يسهم الرأى فى مجالات متعددة ، هى التى تحدد خط سير الحياة فى الدولة وترسم نظامها وتؤثر فى سياستها ومن أهم هذه المجالات التخطيط . حيث تتم عمليات التخطيط لإحداث النمو والتقدم وحل المشكلات عن طريق

معرفة وجهة نظر الرأى العام لأفراد المجتمع . كما يؤثر على كل من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية . فيوجهها الوجهات التى تتفق والرأى العام فى الدولة ويؤثر أيضاً فى وضع الخطوط العريضة لكثير من الأمور التى تســـهم فى عملية النظام والنمو داخل المجتمع . فالرأى العام يحدد وبدرجة كبيرة ما ينبغى أن يكون ، وما لا ينبغى أن يكون، ويشير بوضوح إلى ما ينبغى أن يتحمله الفرد والجماعة من مستوى المسئولية فضلاً عن دوره فى تحديد كثير من النظم التشريعية والأساليب التى تحكم الجماعة .

هذا ؛ ويؤثر الرأى بشكل كبير فى القرارات التى يتخذها القادة بحيث لا تتعارض ووجهات نظر مجموع الأفراد والجماعات. فضلاً عن إسهامه فى عملية التنبؤ بما سيصدر من الناس من سلوك تجاه هذه القرارات . بالإضافة إلى أثره فى إحداث مستويات التكيف والتوافق داخل المجتمع الواحد .

وللرأى العام أثره الذى لا ينكر فى إحداث كثير من عمليات التأثير على الاتجاهات ، وإحداث التغير الاجتماعى ، وتعزيز السلوك المراد تثبيته فى داخل المجتمع ، والحد من كثير من الأنماط السلوكية – التى تظهر فى المجتمع من وقت إلى آخر – والتى من شأنها أن تنحرف بأفراده . والرأى العام ذو قوة مؤثرة فى دعم كثير من المؤسسات والهيئات والنظم ، وتحديد معدل نشاطها ودرجته ، وله فاعلية كبيرة من إرهاصات الثورة التى تعكس اتجاهات وميول أفراد المجتمع والحفـــاظ على مستوى الروح المعنوية لأفراد الجماعة .

قياس الرأى العام :

ويحدد الرأى العام لأى مجموعة من الأفراد على أساس استخدام عدد من الأساليب أو الطرق التى تفيد فى دراسته وتحديده وبلورته ، وذلك لأنها

تتيح لمستخدمها قدراً كبيراً من المعلومات والبيانات التى تمكنه من وضع يده على حقيقة الأمور والموضوعات ومدى إمكانية إحداث التغيير فى هذه الموضوعات.

ويبدأ قياس الرأى العام أولاً بتحديد موضوع الدراسة التى يراد كشف حقائقها ، ومعرفة أبعادها . ثم تحديد المشكلة بعينها ، ومعرفة مختلف جوانبها ، لتيسير عملية تحليليها ، ووضع الفروض التى تعين على تفسيرها، وبعد هذا يتم الاتفاق على اختيار نوعية العينة التى يراد معرفة الرأى العام عن طريقها ، وتكون الأدوات أو الأساليب التى ستستخدم فى هذه الدراسة قد أعدت مسبقاً . حيث يتم إجرائها على هذه العينة المختارة .

وسائل قياس الرأى العام :

يعتمد المسئولون فى دراستهم للرأى العام على كثير من الطرق والوسائل التى تمدهم بالبيانات والمعلومات ، والتصورات التى لدى غالبية أفراد المجتمع ؛ ومن بين هذه الوســائل ؛ الملاحظة ، والاستفتاء ، والمقابلة لمعرفة كل من الأحوال والأفعال التى تصدر عن الناس فى مختلف مواقفهم فى الحياة ، بهدف الوصول إلى تحديد الرأى العام . وفيما يلى عرض سريع موجز لبعض هذه الطرق والوسائل .

الملاحظة :

تسهم الملاحظة بشكل كبير فى عملية إدراك الرأى العام لدى أفراد المجتمع ؛ حيث تعتمد على عدد من الملاحظين المتمرسين على القيام بهذا العمل ، وأصحاب الخبرة فى هذا الأمر ، بهدف الوصول إلى المعلومات والبيانات والتصورات التى يمكن الإفادة منها فى تحديد الرأى العام لأفراد المجتمع . حيث يقومون بتسجيل كل ما يلاحظونه من الأحوال ، والأفعال ، والتصورات التى تصدر عن أفراد المجتمع ، ويتم هذا بشكل حرفى . أى دون تدخل من الملاحظ عند تسجيل الملاحظة سواء بالتعليق أو التفسير ، أو

تغيير أى حرف من الحروف الصادرة عن مصدر الملاحظة .

ثم تخضع بعد ذلك كل الملاحظات القولية ، والفعلية ، أو التصورية للدراسة والتحليل من قبل متخصصين فى هذا الأمر للوصول وتحديد الرأى العام .

وتعتبر هذه الوسيلة من الوسائل الأكثر شيوعاً واستخداماً فى مجال دراسة ومعرفة الرأى العام .

الاستفتاء :

يعتمد محددى ودارسى الرأى العام على الاستفتاء كوسيلة يمكن الوثوق بها لجمع البيانات والمعلومات . ويتم إجراء الاستفتاء على عينة ممثلة للمجتمع الذى يراد معرفة الرأى العام لديه .

ويعتمد الاستفتاء على أساس تحديد موضوع الرأى العام المراد معرفته ثم وضع عدد من العبارات التى تترجم هذا الموضوع فى شكل أسئلة يجاب عنها من قبل أفراد العينة الممثلة لأفراد المجتمع .

ويقوم المتخصصون بعد ذلك بتجميع البيانات والمعلومات التى تم الحصول عليها عن طريق هذا الاستفتاء ، وتحليلها وتفسيرها ، والوصول إلى كتابة تقرير نهائى يعرض موضوع الرأى العام الذى كانوا بصدد تحديده ودراسته .

المقابلة :

وتعتبر المقابلة من الأدوات والوسائل التى يعتمد عليها الباحثون والدارسون للرأى العام . لأنها تعد وسيلة مباشرة . حيث يتم الحصول على البيانات والمعلومات ، وتسجيل التصورات حول موضوع الرأى العام ، عن طريق اللقاء المباشر لأفراد العينة المراد معرفة الرأى العام لديهم . وتعتمد

على استثارة الفرد للحصول على معلومات معينة . فضلاً عن أن المقابلة تساعد على كشف بعض الجوانب التى لا يمكن الحصول عليها عن طريق الملاحظة أو الاستفتاء . حيث أنه يمكن للدارس أن يسجل مختلف أنواع الانفعالات خلال إجراء هذه المقابلة ، وتحديد عمق وسطحية الرأى العام المراد معرفته . وهذا ما لا تستطيع الوسائل الأخرى الوصول إليه .

وتقوم المقابلة على أساس تحديد الهدف منها ، وبيـــان الغرض الأساسى من إجرائها . ولذلك تتعدد وتتنوع ، وتختلف أنواع المقابلة تبعاً لغرضها وهدفها . وهى – المقابلة – تحتاج إلى شخصية مدربة تدريباً عالياً على استخدامها لجمع البيانات والمعلومات . وتحديد التصورات لدى أفراد مجتمع معين . فضلاً عن ضرورة توافر الشروط الأساسية للمقابلة الجيدة .

الفصل الثامن

(المنافق والسلوك الاجتماعى)

- تقديــــــــــم .
- مفهـــــــوم النفــــــاق .
- النفـــــاق والكـــــــذب .
- دور المنافقين فى العلاقات الاجتماعية.
- الإســـــلام والشـــــخصية المنافقة .

تقديــــم :

المنافق نمط من الشخصية تتشكل بأشكال متعددة تمشياً منها مع كل الجماعات متظاهرة بالحب والود لكل جماعة على أساس من الخداع بهدف الوصول إلى أهدافها ، ظناً منها أن مثل هذا السلوك يحقق لها كل ما تبغى من مطامع . ومثل هذه الأنماط من الشخصية ، تشكل خطراً كبيراً على المجتمعات ونموها ، ومدى تقدمها .

ووسيلتها إلى ذلك إجادة الكلام وإتقانه ، والتقرب بصور متعددة ممن بيده السلطة ، والتى يظن أنها ستحقق آماله ، ولذلك فهى تتشيع لآرائه ، وتظهر تبنيها لها والعمل على نشرها بكافة الطرق والوسائل ، وليس لديها دوافع الإيمان بهذه الآراء ، أو تلك الأفكار ما يدفعها إلى إصدار السلوك الصادق الأمين نحو هذه الآراء . بل هى تفعل هذا ظناً منها أنها تحمى نفسها من ضرر من بيده السلطة أو الأمر .

ولذلك إذا مازالت السلطة ، وآلت إلى فريق آخر ، أو شخص آخر ، فإن المنافق سرعان ما ينتهز الفرصة المناسبة ليعلن ولاءه ، وحبه الشديد لصاحب السلطة الجديد ، ومثل هذه الأنماط من الشخصية يجب أن يقضى عليها فى أى مجتمع من المجتمعات لأنها تمثل طريقة إلى الانحطاط والفساد والتخلف ، ومنحدرة إلى العبودية والاستعباد.

ومن علامات هذه الشخصية ظهور عدد من السمات فى مقدمتها التسلق ، والوصولية ، والحقد ، والغيرة ، والغيبة والنميمة بهدف التقليل من شأن الآخرين وتحقيرهم ، ظناً منها أن مثل هذه السلوك يعلى من شأنها بين يدى السلطة . وأن مثل هذا الأسلوب سيمكنه – أى المنافق – من النيل ممن هم يعتبرون أهل الثقة بالنسبة للسلطة . وبذلك يزعزع الثقة فيهم ، ويقترب هو ، ويحل محلهم ، فيسعى من هذا المكان إلى تحقيق أغراضه الدنيئة ، وأهدافه الحقيرة .

وهى نمط من الشخصية لا تستطيع العمل فى وضح النهار ، إنما تتميز بالعمل فى الخفاء ، وبين " الكواليس " فخططها فى السر. حيث إنه ليس لديها من الشجاعة والجرأة ما يجعلها قادرة على إثبات وجودها بين المجتمع بالعمل الجاد المخلص الأمين . إنما وسيلتها التى تتبعها هى الخداع والكذب والغش والمكر قولاً وفعلاً فى كل ما يصدر عنها من سلوك . وقد تعمل فى وضح النهار بعد أن تصل إلى مستوى من ممارسة النفاق يجعلها تعتقد فى صدق ما تقول أو تفعل .

وهى شخصية تدعى لنفسها قدراً كبيراً من الذكاء ، وترى أن لديها مقدرة عالية على الإقناع . ولذا فهى عادة ما تتسم بالغرور والعجب وتلك صفة من صفات الشـيطان ، ولذلك فهى شخصية يمكن وصفها بأنها شيطانية لأن سلوكها يتفق وما يصدر عن الشيطان من تصوره بأنه قادر على إفساد البشر جميعاً .. ولذلك فإنه يمكن القول أن مثل هذا النمط من الشخصية تلحق الضرر بنفسها دون أن تدرى . حيث إنها تكشف عن حقيقتها، ومن يعاملها يكون مدركاً لذلك ، وعادة ما تستخدم لصالح غيرها من الناس ، وكذلك فهى لا تضر غيرها ، بقدر ما تضر نفسها كشخصية يجب أن تسعى لنيل الاحترام والتقدير بين الناس .

النفـــــاق :

النفاق سلوك فردى يؤثر فى المجتمع تأثيراً سلبياً ، ويتصف بالضعف، والتردد ، والخداع ، والكذب ، والعصبية ، والانتهازية، والوصولية ، والتخلى عن المبادئ ، والتحلل من القيم ، وعدم الالتزام بالعادات والتقاليد الاجتماعية ، وبذلك تصبح الشخصية المنافقة هى التى تسلك فى معاملاتها الاجتماعية وفق هذه المعايير التى يتسم بها المنافق ويتبناها متخذاً التبرير وسيلة دفاعية ، يدافع بها عن نفسه لكل ما يصدر عنه من سلوك . كما أنها تتسم بضعف مستوى الاستبصار بالذات Self insight . حيث الخوف من مكاشفة الذات والتعرف عليها ، وتصور أنها على صح وأن ما تفعله هو

الصواب ، وتصدق ما تصنع لنفسها من أسباب إصدار السلوك ، وتعتقد فى صحته . وأنها على حق فيما تقول أو تفعل . بل وأنها لا تقع فى دائرة الخطأ على الإطلاق . ولذلك فهى تتسم بالتردد والتخبط فيما يصدر عنها من سلوك.

النفاق والكذب :

إن محاولة دراسة الفرق بين النفاق والكذب ، يدعونا إلى القول بأن الإنسان الذى لا يتسم بسمة النفاق لا يميل بطبعه إلى الكذب ، ولا يلجأ إليه إلا إذا دعته الظروف لبيان موقفه حيال موضوع ما . وأنه يجد من الضرورى أن يحمى نفسه من نظرات المجتمع المحيط به عن طريق اضطراره إلى الكذب كمبرر للخروج من مأزق أو موقف يلحق به الضرر . والكذب فى هذه الحالة سلوك غير عادى بالنسبة للإنسان الذى يدرك بدرجة ما أن الكذب صفة مذمومة . إنما لجأ إليه ليعالج موقف أو ظرف طارئ فى حياته ، يدفع به ضرراً يقع على شخصيته . وبذلك يكون الكذب سلوك طارئ فى حياته ، وغير عادى . بل إن مثل هذا الإنسان كثيراً ما يلجأ إلى تأنيب ذاته ، والنيل منها بسبب لجوئه إلى هذا السلوك محاولة منه للخروج من موقف يلحق به ضرراً اجتماعياً.

ولكن النفاق سمة من أهم مكوناتها الكذب ، والكذب أصل أو استعداد موجود لدى الشخصية المنافقة . حيث يكون المنافق مهيئاً لممارسة مختلف أساليب التضليل ، والمراوغة لإخفاء الحقيقة ، أو لبيان أمر يهدف هو إلى تحقيقه . والكذب عند مثل هذه الشخصية – المنافقة– لا يكون مخالفاً لطبيعة مثل هذه الشخصية بل يجد لذة ، وميلاً لممارسته فى مختلف مواقف حياته . كما أنه يبدو غير عادياً فى الظروف العادية ، ذلك لأن الظروف العادية لا تتطلب ممارسة الكذب ، والكذب سمة ملاحقة له ، ولذلك يظل يشعر فى مثل هذه الظروف بأنه على غير طبيعته .

ويمكن القول بأن الكذب بالنسبة للشخصية المنافقة – كما قلنا– يشكل ضرباً من المتعة ، أو إحساساً بالقدرة على ممارسة مهارة لا يقدر عليها غيره ، فلا تهدأ نفسه ، ولا تستريح إلا إذا استمرت فى ممارسة هوايتها . والعكس على خلاف هذا إذا ما أجبر أو وضع وسط جماعة لا تتطلب مثل هذه النوعية من الشخصيات ، أو أن هذه الجماعة لها من الدين والخلق ما يجعلها ترفض وجود مثل هذه الشخصيات بينها فإنه يشعر بالقلق والاضطراب نتيجة لحرمانه من ممارسة هوايته المفضلة التى يعتز بها وهى الكذب .

والمنافق وإن كان يدرك على المستوى النظرى أن الكذب عيب خلقى وسيئة فى نمط الشخصية إلا أنه يمارسه فى عالمه أو واقعه . بل يرى أنه نوع من الكياسة ، والبراعة فى توصله إلى هدفه الذى يسعى إليه ، ولذلك غالباً ما يستخدمه فى عمليات المدح والإطــراء لمن يستهويهم ذلك ، وإن كانوا يدركون كذب هؤلاء المنافقين . بالإضافة إلى استخدامه كأسلوب يصل من خلاله إلى تحقيق مكاسب مادية ، ومراكز وظيفية دون بذل الجهد أو تحمل أعباء الوصول إليها بطريق شريف ، وهو يرى فيما يسلك نوعاً من التفوق إن لم يكن نوعاً من الابتكارية ليست لدى غيره من الناس .

وهكذا ؛ يظل المنافق يمارس سلوك الكذب إلى أن يصبح سلوكاً طبيعياً لديه . بل ويجد من أقرانه المنافقين تعزيزاً لهذا السلوك، ويشارك من يمدحهم الأقران فى عملية التعزيز لممارسة هذا السلوك . حيث إظهار الثناء على مقدرته ، وحسن دهائه الذى يستخدم فى سبيل الوصول إلى أهدافه . وبذلك يصاب بالعمى عن عيب وسيلته لتحقيق الأهداف .. إلى أن يصل إلى مستوى إحساسه بأنه صادق فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، ويعتبر المنافق أن الكذب الذى يمارسه بشكل طبيعى قدرة منحها الله إياها ، ولا يقدر عليها أحد . وبذلك يمحى من نفسه كل خلق طيب ، ويقضى سلوك النفاق على الإحساس بالعيب ، ويختفى الشعور بالذنب ، ويتحول إلى إحساس

بالتميز ، وشعور بالتفوق على غيره من الناس . بل نجد أن المنافق ينتابه القلق والاضطراب إذا لم يتح له المناخ الذى يمارس فيه مهارته ، والتى يشعر من خلالها بذاته .

مما تقدم من عرض سريع موجز للفرق بين المنافق والكاذب يتضح أن الكاذب إنسان عادى يرى فى مزاولته سلوك الكذب شيئاً مخالفاً لطبيعته ، شاعراً بأنه عيب ، وكثيراً ما يلجأ إلى تأنيب الذات على ممارسة هذا السلوك، بينما يمارسه المنافق كسلوك طبيعى بهدف إشباع حاجته لذلك ، وإرضاء ذاته ، وأنه سلوك عادى دون شعور بالذنب أو إحساس بأنه سلوك سئ ينبغى أن يبرأ منه ، وبذلك يصبح الكذب سمة ملازمة لشخصيته ومحددة لنمطها . بينما يكون الكذب بالنسبة للإنسان العادى صفة طارئة ألصقها بنفسه فى موقف من مواقف الحياة ، سرعان ما يسعى للتخلص منها ، وتطهير نفسه بعد ارتكابها .

دور المنافقين فى العلاقات الاجتماعية :

وللمنافقين دور خطير فى العلاقات الاجتماعية . حيث يشيعون الفساد فلا ينهون عن منكر ، بل يأمرون به ، ويسعون سعياً حثيثاً للنهى عن عمل الخير والمعروف ، وإشاعة الفتن بين صفوف الجماعة ، مستخدمين فى ذلك أساليبهم من الخداع والرياء، والكذب ، وإتقان الكلام وتحسينه ، والتردد الكاذب ، واستخدام حلف الأيمان المغلظة تأكيداً لصحة ما يفعلون ، محاولة منهم لتثبيت أفكارهم فى أذهان الناس ، وإظهار مدى صحة أقوالهم وأفعالهم، وهم لا يألون جهداً فى سبيل إظهار أنفسهم بمظهر الطهارة والنظافة ، وحسن المظهر للفت الأنظار إليهم فيما يقولون أو يفعلون .

الإسلام والشخصية المنافقة

تقديـــــم :

لقد ابتلى المجتمع الإسلامى بعدد من الشخصيات المنافقة ما لم يبتل به

أى مجتمع من مجتمعات العالم . حيث كانوا فى بداية[١] الدعوة الإسلامية يتظاهرون بالإيمان الشديد ، والورع والتقوى ، والغيرة على الإسلام ، وفى الواقع فى قلوبهم حقد ، وغل على الإسلام والمسلمين ، وكانوا إذا رأوا رسول الله " ﷺ" أظهروا له الحب والمودة ، وصلوا خلفه ، وفى حقيقة الأمر لا صلاة لهم ، ولا هم مؤمنون . وصدق قوله تعالى حين قال فيهم مخاطباً رسول الله " ﷺ" ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ (المنافقون : ١) ، وما أكثر ما يقسمون به من أيمان مغلظة ليؤكدوا دعواهم ، وكلها زور وبهتان .

وكم خدعوا الإسلام والمسلمين ، وكم دبروا المكايد والمؤامرات لهم . حيث سعوا إلى الاشتراك فى الحرب مع الرسول " ﷺ" ، ثم سرعان ما انسحبوا متعللين بعلل غير منطقية ، ليس لها أساس من الصحة حيث قالوا : ﴿ **يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ** ﴾ (الأحزاب : ١٣) وفى الحقيقة " وما هى بعورة " إنما يخفون فى أنفسهم الخداع للمسلمين حيث إنهم " إن يريدون إلا فراراً " .

وهم بذلك " يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون " (البقرة : ٩) بما أنهم ﴿ **فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ** ﴾ (البقرة : ١٠) ، ولذلك فهم مصدر للفساد ، وما يترتب عليه من آثار سيئة تلحق بأفراد المجتمع وتؤثر على مدى نموه وتقدمه . وهم بسلوكهم هذا ، وما ينشرون من فساد يتصورون أنهم مصلحون ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾ (البقرة : ١١ - ١٢) ، كما يتصورون أنهم أصلح العباد وأذكاهم ، فإذا دعوتهم إلى عمل

---

(١) فى المدينة المنورة .

صالح يتفق عليه عامة الناس يرون فى ذلك خطأ لا يأتى به إلا السفهاء **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾** (البقرة : ١٣) .

وهكذا ؛ فهم يمعنون فى غيّهم وتيههم معتقدين من كثرة ممارستهم لهذا السلوك أنهم أفضل الناس ، وأن ما يأتون به إنما هو عمل صالح ، وفى الحقيقة هم على أعلى درجة من الكذب الذى يعد مكوناً من مكونات الشخصية المنافقة فهم **﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾** (البقرة : ١٤) ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى سيجعلهم عبرة لمن يعتبر ، ويجعلهم موضع احتقار واستهزاء عند من يدركهم ، بل وأن **﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾** (البقرة : ١٥) .

والمنافقون مجموعة من الأفراد ينحرفون عن السلوك السوى السليم ذلك لأن الذى يتحكم فى إصدار سلوكهم هو الكذب والخداع ظناً منهم أن هذا السلوك يصل بهم إلى ما يصبون إليه من مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس. وهم فى الحقيقة يعملون على أساس من الجهل بحقيقة الحياة والغرض من العيش منها . ولذلك فهم يتسببون فى ضياع أهم عطاء من الله لعباده وهو الطبيعة الإنسانية الصحيحة ، فيصبحون أرضاً خصبة لوسوسة الشيطان فيأتون بكثير من الأعمال السيئة التى سيحاسبهم الله عليها إن آجلاً أو عاجلاً.

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى نتائج فعل الشخصية المنافقة التى تصورت – ظناً – أنها بفعلها السئ ستحقق كل ما تصبوا إليه من أهداف وآمال دنيوية ، حين قال :**﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾** (البقرة : ١٧-١٨).

وهكذا ؛ يمكن القول بأن الشخصية المنافقة تحدد بكثير من الأبعاد من أهمها الإتيان بالسلوك الذى لا يتفق وما هو موجود فى داخل الإنسان . ومن يسلك وفق هذا مآله إلى الخسران ، والاضطراب ، والقلق والضياع ، وبعدم تقبلهم لنصائح غيرهم ، والتعامى عن الحقيقة ونوعية السلوك السوى الذى ينبغى أن يسلكون ؛ فيصبح حالهم كما وصفه الله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ١٩) أى أنهم لا يسمعون الحق خوفاً منه لأنهم يتصورون أنه يؤدى بهم إلى الهلاك كموقف المنافقين من القرآن الكريم. ولذلك فهم صم عن الحق ، بكم عن الخير ، عمى عن طريق الهدى .

وهم بصممهم ، وبكمهم ، وعماهم لا يرون إلا شيئاً واحداً هو انتهاز الفرص لتحقيق مطامعهم دون مراعاة لشعور ومصالح غيرهم فيظلوا فى تماديهم فى ممارسة السلوك الذى يجلب لهم- حسب ظنهم – الزيادة فى الرزق ، والوقوف فى أماكن عالية تشراب إليها الأعناق ، وما هم بطوال القامة ، إنما هم أقزام بفعلهم الذى يتصورون أنهم عن طريقه يبنون مجدهم وعزتهم . هذا ؛ ودافعهم الأول والوحيد لما يسلكون هو مصالحهم الشخصية، وأهوائهم الذاتية ، يشدهم البريق الكاذب ، فيلهثون وراءه ، انتهازاً لفرص اللحاق به والاستفادة منه .

والمنافقون بكذبهم وخداعهم ، وتقلبهم ، وترددهم ، وفزعهم ، وجحودهم ونكرانهم للجميل ، يطمسون الحقائق ؛ بل ويزيفونها ، مستغلين ضعاف العقول والسذج من الناس للتشهير بمن يريدون ، لصالح أغراضهم ، وهم فى ذلك يزعمون بأنهم مصلحون .

كما أنــه ضاعت معالــم الإيمــان فــى قلوبهم ، فأصبح ليس لديهم القــدرة على الإدراك الســليم ، والفهــم الجــيد ، وقد أكد الله سبحانه

وتعـــالى ذلك فى قوله ﴿ فَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون : ٣) ، بالإضافـــة إلـــى هـــذا ، فهم من أحسن الناس أجساماً، وأخلبهم ألسنة، وألطفهم بياناً ، وأخبثهم قلوباً . وقد بين سبحانه وتعالى ذلك فى قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىَ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون : ١٤) .

وتجدهم يؤدون صلاتهم فى غير وقتها وغير مطمئنين فيها ، إذ يشعرون أنهم مطرودون من رحمة الله . فهم فيها خائفون . كما أن المنافق إذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر ، وإذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا. وقد أوضح الله ذلك فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَىَ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ (النساء : ١٤٢ - ١٤٣) .

وهم يظنون أنهم قادرون ، وهم الضعفاء ، وأنهم جبابرة وهم الأذلاء ، وإن أصاب الناس خير أساءهم ، وإن أصابهم ابتلاء من الله ليكفر به عنهم سيئاتهم فرحوا بما حدث لهم، وقد أوضح ذلك سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران : ١٢٠) . وقد أكد ذلك فى قوله تعالى :﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة : ٥٠) .

ومما تقدم من عرض سريع لبيان وجهة نظر الإسلام فى الشخصية المنافقة وتحديد معالمها يتضح أن الشخصية المنافقة تأمر بالمنكر بعد أن

تفعله هى ، وتنهى عن المعروف بعد أن تتركه ، ويبخلون بما لديهم فى سبيل الله وخير العباد ، وأن معالم الإيمان ضاعت فى قلوبهم ، فيعرضون عن الحق وإن كان بيناً وواضحاً ، واستخدام الكلام اللين الأجوف ، وأنها تقود مسيرة الباطل ، والدعوة إلى الفساد ، والنهى عن الصواب والرشاد وقلوبها عن الخير لاهية ، وأجسادها إلى الباطل ساعية ، وتستلذ الشخصية المنافقة الجلوس فى المنتديات التى يدور فيها الحديث الباطل ، ويدبر فيها الزور . ولذلك فإن الله أعد لها الدرك الأسفل من النار لتعيش فيه ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء : ١٤٥) .

الفصل التاسع

التفاوض بعد نفسى اجتماعى

- تقديـــــــــم .
- المفهـــــوم اللغوى للتفاوض.
- المفهوم الاصطلاحى للتفاوض.
- التفكـــــير والتفـــــاوض.
- اللغـــــة والتفـــــاوض.
- الشـــــخصية المفاوضـــــة.
- خصائص الشخصية المفاوضة.
- صفـــات الشـــخصية المفاوضة.

تقديـــم :

إن المدقق فى العلاقات الإنسانية بين أفـــراد أى مجتمع من المجتمعات، يجد أن كثيراً من المعامـــلات بينـــهم تقـــوم على أساس فكرة التفاوض Negotiation ، فعلى سبيل المثال نلاحــظ أن المشـــترى حــــين يتعامل مع البائع - وخاصة فى المجتمعات الشرقيـــة- نجده يتفاوض على سعر السلعة التى يشتريها ، وتظـــل عملية التفاوض قائمة مادام يوجد قبول بين الطـــرفين حتى يصل كل منهما إلى حد معين يتفقان عليه ، وعندئذ تتـــم عملية البيع والشراء . إن مثل هـــذا السلوك التفاوضى يحدث بين الأطـــراف سواء كان الأمر متعلقـــاً بشراء أو بيع أشياء بسيطة أو صفقات بملايين الجنيهات .

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن فكرة التفاوض فكرة قائمة فى ذهن الإنســـان منذ إدراكه للحياة وواقعها بما فيها من حاجات ومتطلبات ، وأهداف ، وأغراض يسعى الفرد لتحقيقها . حيـــث إن الإنسان يعيش حياته ساعياً وراء تحقيق مـــزيد من الراحـــة والهـــدوء النفسى ، بهدف الوصـــول إلى مســـتوى أفضل من الصحـــة النفســـية التى ترتبـــط ضمن ما ترتبط بالجوانب المادية والجوانب النفسية التى من شأنها أن تهتم بقرار معين فى تحقيق هذا الهدف وهو السواء النفسى .

ولهذا فإنه يمكن القـــول بأن النـــاس جميعـــاً فـــى حالـــة تفاوض طـــوال حياتهـــم ، سواء كان هذا التفـــاوض مع الذات self Negotiation حـــالة إعداده لأفكـــاره التى يرغب فـــى إظهارها للآخرين ؛ فيقوم بإعدادها مميزاً بين غيرها من الأفكار ليصـــل إلى أفضلها، أو التفاوض مع غـــيره من الناس بهدف الوصـــول إلى تحقيق أغراض معينة لابد منها لاستمرار الحياة بالصورة التى يتطلع إليها . وهذا ما أكده قدرى حفنى (٢٠٠٠ ، ٣١٨) عندما أشار إلى أن (الموضوعات مطـــروحة للتفاوض ، وكل فرد

يشـــارك فيها سواء رضى أم لم يرض و سواء تكلم أم لاذ بالصمت . أى أن الجميع فى حالة تفاوض .)

ومــن هنا يمكن القــول بفطرية التفاوض . أى أن الإنسان بحكم تكوينه الطبيعى مفطـــور على إمكانية التفاوض مع غـيره من الناس . ولذلك نلاحظ أن العامة منهم يمارسونها – أى عملية التفاوض – فى مختلف مواقــف حياتهم ؛ ســـواء كان هذا فى مواقف حل الصراع بين أطرافه . أو بينه وبين غيره أو فى مواقف الحياة العادية – كما سبق القول – فى عمليات الأخذ والرد فى حياتنا اليومية ، أو البيع والشراء ،وغيرها من مواقــف الحياة التى تتطلب التفاوض لتحقيق الراحة بين مختلف أفراد المجتمع أو معه.

وإذا كان التــفاوض فطــرى إلى هــذا الحــد عند غالبـــية الناس البسطاء ، يستخدمونه في حياتهم بهــدف تحقيق مصالحهم الذاتية ، وبغرض تحقــيق إحساسهم بالرضا عن الذات فإنه ينبغى أن يهتم القائــمون بعمـــلية التنــشئة الاجتماعية ، وعملية التربية – الوالدان والمربون – بتنــمية القدرة على التفاوض، وذلك عن طريق إدراك العوامل الأساســية والهامــة التى يمكن أن تسهم بـــدرجة كبيرة وفعالة فى إعــداد الإنســان المفاوض الجــيد الذى يستطيع أن يحقــق ذاته ، ويسهم فى تحقيــق ذوات الآخــرين بالشكل وبالصـــورة الجيدة التى ينتــج عنها فاعلية أفراد المجتمع للاستفادة مما لديهــم من قدرات فى تحقيق أكبر قــدر ممكن من النفع والفائدة للمجتمع .

وهـــذا يعنى أن عملــية التفــاوض عمليــة تراعى البــعد الإنسانى – إلى حــد كبير – والذى يهــتم بكل من الجــانبين الأساسيين فى الشخصـــية الإنسانية ؛ وهما العقل والنفس . ومن هنا كانت الدعوة للاهتــمام بضرورة مــراعاة الأبعاد النفسية فى مختلف عمليات التفاوض ســـواء كانت على المستوى الفــردى أو على المستوى الجماعى أو على

مستـــوى الدولة . ولهذا وجب أن يكون التفاوض – وفق الاعتبار السابق الذكر – موضــوع تعليم وتـــربية وتدريب فى مختلف مراحـــل النمو الإنسانى ، وفى مختلف مراحـــل التعليم .

هذا ؛ ويعد التفاوض حال تواجد المشــكلات أو الصراعات أو النزاعات تصرفاً حضارياً ؛ ينـــم عن مدى النمو العقلى ، وحسن التفكير ، واتساع الإطار الثقافى ، والالتزام القيمى الأخـــلاقى الراقى . فضلاً عن كونـــه مطلباً أساســياً ، بل وضـــرورياً يتمشى مـــع واقـــع الحياة العصــــرية بكل من فيهـــا وما فيـــها من متغـــيرات متعـــددة ، ومتناقضة ، ومختلفـــة . حيث لم يعـــد أسلـــوب العـــدوان أو الســـطو أو السيطرة أو القتال فعلاً مناسباً للوصـــول إلى الأهـــداف و الأغراض التى يتطلع إليها أى طرف من أطراف الصـــراع فى حياة يصـــفها الجميع بأنها حياة تقدمية تطورية فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

لكل هذه الأسباب يبـــدو واضحاً أن عملية التفاوض تتطلب ضـــمن ما تتطلب شخصـــية إنسانية تتسم بعدد من السمات ، وتلتزم بنظام قيمى معـــين، وأن تضطلع بالمســـئولية كما ينبغى أن تكـــون . وهنا كان للبعد النفسى لدى المفاوض – ولدى الطـــرف الآخر – أهمية بالغة لما له من دور أساسى وفعال فى عملـــية التفاوض ، ومدى التجاوب ، وإمكانية الإقناع . بما يؤدى إلى الانتهـــاء إلى نتائـــج إيجابيـــة تحقق قـــدراً من الرضا للطرفين .

ولهذا نلاحظ أن موضوع علم نفس التفاوض من الموضوعات التى نالت اهتمام الباحثين فى الآونة الأخيرة لماله من أهمية فى دفع عمليات التفاوض إلى الأفضل توفيراً للجـــهد والوقت ، وبما يحقـــق نتائـــج ترضى كلا الطرفين . حيث اهتم هذا المجال بدراسة وتفســـير السلـــوك التفاوضى فى مختلف مواقفه . بما يســـاعد المتفاوضـــين على التحكم بمهـــارة وفنية

فى الموقف التفاوضى . و بما يؤدى إلى مزيد من تحقيق الأهداف التى يتطلع إليها المفاوض .

ويعتبر الجانب العقلى من الجوانب الأساسية التى دعا علماء النفس إلى الاهتمام بها عند القيام بعمليات التفاوض . حيث إنه لا غنى للمفاوض عن استخدام ذكائه ، وما يتمتع به من قدرات عقلية ، وابتكارية للوصول إلى الخطط الاستراتيجية ، والأساليب الفنية التى يمكن الاعتماد عليها حال إجراء عملية التفاوض . فضلاً عن الكشف عن الأبعاد العقلية المختلفة وبيان وظائفها فى مجال التفاوض .

ومن المجالات التي اهتم بها المشتغلون فى علم النفس التفاوضى التفاعل بين طرفى التفاوض . بما يسهم فى تنمية قدرة المفاوض على التوقع لأى رد من ردود الأفعال فى أى موقف من مواقف التفاوض . و بما يساعد على تحديد الأنماط السلوكية التى يجب أن تصدر عن المفاوض حسب الموقف .بما يؤدى إلى استمرارية عملية التفاوض ، وتحقيق قدر معقول ومناسب من المصالح التى يتطلع إليها كل منهما .

ومجمل القول أن البعد النفسي يشكل ضرورة أساسية فى عملية التفاوض لما له من أهمية فى إحداث التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد ، وكذلك بين المجتمعات الدولية ، وبين الدول بعضها بعضا . الأمر الذى يؤدى إلى التواصل الدائم والمستمر بين الناس ؛ سواء كانوا فى داخل الدولة الواحدة ، أو بين دولة وغيرها من الدول الأخرى . وهذا ما أشار إليه " حسن وجيه " (١٩٩٤ ، ٢٣) عندما اعتبر التفاوض "من أفضل وسائل تكوين الأرضيات المشتركة ، والتفاهم الفعال بين بنى البشر رغم اختلاف ثقافتهم ، وعقائدهم ."

المفهوم اللغوى للتفاوض:

يذكر ابن منظور[١] (١٩٩٤، ٢١٠) أن (التفاوض) يعنى ؛ " تفاوض الشريكان فى المال اشتركا فيه أجمع ، و (المفاوضة) أن يشتركا فى كل شيء فى أيديهما ، و(فاوضه) فى أمره جاراه و(تفاوضوا) الحديث أخذوا فيه ، و(تفاوض) القوم فى الأمر. أى فاوض فيه بعضهم بعضا و (مفاوضة) العلماء أخذت ما عنده ، وأعطيته ما عندى ، و(المفاوضة) المساواة والمشاركة ، وهى مفاعلة من التفويض ، كأن كل واحد منهما رد ما عنده إلى صاحبه ."

بينما يذكر عبد القادر الرازى[٢] (١٩٥٤ ، ٥١٥) أن (تفاوض) الشريكان فى المال اشتركا فيه أجمع ، و (فاوضه) فى أمره جاراه ، و (تفاوض) القوم فى الأمر أى فاوض بعضهم بعضاً ".

هذا ؛ ويشير مجمع اللغة العربية[٣] (١٩٨٠ ، ٤٨٤) إلى أن "(فاوضه) فى الأمر بادله الرأي بغية الوصول إلي تسوية واتفاق، ويقال : (فاوضه) فى الحديث ؛ بادله القول فيه ، و(تفاوضا) فاوض كل صاحبه "

ومما تقدم من بيان وجهة نظر اللغة العربية فى تحديد مفهوم التفاوض يتضح أنه يعنى مشاركة الأطراف المتفاوضة فى الأمر ، وأن هذا التفاوض يتطلب من المفاوض أن تكون لديه القدرة على مجاراة الطرف الآخر ، وأنه يعتمد على الحديث أخذاً ورداً ، وأن يكون الطرفان على درجة من المساواة فى المشاركة ، وأن هذا الحديث الذى يدور بين أطراف التفاوض يكون

---

[١] لسان العرب ط(٣) ، المجلد السابع ، ص ٢١٠ .
[٢] مختار الصحاح ، ط(٨) ، ص ٥١٥ .
[٣] الوجيز ، ص ٤٨٤.

على درجة من التفاعل المبنى على فهـم كل طرف للآخـر. بما يؤدى إلى الوصول إلى رد ما عنده إلى صاحبه .

المفهوم الإصطلاحى للتفاوض :

تعددت مفاهيم التفاوض وذلك بتـعدد المعرفين لهذا المفهوم بهـدف الوصول إلى تحديد هذا المصـطلح تحـديداً دقيقاً . حيـث يبنى على هذا التـحديد مختلـف عملـيات التفاوض بين الأطراف المختلفة والمتعددة ومن بين هـؤلاء ؛ كنيدى وآخـرون .Kennedy et al(١٩٩٧ ، ١٥) الذى حدد التفاوض على أساس أنه " عمليه يقـوم بها طرفان أو أكـثر وذلك بغرض حل ما نشأ بينهما من صراع أو نزاع على شـئ ما . عندما قال: إن التفـاوض يعنى " العملية الخاصة بحـل النزاع بين طرفين أو أكثر بهـدف تعديـل طلباتهـم وذلك بغـرض التوصـل إلى تسويه مقبولة للطرفين " .

بينما نجد أن إيفانز Evans (١٩٩٨ ، ١١:١٣) قد حدد التفاوض على أساس وجود عدد من وجهات النظـر بين عـدد من الأطراف حيال موضـوعات معينة ، وذلك عندما قال: " إن التفاوض مصطلح يعنى " تناول وجهات نظر متعددة تعكس آراء كل منهم حال إبداء آرائهـم حول موضوع معين ."

هـذا ؛ ويشـير فاولر Fowler (١٩٩٠ ، ٦ :٧) إلى أن " التفاوض يعـنى عملـية متكاملة تتطلب وجود طرفين أو أكثر لكل منهم مطلب أو حاجة محددة ، وهذا يدعو إلى وجود أهداف لدى كل منهم يريد أن يسعى لتحقيقها ، وأن يكون لديهم قناعة بأن التفاوض هو أفضل الطرق لتحقيق الأهداف ، ويتـصور كل طـرف أن لديه القدرة على إقنـاع الطرف الآخـر بحقه ، وأن يتطلـع الأطراف إلى الوصول إلى اتفاق يرضى الجميـع ، وأن يتمـتع كل طـرف من أطراف التفاوض بالقدرة على التأثير الذى يستطيع به أن يحقـق ما يسعى إليه ، وأن هـذه العملية تؤثر

عليها كثــير من المشاعر والعواطف والاتجاهات ."

ويبدو من هذا التعريف أن التفاوض لا يقتصر على إثبات أحقية طرف فى الموضوع المتنازع علــيه بالدليل المادى فقــط . بل إنه يتطلب – ضــمن ما يتطــلب – قــدرات عقليــة عالية قادرة على الإقناع . بالإضافة إلى قدرة عالية على تغيير اتجاهات الطرف الآخــر حيال أحقيته فى الموضــوع ، وأن للجانب الوجدانى أثــراً فعالاً فى عملية الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين .

كما يرى اسباركس Sbarkis (١٩٩٥ : ١٠) أن التفاوض هو " محاولة الوصول إلى اتفاق حول مسألة خلافية ، أو مشكلة ، أو قضية يختلف فيها طرفان أو أكثر ". ويشير هذا المفهوم إلى أن التفاوض يتم على أساس إدراك الخلافات ونوعيتها ، والمشكلات وطبيعتها ، أو وجود قضية قائمة يختلف حيالها طرفان أو أكثر .

ويرى حسن الحسن (١٩٩٣ ، ١١ :١٢) أن التفاوض يعنى: " المحادثات المؤدية إلى التفاعل ، بهدف التوصل إلى أسس للاتفاق نحو مشكلة قائمة ، أو هدف محدد للوصول إلي الرضا من تحقيق الاتفاق ." ويركز " حسن الحسن " فى مفهومه على أهمية التفاعل بين المفاوضين الذى من شأنه أن يصل بهم إلى اتفاق محدد يحقق لكلا الطرفين الرضا .

بينما يشير محسن الخضرى (١٩٩٣ ،٥) إلى التفاوض على أنه " موقف تعبيرى حركى بين طرفين أو أكثر حول قضية من القضايا ، عن طريق تبادل ، وتقريب ، ومواءمة وجهات النظر ، باستخدام كافة أساليب الإقناع للحفاظ على المصالح القائمة ، أو للحصول على منفعة جديدة بإجبار الخصم على القيام بعمل معين أو الامتناع عن عمل معين فى إطار علاقة الارتباط بين أطراف العملية التفاوضية تجاه أنفسهم أو تجاه غيرهم ."

والمدقق فى مفهوم " محسن الخضرى " يلاحظ أنه ركز على التعبير الحركى المرن لكلا المتفاوضين لتقــريب وجهتى النظر بينهما ، وانتقاء الأساليب التى تعين كل طــرف على إقناع غيره ، مع التركيز على أهمية العلاقة الارتباطية بين أطراف التفاوض بهدف تحقيق منفعة لأحد الطرفين ، وإن أدى هذا إلى اتخاذ الإجراءات والأساليب لإجبار خصمه .

هذا ؛ ويمكن إجمال ما توصل إليه " محمد حسن " (٢٠٠ ، ٩ ، ١٠) فى محاولته لبيان المقصود بالتفاوض . حيث يرى أن التفاوض يعنى " تنظيمات العمل المستمرة والفعالة بين طرفين بشرط توافر قدر من التفاهم الجيد الذى يؤدى إلى النتائج المتوقعة . "ويرى أن إتاحة الفرصة لكلا الطرفين لممارسة المهارات الفعالة التى تؤدى إلى تحقيق النجاح ، مع السماح لكليهما بأداء المهام الموكولة لكل منهما ، وتقبل أخطائهما ، وتوجيههما وإرشادهما لتجويد أدائهما مستقبلاً وإعطاء بعض الصلاحيات ، والسلطات لزيادة الفاعلية للقيام بمهام العمل بنجاح وضرورة مراعاة الظروف والأحوال بهدف تحقيق الكسب للجميع .

ويؤكد " على سالم " (١٩٩٦ ، ٩٢) على أن التفاوض" عملية ديناميكية متكاملة الأبعاد تقوم على التفاهم بين طرفين أو أكثر للوصول إلى اتفاق يحقق لهم مصلحة مشتركة ، وهى عملية تمتد من الإعداد للمفاوضات، مروراً بالمفاوضات ذاتها وانتهاء بصياغة وتوقيع اتفاق أو معاهدة بين الأطــراف المشاركة فى التفاوض " ومن الملاحظ على هذا التعــريف تركيزه على ديناميكية عملية التفاوض ، وأنه لابد من حدوث التفاهم بين طرفى المفاوضة ، بما يحقق ما يتطلعان إليه من أهداف ومصالح ترضى كل منهما .

هذا ؛ وقد أورد أندرو Andrew (١٩٩٥ ، ١١٥: ١١٧) عدداً من المفاهيم التى قد تتداخل مع مفهوم التفاوض ، ويكون لها دور إلا أن هذا

الــدور قد يكـــون إيجابـــياً ، أو سلبياً إذا لم يكن تحديد مفهوم التفاوض محـــدداً تحديداً إجرائياً دون لبس أو غمـــوض . ومن هذه المفاهيم ؛ الجدل Argument والـــذى يعنى محاولة من المفاوض لاثبات صحة وجـــهة نظـــره فى موضـــوع المفاوضة ، وأن الطـــرف الآخر على خـــطأ. وعنـــدئذ لا ينتـــهى الجـــدال إلى حـــل يرضى الطـــرفين . المناقشة Discussion والتى تعنى استمـــرار المناقـــشـــة دون الوصـــول إلى نقطـــة اتفاق . والتســـوية Compromise والتى تعنى جلوس أحد أطراف التفاوض على أســـاس اســـتعداده للتنازل. مما يضعـــف موقفـــه أمام الطرف الآخر.

وإن كانت هذه المفاهيم تقوم بدور أثناء ممارسة عملية التفاوض إلا أنه لا ينبغى للمفاوض أن يتفاوض على أساسها ، بل على أساس مفهوم التفاوض نفسه الذى تم الاتـــفاق عليه وارتـــضاه الطرفان ، لأن التفاوض فى واقع الأمـــر يختلف عن هذه المفاهيم ؛ فبالنسبة للجدل لا يؤدى إلى الوصول إلى حل ، بل يؤدى إلى إثارة الغضب .والتفاوض يهدف إلى إقناع الطرف الآخر بغرض تحريك الأفكار للوصول إلى وجهة نظر يوافق عليها الطرفان . أما بالنسبة للمناقشة ، فهى مضيعة للوقت ، أما التفاوض فإنه يتم على أساس أهداف محددة يسعى الطرفان للوصول إليـــها وفق خطة مسبقة . وبالنسبة للتسوية ، فإنها تقلل من مركز الطرف الذى يستعد للتنازل .. بينـــما التفـــاوض لا يحدث على هذا الأساس ، وإنما يكون الطرفان على مســـتوى واحد .أما تحقيق المصلحة ، فإنه يتجاهل الطرف الآخر . الأمر الذى يؤدى إلى عدم الوصول إلى اتفـــاق . والتفاوض مبنى على أســـاس تحقيق مصلحة الطرفين وليس مصلحة أحد الطرفين على حساب طرف دون الآخر.

هذا ؛ ويذكر ثابت إدريس (٢٠٠١، ٢٩) عدداً من الأبعاد الناتجة عن وجـــود هذه المفاهـــيم. حيث يشير إلى (الصدام الســـيكولوجى) Psychological warfare وهـــو ناتج من تواجد هذه المفاهيم معاً ، وهو أمر طبيعى يحـــدث بين أى طرفين يجور أحدهما على الآخر . أو يسعى طرف

للكسب على حساب غيره . ولذلك يجب على المفاوض أن يراعى هذا البعد النفسى الناتج عن تـضاد الأفكار أو الأساليب المستخدمة فى الحوار والمناقشة للوصـول إلى الهدف . ثم يشير إلى بعد (أعط وخذ) Give And Take وهو محور أساسى ناتج عن تواجد المفاهـيم الأربعة السابقة ، وهو مهم بدرجـة كبيرة فى نجاح عملية التفاوض إذا ما أخذ فى الاعتبار . وكذلك الأمر بالنسبة لبعد (الوصول إلى حل يقبله الطرفان) Finding A mutually acceptable solution وهذا يتأتى عن طـريق إدراك المفاوض الجـيد لأهدافه وأهداف الطرف الآخر . بما يجعـله يصل فى نهاية الأمر إلى حل يرضى الجميع . ثم يشـير إلى بعد آخـر وهو (الوصول إلى اتفاق) Reaching Agreement فى نهـاية المطـاف وعندئـذ يتم توقيع الاتفاق .

إن إدراك المفاوض لكل هذه المفاهيم ، وقدرته على معـرفة الفرق بينها وبين مفـهوم التفاوض ، ومـدى إسهام كل منها فى عملـية التفاوض يمكنه من حسـن الأداء والعمل حال التفاوض . وأن مثل هذا الانتباه يجعله يدرك كلاً من الأبعاد السابقة الذكر ، والتى نتجـت عن تواجد هذه المفاهيم وأنها تقـوم بدور يشكل أساساً فى عملية التفاعل الجيد والذى يؤدى إلى نجاح عملية التفاوض.

التفكير و التفاوض:

يعد التفكير وأساليبه من أهم العوامل التى تسهم بشكل أساسى ومباشر فى عملية التفاوض بين أى طرفين ، لأنه يعتبر وسيلة أساسية يمكن أن تمكن كلا الطرفين من الوصول إلى نقطة اتفاق بينهما ، وبالتالى الوصول إلى حل لما ينشأ من مشـكلات أثناء عملية التفاوض ،بشرط أن يكون التفكير وفق أصول وقواعد الفهم الصحيح لطبيعة المشكلات أو المواقف الصعبة التى تظهر خلال عمليات التفاوض ؛ بما يؤدى إلى تحريك أفكار الطرف الآخر تجاه الحل ، وتدعيمه حتى يتحول صاحب الفكر الجامد إلى مدى من

القناعة لاستمرارية عملية التفاوض .

إن استخدام المفاوض للتفكير السليم كركيزة أساسية تمكنه من إحداث ميل نحو تغيير موقف الطرف الآخر تجاه موضوع التفاوض. حيث يؤثر مثل هذا النوع من التفكير على كل من آراء، وأفكار ، ثم أحكام الطـرف الآخر . بما يساعد على استمرارية التفاوض للوصول إلى الأهداف المرجوة. وهذا يتطلب من المفاوض أن يكون تفكيره على درجة عالية ، وأن يكـون أسـلوب تفكيره قادراً على الاستثارة . بل واستقـطاب بعض أطـراف التفاوض فى الاتجاه الذى يريده نظـيره. بما يؤدى إلى تحديد بعض نقاط الاتفاق . وقد أكدت هذه الفكـرة - استخدام حسن التفكير - فى تحويل وتغيير كثير من الأفـراد من وجهة نظر محددة كانوا ملـتزمين بها إلى أفكار أخرى بناء على تغيير آرائهم . ومن هذه الدراسات ؛ دراسـة " مونستربرج*" ، " وبخترف".

ويشكل التفكير السليم أثناء الظـروف الضاغطة أمراً فى غاية من الأهمية . حيث يساعد على الاحتفاظ بقدر كبير من الواقعية . فضلاً عن الإدراك الكلى لواقع هذه الظروف ؛ مما يسهم فى إنجاح عملية إصدار الأحكام بصورة سليمة ؛ وكذلك التصرف السليم فى التوقيت المحدد . وعدم تكرار الأخطاء ، أو الوقوع فيها مرة ثانية . وكل هذا من شأنه أن يقدم للطرفين سبلاً سليمة خلال عملية المفاوضات للوصول إلى نتائج مرضية للطرفين . والأمر يكون على خلاف ما تقدم إذا لم يكن المفاوض يتمتع بقدرة عالية على التفكير السليم .

هذا ؛ ويسهم التفكير السليم فى تنظيم الأمور وترتيبها ، وكيفية عرضها . بما يساعد على الكشـف عن كل جـوانب التفاوض ،

* عبد المنعم شحاته ص ص (٦١ ، ٦٢) .

والإمكانيات المتاحـــة ، والتى يمكن استخدامها فى بيان وتوضيح خطط التنفيذ . بحيث لا يحدث خلطا فى الأمور أو شكاً فيما تم التوصـــل إليه سواء كان فى لغة الاتفاق ، أو أساليب تنفيذ ما اتفق عليه . وعندئذ يمكن تحقيق الأهداف المرجوة دون قصور أو تقصير .

ومن أنواع التفكير الشائع الذي يمكن أن يسهـــم بشكل ايجابى في سهـــولة وتيسير عملية التفاوض ؛ التفكير الجماعى أو ما يطلق العصف الذهنى عليه Brainstorming أى مشاركة مجموعة من الأفراد بعضهم بعضا فى استخدام هذا التفكير لحل ما يعترض حياتهم من مشكـــلات وفق أسس وقواعد محددة للوصول إلي قرارات يتفق عليها الجميع . حيث التقريب بين وجهات نظر جميع الأطراف من خلال المناقشة لموضوع محدد . بما يؤثر بدرجة أو بأخرى على أفكارهم ، وبالتالى على آرائهم التى تسهم بدرجة كبيرة فى إصدار الأحكام المرضية لكليهما.

وهذا ما أكدته نتائج عدد من الدراسات التي أجريت في مجال تأثير المناقشة حول موضوع معين على من كانوا يعارضون أفكاراً معينة ، ومن بين هذه الدراسات* ؛ دراسة مونستربرج (١٩١٤) و ودى لانج (١٩١٨)، وجنس (١٩٣٢) . حيث توصلوا فى هذا الأمر إلى نتائـــج مؤداهـــا أن التفكيـــر الجماعـــى الذى ينمـــو عن طريـــق استخـــدام أسلوب المناقشـــة يؤدى إلى نتائج إيجابية فى دقة الإدراك ، ووضوح الأفكار وتبني الآراء وتنميتها ، ومناصرتها .

هذا ؛ ويؤكد ماكس بارزما Max Barzman (٢٠٠٢) على أهمية انتقاء واختيار المفاوض للنماذج الفكرية . حيث يترتب عليه إدراك بنية التفاوض التى من شأنها أن تسهم فى استمرارية التفاوض بشكل مقنع . ولهذا لابد من

---

* عبد المنعم شحاته (٣٣ : ٦٤) .

تحديد هذه النماذج التى تعتـمد أساساً على التكوينات النفسية للتفاوض حيث تختلف هذه النماذج – النماذج الفكرية – عن النصوص المكتوبة والمحددة فى عملية إعادة البعد الاجتماعى المعرفى .

وتشمل النماذج* الفكرية على كل من الأبعـاد التالية ؛ فهم الذات ، وصفات الخصوم ، وإدراك ومعرفة بنية الاتفاق ، وعلاقات التفاوض . فضلاً عن ضرورة التمييز بين النماذج الفردية والنماذج المشتركة لما لها من أهمية فى نتائج التفاوض كالتى قدمها سيمبثون وهست Thompson & Hastie (١٩٩٠). وليرك ، وبلونت Larrick & Blount. (١٩٩٧) بابكوك ولونسن Babcock & Loewenstein. (١٩٩٧) والتي أسفرت عن نتائج لا بأس بها في عمليات التفاوض.

وقد أكد بينكل ونورثكرفت Pinkly & Northcraft(١٩٩٤) على أهمية تحديد وإعداد هذه النماذج لما لها من أهمية فى إحداث التفاعل بين أطراف التفاوض . حيث إنه إذا أعدت هذه النماذج إعداداً جيداً أدت إلى حدوث تفاعل بين طرفى التفاوض ، سواء قبـل أو بعـد المفاوضـة . وقـد حـدد ثـلاثة أبعاد نفسـية الأولى: العـلاقة × المهمة ، الثانية : التعاون × الفوز ، والثالثة : العاطفة × العقل . وقد خرج من هذا بأن نتائج هذه النماذج الثلاثة تؤثـر نفسياً على الأعضاء ، والتى بدورهـا تؤثـر على نتائـج التفاوض .

وبناء على ما تقدم من بيان لأهمية استخدام التفكير العلمى ، وانتقاء نماذج محدده مسبقاً للتعامل بها مع المتفاوضين ، فإنه يمكن القول بضرورة اعتباره أساساً فعالاً لإحداث أكبر قدر ممكن من عملية الاتصال بين طرفى التفاوض .

---

* لمزيد من المعلومات ارجع إلى ماكس بارزمان (٢٠٠٢)

اللغة والتفاوض:

إن المفاوض يجب أن يدرك تمام الإدراك الدلالة الواضحة للفظ المستخدم فى التفاوض ، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا كان لديه مستوى عال من القدرة اللغوية ، وأن يكون مدركاً للمعنى الذى يتحدث به ، والمعنى الذى يتحدث به نظيره . وبناء على هذه المعرفة يمكن أن يستمر فى التفاوض مع الطرف الآخر . وهذا من شأنه أن يتطلب اختياره لألفاظه بدقة ، وأن تكون العبارة موجزة وواضحة ، ومحددة .

هذا ؛ ولابد للمفاوض أن يكون على دراية بالصفة ونقيضها ، واللفظ وضده ، والتنكير والتعريف ، ذلك لأن هذه المعرفة تجنب أى طرف من أطراف المفاوضة عدم الوضوح ، والالتباس وهذا ما أكده الفلاسفة عند حديثهم " أن التحديد واجباً " وعندئذ تستمر المفاوضة ، وتصل إلى الأهداف المحددة سلفاً فى ذهن كل مفاوض أو التى قد اتفق كل منهما عليها دون إضاعة للوقت ، وإهدار للجهد.

إن استعمال المفاوض للغة يختلف تمام الاختلاف عن استخدام الشاعر لها . حيث تتركز مهمة الثانى على مدى براعته ، وقدرته الإبداعية على استخدام الصفة ونقيضها ، واللفظ وضده ، والتنكير والتعريف على خلاف الأول . ذلك لأن الثانى يسعى بخياله وقدرته الإبداعية للوصول إلى نسق لغوى جديد مبتكر فيجمع بين الأضداد ليصل إلى معنى لا يستطيع أن يصل إليه الإنسان العادى الذى يدرك هذه الألفاظ إدراكاً واقعياً حقيقياً . وهنا أمر يشكل خطورة كبيرة عند المفاوض ؛ إذا لم يدرك دلالة اللفظ ومعناه على الحقيقة وليس على المجاز ، وأن يفرق بين ما يدور فى ذهن من يفاوض من وهم تخيلى يضع على أساسه عباراته التى تحتمل أكثر من معنى أو دلالة وبين الدلالة أو المعنى الحقيقى للفظ وكذلك الأمر بالنسبة للتعبيرات المستخدمة بينهما .

إن المفاوض فى مناقشته مع قرينه يسعى إلى تحقيق أهدافه التى يرى أنها حق له ، ويرى الطرف الآخر الشئ نفسه ، ولكنه كثيراً ما يكون على نقيض نظيره ، لهذا تقوم اللغة بالدور الأساسى والمهم فى عملية الأخذ والرد، حيث إنه إذا استخدمت اللغة على الحقيقة وليس على المجاز ، وبقدر عال من الوعى بدلالة كل لفظ مستخدم فى الحوار والمناقشة أدى هذا إلى تحقيق إنجاز يقنع الطرفين بالوصول إلى نقطة اتفاق بينهما .

إن المفاوض ينبغى أن يعى تماماً أن عليه ألا يهتم بجمال اللفظ وسحره، وذلك لأن من يسعى للوصول إلى جمال اللفظ لا يستطيع أن يصل إلى حقيقة المعنى للأشياء . وهذا ما أكده " أرسطو " عند تناوله " لماهية " الأشياء وحقيقتها . حيث يرى أن الماهية – الحقيقية – متحققة فى الأشياء التى تدل عليها . وأن الحقيقة كامنة فيما يدركه الإنسان من أشياء حسية . وهنا يبدو واضحاً العلاقة بين الأفكار والمدركات الحسية التى يجب على المفاوض ألا يغفل عنها ذهنه لحظة أثناء عملية التفاوض ، ذلك لأن حقيقة اللفظ الذى يدرك إدراكاً حسياً لا ينبغى أن تتداخل فيها ما نطلق عليه الانطباعات أو الارتباطات اللفظية .

ولكى يستطيع المفاوض أن يكون ماهراً فى إدراك ما سبق بيانه ، والأخذ به حال تفاوضه من خلال اللغة المستخدمة ، لابد أن يكون على دراية واسعة باللغة ؛ من حيث تراكيبها ، ومختلف أنواع فنونها البلاغية ، وأن يفرق تماماً بيت اللغة العلمية الدقيقة ــ التى يجب أن تكون الوسيلة الدقيقة للتفاوض واللغة الشاعرة . ولا يمكن أن يتم هذا إلا عن طريق التدريب ، والممارسة ، والاكتساب عن طريق الملاحظة الدقيقة لدلالة الألفاظ وكذلك التفرقة بين الصفات العرضية ، والجزئية والصفات المشتركة .

هذا ؛ وينبغى أن يكون المفاوض على يقين من أن المعنى الذى أدركه عبارة عن أفكار ذات طابع حسى ، وأن الكلمات تعنى أفكاراً وأشياء فى

الوقت نفسه " وهذا يعنى أن الكلمة المستخدمة لها مدلول محدد لا تخرج عنه، وفى الوقت ذاته تحمل أفكاراً تتجسد فيها . وهذا ما يؤكده مصطفى ناصف (١٩٦٥ ، ٧٢) عندما أشار إلى أن " تحديد الأفكار لا ينفصل عن الشئ الذى تراه ، وأن الماهية أو المعنى هو ما لا يدرك عن طريق الذوق ، وما لا يختلف على أمر تحققه " ، وعندئذ يكون على المفاوض المدرك لما تقدم من بيان لدلالة اللفظ أو معنى الكلمة أن لا يحيد عن استخدام اللفظ أو الكلمة ذات الدلالة الحقيقية والتى تعبر وتحقق الهدف من التفاوض بدقة متناهية ، وألا تخرج عن نطاق الأفكار العامة ، كما أن إدراك المفاوض لما تقدم من بيان لأهمية اللغة المستخدمة فى التفاوض ، ومدى دقتهـا يمنع نظيره من أن يدخل فى نطاق التأويل ، والتبديل ، أو التحليل لمدلول الكلمة مادام المتفاوض واع تماماً لكل لفظ وكلمة يستخدمها ، وأن تكون الأهداف والأشياء محددة تحديداً يمكن أن يوصف بأنه إجرائى حتى لا يلتبس على أحد أو يكون غامضاً عند طرف من الأطراف المفاوضة .

وبناء على هذا فإن على المفاوض أن يدرك أن فكرة الترادف فى اللغة فكرة خاطئة أدت إلى كثير من وجود اختلافات شديدة ، بل ومعقدة فى العلاقات الإنسانية . حيث إن إدراك معنى الكلمة أو اللفظ الواحد يختلف دلالته من فرد إلى آخر ، وبذلك يختلف المعنى فى ذهن الأفراد تبعاً لفكرة الترادف التى شاعت فى الأزمان الماضية ، ولازالت تشيع فى عصرنا الحديث ، الأمر الذى أدى إلى اضطراب الفكر وفساده . ولهذا يجب على الإنسان أن يرفض فكرة الترادف منذ بداية تعلم اللغة ، وأن يدرك الكبار خطورة شيوع هذه الفكرة فى حياة الإنسان ، وأن خطرها أشد عند الإنسان المفاوض ، حيث إن لفظ الأسد فى حقيقة دلالة هذه الكلمة وما تحمله من معنى ليس هو الضرغام ، لأن الأخير لا يحمل مواصفات الأول وإن كان من جنسه ، إنما يحمل صفات أخرى جعلت العرب يطلقون عليه هذا الاسم المغاير لاسم الأسد . وإلا فلماذا وردت هذه الكلمة فى اللغة العربية ؟ ويمكن

قول مثل هذا فى كثير من الكلمات والألفاظ التى نظن بعجزنا عن إدراك حقيقة الأشياء ، وما تحمله الكلمة أو اللفظ من دقه المعنى . ذلك لأن كلمات اللغة لا تلتبس ببعضها . وقد أكد هذا علماء اللغة المدققين - لا المحرفين - أن الترادف فى اللغة العربية قليل ونادر فى القرآن.

ولهذا يجب أن يعلم المفاوض أن الكلمة تشبه الرمز المحدد لمدلول معين ، فلا يمكن أن يقول – على سبيل المثال - أن (أ) تشبه (ب) أو أن (أ) هى (جـ) وهكذا بالنسبة للكلمات ؛ ذلك لأن (ب) هى رمز للباء فقط، وكذلك الأمر بالنسبة للكلمة فإنها لا تعنى إلا دلالة واحدة أو معنى واحد فقط . وعندئذ لا يقع المفاوض فى الخطأ الذى سبق الإشارة إليه وهو التأويل أو التعديل أو التحوصل ...... الخ . وعليه كذلك أن يحذر لغة التشبيه والاستعارة والكتابة ، حيث إن مثل هذه اللغة فضفاضة واسعة تحمل كثيراً من المعانى . وهذا ما لا ينبغى أن يدخل فيه المفاوض . بل ينبغى أن يستخدم كلمات وألفاظاً ذات دلالة محددة وقاطعة .

الشخصية المفاوضة

تقديم :

تعد خصائص وصفات الشخصية المفاوضة من أهم المحددات التى يمكن الاعتماد عليها لاختيار شخصية المفاوض الجيد ، لما لها من أهمية بالغة فى تحديد نمط الشخصية المفاوضة التى تتصدى لعملية التفاوض ؛ فضلاً عن إمكانية التنبؤ بما يستطيع أن تنجزه ، وتحققه من نجاح فيما يقدم عليه ؛ بالإضافة إلى ما تمده هذه الخصائص ، والصفات من إمكانية الانطلاق لممارسة دوره الفعال فى مجاله بقدر عال من الثقة التى تمكنه من تحقيق أهدافه ، وإحراز أكبر قدر ممكن من النجاح .

لهذا كان لكل من مجال الخصائص والصفات الاهتمام البالغ فى دراسة الشخصية الإنسانية بشكل عام ، والشخصية المفاوضة بشكل خاص ، حيث

إنهما تحددان المعالم الأساسية لنمط الشخصية المفاوضة ، والتى يمكن الاعتماد عليها لإنجاز ما تتطلع إليه أية مؤسسة فى هذا الصدد . لما لهما من إسهام فى بيان وتوضيح مختلف الأنماط السلوكية التى يمكن أن يصدر عن الشخصية المفاوضة ، والتى تساعد بصورة أو بأخرى على إمكانية إحداث قدر من التفاعل الذى يؤدى إلى أكبر قدر ممكن من التوافق ، وإحداث قدر لا بأس به من التوازن بين مختلف أطراف التفاوض .

هذا ؛ ويعتبر الاهتمام بهذين البعدين فى الشخصية المفاوضة ضرورة أساسية لابد من الكشف عنها ، والعمل على تنمية مختلف جوانبها عند اختيار وتحديد من سيقومون بمهام التفاوض ، لما لهما من أثر بالغ التأثير فى هذا المجال ، حيث تستمد الشخصية منهما كثيراً من مقومات الفهم ، والإدراك الصحيح ، والقوة والصلابة أمام الخصم ، وما يترتب على هذا من تحقيق الأهداف المرجوة من عملية التفاوض . من أجل هذا سعى الباحث الحالى إلى محاولة بيان أهم الخصائص والصفات التى يجب أن يتميز بها المفاوض الجيد . وفيما يلى بيان وعرض سريع وموجز لأهم هذه الخصائص وتلك الصفات .

خصائص الشخصية المفاوضة:

إن أهـــم الخصائص التى يجب أن تتميز بها شخصية المفاوض ؛ معرفة الذات معرفة حقيقية ودقيقة. ذلك لأن معرفة المفاوض لذاته تعينه ، بل وتمكنه من معرفة ذات الطرف الآخر . حيث إن إدراك المفاوض لمواطن قوته ، وجوانب ضعفه ، وما يتمتع به من قدرات ، وإمكانيات ، وما يتقنه من مهارات . هذا ؛ فضلاً عن إدراكه الواعى لثقافته ، وحضارته ، وتأثره بها تأثراً بالغاً فى تحديد نمط شخصيته ؛ كل هذا من شأنه أن يجعل المفاوض الذى يتميز بهذه الخاصية على هذا النحو أكثر تأثيراً على غيره من أطراف التفاوض .

هذا ؛ ويشكل مدى قدرة الفرد المفاوض على التجرد من الذاتية عند إصدار الحكم على الآخـــرين خاصية من خصائص المفاوض الناجح . حيث إنه يدخل فى عملية التفاوض دون أحكام مسبقة على أطراف التفاوض الأخرى ؛ وهذا من شأنه أن يمكنه من استيعاب الآخرين بصوره جيدة . حيث يتم تفهم أفكارهم بشكل واضح ، ومناقشتهم بصدر مفتوح ، وعقل صاف . الأمر الذى يؤدى إلى فهم نظيره فهماً صحيحاً ؛ بما يمكنه من إحداث أكبر قدر ممكن من التفاعل الإيجابى الذى يتم من خلاله الوصول إلى مناقشات مجدية تصل بهما إلى نتائج مرضية .

وتعتبر قدرة الفرد المفاوض على الحوار الجيد المفيد خاصية أساسية وهامة في شخصية المفاوض . حيث إن القدرة على الحوار تعنى مدى تقبل أفكار الآخرين ، وإمكانية الرد عليها وتنفيذها ، وبيان صحة الفكرة من عدمها . وأن يكون هذا الحوار بناءً ؛ بمعنى أن يستطيع المفاوض أن يقابل الفكرة بالفكرة ، ويقدم الحجة أمام الحجة بأسلوب سهل وواضح يتيح للطرف الآخر الفهم الجيد والاقتناع الأكيد لصحة ما يطرح أو خطأ ما يقال أثناء عملية الحوار . الأمر الذى يجعل الطرفان ينتهيان إلى نتائج إيجابية ترضى كلاً منهما .

ومن بين خصائص المفاوض الجيد حسن استثمار الوقت بكفاءة . حيث إنه ينبغى ألا يضيع الوقت فى مناقشات دون فائدة أو جدوى ، وأن يكون منظماً ومرتباً فى عرض أفكاره التى يطرحها علي الطـــرف الآخر ؛ بشرط أن تكون هذه الأفكار واقعية وواضحـــة ، وغير مبالغ فيها مســـتخدماً فى ذلك العبارات الموجـــزة الواضحـــة المحددة . الأمـــر الذى يجعله لا يستهلك وقتاً أطول . وبمعنى آخر أن يحسن استثمار ما لديه من وقت فى تحقيق الأهـــداف المنشودة التى لا تتعارض – إلى حد ما – مع نظيره .

كما أنه من المهم – أيضاً – أن يكون المفاوض ملماً ، ومتعايشاً مع مختلف المتغيرات الحياتية السائدة ؛ سواء كانت السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، أو النفســية بالنسبة لمجتمعه ، وكذلك الحال بالنسبة لمجتمع الطرف الآخر . لأن مثل هذا الإلمام ، والمعايشة تعين المفاوض على حسن استثمار كافة المتغيرات السائدة فى جانبه ، بما لا يتعارض مع مصالح الطرف الآخر . أى الوصول إلى اتفاق مرضى بين الأطراف .

ومن الخصائص الهامة التى تميز المفاوض الجيد عدم إصدار أحكام مسبقة على نظيره ، وأن يكون على قدر كبير من الرغبة للانفتاح على الآخرين لتفهم وجهات نظرهم ، وإدراك حقيقة ظروفهم ، والتعرف على حقيقة مواقفهم . وهذا من شأنه أن يحقق قدراً لا بأس به من التفاهم الذى يعينه على حسن سير العمل أثناء عملية التفاوض ، وهذا يتطلب أن يكون ودوداً ، وأن يكون على قدر معقول من الصراحة ، وأن يكون لديه القدرة على إنجاز ما يسند إليه من أعمال تؤدى إلى تحقيق الأهداف التى تطلب منه.

ولابد أن يكون المفاوض على قدر عال من الوقار والهدوء النفسي . حيث إن مثل هذه الخاصية تعطى له مقداراً من الثقة بالنفس . الأمر الذى يجلب له الاحترام والتقدير ، وأن يكون موضوع جذب للطرف الآخر . لأن صاحب الشخصية المفاوضة التى على هذا النحو تدعو الآخرين للاهتمام الشديد بما يقول ، وما يطرح من أفكار .أى أنه يكون موضع إعجاب نظيره. الأمر الذى يترتب عليه إحداث أكبر قدر من التفاعل حال المفاوضة .

كما أكدت تجارب المفاوضين أن من أهم الخصائص التى يتميز بها المفاوض الخصائص العقلية التى تسهم في الوصول إلى حلول مرضية ومشجعة للمفاوضين ؛ المرونة في تقبل وجهات نظر الآخرين وآرائهم والإقبال على دراستها ، ومحاولة فهمها فهما صحيحا . بما يساعد على

التقاء وجهات النظر فيما يحقق الإشباع لكلا الطرفين . فضلاً عن تقبل ما يحدث من إحباطات أثناء عملية التفاوض لأن مثل هذا التقبل يمكن المفاوض من إعادة دراسة الموقف من جديد ، ومعرفة أسباب الفشل الذى قد وقع فيه ، ثم الأخذ بالأساليب التى تجعله يحقق انتصاراً يتطلع إليه فى الجولة المقبلة .

ومن المؤكد لمن يعملون فى مجال التفاوض – أياً كانت موضوعاته – أهمية تميز المفاوض بمستوى عالٍ من الذكاء كخاصية عقلية يجب أن تكون أكثر وضوحاً فى شخصية المفاوض لما يترتب عليه – الذكاء – من سهولة التفاهم ، وسرعة الإدراك ، واختصار الوقت المستغرق فى عملية التفاوض ، فضلاً عن بيان النقاط الأساسية موضع الاهتمام فى التفاوض بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . بما يؤدى إلى أفضل مستوى من الإنجاز والتقدم فى مختلف عمليات التفاوض التى هم بصددها .

ويعتبر الإدراك الصحيح خاصية عقلية يجب أن يتميز بها المفاوض ؛ بما يمكنه من إدراك مختلف أنواع المثيرات أثناء عملية التفاوض إدراكاً صحيحاً ، والاستجابة لها بطريقة سليمة ، وإيجابية. كما يشكل مستوى الإدراك وسرعته ، أهمية بالغة حال مواقف التفاوض . بما يمكن المفاوض من استغلال ما يطرح عليه من حلول لحل ما يعترض سير المفاوضات من مشكلات .

هذا ؛ ويشكل البعد المعرفى الذى يعتمد ضمن ما يعتمد على المستويات العقلية لدى الشخصية المفاوضة أهمية فى حسن سير عملية التفاوض . فضلا عن المعرفة الجيدة للثقافة الخاصة بالطرف الآخر ، وفهمها فهماً واعياً دقيقاً . وهذا يتطلب من المفاوض قدراً من المهارة فى دراسة وتحليل هذه الثقافة بما يمكنه من حسن التعامل مع نظيره ، والوصول إلى نتائج مرضية وإيجابية تقنع جميع الأطراف المتفاوضة للاستمرار فى عملية التفاوض .

وتشكل القدرة العددية خاصية عقلية ذات أهمية بالغة عند التفاوض . حيث إن سرعة إدراك الأرقام المطروحة على مائدة المفاوضات ، ومعالجتها فى عمليات حسابية دقيقة تعينه على إمكانية مسايرة الموقف التفاوضي لصالحه . بالإضافة إلى أن تميز المفاوض بهذه القدرة يمكنه من سرعة إدراك وعمل المقارنات ، واتخاذ القرار المناسب الذى يحقق من خلاله أهدافه المرجوة .

ومن الخصائص العقلية – أيضاً – التي يجب أن يتميز بها المفاوض القدرة على الاستنباط ، والاستنتاج ، وذلك عن طريق إدراكه السريع والدقيق للمسلمات والأسباب التى تطرح على مائدة المفاوضات ، والفهم الجيد لما وراء الأنماط السلوكية الصادرة من الطرف الآخر . بما يعينه على الوصول إلى أفضل مستوى من النتائج التى يصبو إليها .

وكما سبق القول عند الحديث عن العلاقة بين اللغة والتفاوض[١] ؛ فإنه لابد أن يتميز المفاوض بقدرة لغوية عالية ، تمكنه من الفهم الجيد والدقيق لكل كلمة من الكلمات التى يستخدمها نظيره فى المفاوضات.

هذا ؛ ومن الخصائص العقلية التى يجب أن يتميز بها المفاوض الذاكرة القوية . حيث يعتمد المفاوض فى المفاوضات على كثير من المعلومات والبيانات التى ينبغى أن تكون حاضرة ، ويستطيع استدعائها بسرعة فى الموقف بما يفيد فى الحصول على ما يتطلع إليه . بالإضافة إلى تذكر كل ماله علاقة بالموقف التفاوضي سواء كان مرتبط ارتباطاً مباشراً به ، أو أنه يمكن الربط بينه وبين الموقف وإن كان الارتباط غير مباشر . فضلاً عن تميزه باتساع مجال الذاكرة لمختلف المعلومات التى يمكن أن تفيد فى مجال التفاوض وإن كان قد عرفها

---

[١] أنظر التفاوض واللغة

وتعرض لها مرة واحدة .

ويؤكد كثير ممن يعملون فى مجال التفاوض على أهمية الحضور الذهني للمفاوض بما يمكنه من إدراك ، وفهم كل ما يدور في جلسات التفاوض على وجه السرعة ، فضلاً عن سرعة إدراك الارتباطات بين مختلف المثيرات التى تنشأ من خلال الحوار والمناقشة بينه وبين الأطراف الأخرى .

كما أشارت نتائج بعض البحوث التجريبية إلى بعض الخصائص التي تتميز بها الشخصية المفاوضة ؛ كدراسة كاراميز وروزا Carames & Rosa (١٩٩٥) التى بينت أن الشخصية المفاوضة الأكثر إيجابية تتميز بالإدراك الجيد ، وحسن التقدير ، والالتزام بعقيدة معينة والمرونة ، وتقبل الآخر ، والقدرة على إدارة العمل التفاوضى . هذا ؛ وقد أكدت الدراسة أن البيئة الاجتماعية الجيدة هى التى تسهم بقدر كبير فى إكساب الشخصية المفاوضة هذه الخصائص .

بينما أضافت نتائج دراسة ديولف Dewolf (٢٠٠٠) عدداً آخر من هذه الخصائص . حيث أسفرت النتائج عن أن القدرة على تحمل الإحباط ، والضغوط ، والمواءمة مع الآخرين من أهم خصائص الشخصية المفاوضة الناجحة .

هذا؛ وتضيف الدراسة التى أجراها هارنيك Harinck(٢٠٠٠) بعضاً من خصائص الشخصية المفاوضة الناجحة . حيث أشارت نتائجها إلى أن الانبساط ، وقدرة التحمس العالية ، والإحساس العالى بقدر من الرضا من أهم خصائص الشخصية المفاوضة .

صفات الشخصية المفاوضة:

يتفق كثير من العلماء والباحثين فى مجال التفاوض علي أنه لابد أن

يتميز المفاوض الجيد بعدد من الصفات الشخصية . ولما كانت هذه الصفات عديدة ، ومتنوعة فإننا نرى عرضها تحت مختلف جوانب الشخصية الإنسانية.أي الجانب العقلى والجانب الانفعالى ، والجانب الاجتماعى . وفيما يلي ذكر لهذه الصفات . بالإضافة إلي عدد من الصفات التى يمكن أن نطلق عليها أنها صفات عامة .

الصفات العقلية :

فى مقدمة الصفات التى ينبغى أن تكون من محددات الشخصية المفاوضة الجيدة ؛ الإدراك الصحيح السليم الجيد ، بالإضافة إلى تميزه بسرعة هذا الإدراك . وكذلك الفهم الواعى الدقيق لما يعرض عليه من أفكار. فضلاً عن فهمه لمختلف أنواع الظروف المحيطة به أثناء ممارسته لعملية التفاوض ، والقدرة على التصور الكلى لمختلف أبعاد الموقف التفاوضى ، والقدرة على التحليل لهذه المواقف لمعرفة مختلف جوانبها ، والقدرة على التنظيم الدقيق والتخطيط الواعى ، والقدرة على التنبؤ الصحيح ، والقدرة على التفسير الجيد . كما أنه لابد أن تكون شخصية المفاوض على مستوى عال من المرونة ، والطلاقة ، والأصالة . وأن تتميـــز بالتفكير العلمى ، والقـــدرة على التحـــليل الصحيـــح ، والمتابعة الدقيقة للأمور بشكل جيد .

الصفات الانفعالية :

وتحدد الصفات الانفعالية شخصية المفاوض الجيد . حيث إنها تمده برسم دقيق لملامح شخصيته أمام الطرف الآخر . ومن أهم هذه الصفات ؛ الاتزان الانفعالى ، والنضج العاطفى ، واستقرار المشاعر ، والتأنى فى إصدار الاستجابات للمثيرات التى تطرح فى مواقف التفاوض ، والتمكن من بيان صدق مشاعره لنظيره . ولابد أن يتســـم بالشـــجاعة وعـــدم التردد حال اتخاذ القرار . فضلاً عن القـــدرة العالية على ضبط النفس ، وتحمل ما يواجهه من عقبـــات أو صعوبـــات ، وأن يتميـــز بالحدس الجيد ؛ و ينفذ إلى ما يضمـــره أو يخفيه الخصم ، وأن يتمتع بقدر عال من الثقة بالنفس .

الصفات الاجتماعية :

وتشكل الصفات الاجتماعية محدداً ثالثاً لشخصية المفاوض . حيث تسهم بقدر كبير فى قدرته على إحداث التفاعل بينه وبين غيره من المفاوضين ومن هذه الصفات ؛ قوة الشخصية وقدرتها على جذب الأطراف الأخـــرى إليه ، والتلقائية فى التعامل مع غيره ، واعتبار ذات الآخرين حال التعامل معهم ، وذلك عن طريق إبداء الاحترام ، والتقدير لمن يتعاملون معه، والاهتمام بالعلاقات الاجتماعية البناءة ، والتمكن من التقييم الجيد للأفراد الذين يتصلون به ، سهولة إنشاء علاقات اجتماعية مع غيره ، والتمكن من استبصار الآخرين بشكل صحيح . فضلاً عن استمرارية هدوئه تحت أى ضغط من الضغوط أثناء التفاوض . أى أن يتميز بالتحكم الذاتى على أعلى مستوى .

الصفات العامة :

هذا ؛ ويشير كثير من المشتغلين بمجال التفاوض إلى ضرورة توافر عدد آخر من الصفات التى يمكن أن يطلق عليها السمات العامة، ومن بين هذه الصفات ؛ حسن التصرف فى الأزمات ، والتمكن من التقدير الشخصى عند قصور المعلومات ، والتميز باليقظـــة المســـتمرة ، والتعـــاون مع غيره، والمشـــاركة الفعالة، والاســـتماع الجيد ، والتعـــلم الذاتـــى ، ودقـــة الملاحظة وســـرعتها ، والدقة فى الحديث ، وتقبل الهزيمة ومواصلة العمل، والتمكن من تبادل الأدوار بسهولة ويسر ، وسواء الشخصية، وحسن استثمار الوقت ، وسهولة إدارة الأزمات ، وحسن إدارة الجلسات .

وإذا ما استطاع المفاوض أن يكتسب مختلف هذه الأنواع من الصفات، فإنها تشكل أساساً لقوة شخصيته ، وقدرتها على التفاعل مع غيرها من الأطراف الأخرى . الأمر الذى يترتب عليه إمكانية إنجاز ما يسند إليه من

الأعمال فى أى مجال من مجالات الحياة . وهذا ما أكده " ألن جارى " [١] (١٩٧٦) عند دراسته لشخصية " هنرى كسنجر " عندما كان وزيراً لخارجية أمريكا . حيث أشار إلى أن " كسنجر " كان يتميز بشخصية ذات تأثير كبير فى مجال الدبلوماسية الأمريكية ، وأن شخصيته كانت أعمق ، وأكبر من تأثيرات أى مسئول أمريكى آخر .

ويعتمد " ألن جارى " في بيان وجهة نظره هذه على ما كانت تتميز به شخصية " كسنجر " من صفات فضلاً عن تمسكه بالقيم التى كان يلتزم بها . بالإضافة إلى فهمه للتاريخ بشكل جيد إلى جانب إلى ثقافته الواسعة .

هذا ؛ ويؤكد كثير ممن يدرسون فى مجال التفاوض على أهمية مجموع الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها المفاوض . حيث تجعله هذه الصفات شخصية مؤثرة على نظرائه بشرط أن تكون متناسقة وقوية .

---

[١] حسن وجيه ، ص ص (٦٨ : ٦٩)

الفصل العاشر

اللغة والسلوك الاجتماعى

- تقديـــــــــــــم .
- اللغة وعلاقتها بالبعد الاجتماعى .
- النمو اللغــــوى لدى الإنسان .
- وظائـــــــف اللغـــــــة .

تقديـــم :

تعتبر اللغة ضرورة أساسية فى حياة الإنسان على المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى . حيث إنها الوسيلة التى يعتمد عليها فى مختلف عمليات التفكير . كما أنها وسيلته التى لا غنى عنها فى إحداث التفاعل بينه وبين غيره من الناس ، وبدونها لا يستطيع الإنسان أن يفهم ، أو يتعامل ، أو يصادق ، أو يحب ، أو يختلف مع غيره مع الناس ، فبها يستطيع أن يقيم الصلات ، والعلاقات مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه .

كما تمثل اللغة الجذور الأولى لعميق حياة الإنسان على الأرض ، حيث استطاع الإنسان أن يعبر عن تاريخه على هذه الأرض عن طريق اللغة، وأن يسجل فكره ، ويثبت عبقريته بها ، ويدلل على حقيقة وجوده وإنسانيته التى يتميز بها عن غيره من المخلوقات عن طريقها . وهى فى مجملها مصدر وجوده الاجتماعى ، لأنه بدونها ما كان يستطيع أن يتحاور ، أو يتجادل ، أو يتناقش ، أو يحدث أى نوع من أنواع السلوك الإنسانى بينه وبين غيره .

ولهذا فإن المحافظة على اللغة يعتبر محافظة على حياة كل من الفرد والمجتمع ، فبها يثبت ذاته ، وعن طريقها يحقق وجوده بين أفراده ، أى أنها وسيلته لإصدار مختلف أنواع السلوك سواء كان على مستوى الذات أو على المستوى الاجتماعى ، فهى التى بها يعبر عن مشاعره ، وبها يستطيع أن يشارك الناس مشاعرهم .

إن كثيراً من المشتغلين فى مجال علم اللغة الاجتماعى ، يؤكدون على أهمية دور اللغة فى إحداث قدر من الصلات الاجتماعية التى تسهم فى تهيئة مناخ نفسى واجتماعى مناسب ؛ يتم من خلاله تسيير مختلف أمور الحياة الاجتماعية ؛ حيث يضربون المثل بالفرد الذى يريد أن يسأل عن أى شئ لا يعرفه ، وفى الوقت نفسه هو فى حاجة إلى هذه المعرفة ، فعندما يلتقى بـــ "

س " من الناس الأول يلقى عليه السلام ، أو يقول له " كيف حالك ؟ " " لو سـمحت يا عمى أو يا أسـتاذ " ، أو " لو سمحت يا خاله أو يا ست " . على اعتبار أن إلقاء السلام ، أو استخدام مثل هذه العبارات تحدث قدراً من الألفة بينه وبين محدثه ، وهو ما يطلقون عليه بعلم اللغة الاجتماعى ، أى اللغة التى تحدث العلاقات الاجتماعية بين الفرد وغيره من أفراد المجتمع .

وبناء على ما تقدم يمكن إدراك قيمة الدور الذى يمكن أن تقوم به اللغة فى إحداث مختلف أنواع السلوك الاجتماعى . بما يساعد على تسهيل مهمات الحياة وأمورها بشكل أيسر ، وأفضل .

مفهوم اللغة وعلاقتها بالبعد الاجتماعى :

يكاد يتفق كثير من علماء اللغة على أنها – أى اللغة – عبارة عن أصوات يعبر بها مجموعة من النـاس عن حاجاتهم وأغراضهم ، ويفصحون عن أفكارهم ، ويقابل هذه الأصوات مجموعة من الرموز ذات نظام معين . ولذلك تختلف رموز اللغة عن غيرها من اللغات الأخرى . وهذه الرموز تعد مؤشراً لكل طبيعة صوتية من أصوات اللغة المتعددة والمختلفة . ولذلك نجد أن بعض الباحثين يعرفون اللغة بأنها نظام من الرموز الصوتية ، وأن هذه الرموز تتكامل فى علاقات معينة ، وبنظام وسياق محدد ليشكل فى النهاية اللغة التى يمكن استخدامها فى عملية الاتصال والتواصل مع الناس .

هذا ؛ ويعتبر رمز الوحدة الصوتية أقل هذه الرموز ، ثم يلى هذا مجموعة الرموز التى تتكون منها الكلمة الواحدة ، ويتبعها مجموعة الكلمات التى تتكون منها الجملة ، وهذه الكلمات التى تتكون منها الجملة تتجاور وفق نظام متفق عليه فى البيئة اللغوية الواحدة .

ومجمل القول أن الرموز اللغوية للأصوات يعتد به بناءً على ما تم من اتفاق بين أفراد المجموعة الواحدة على استخدامها فى التعامل على نحو معين ومحدد . ومن هنا تصبح الرموز للأصوات العربية – على سبيل المثال – هى وسيلة بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه . حيث يتم عن طريقها تكوين العلاقات الشخصية ، والاجتماعية ، وكذلك الاتصال الفكرى بين أفراد المجتمع الواحد . كما يتم عن طريقها نقل المشاعر والأحاسيس والإدراكات تأثيراً وتأثراً عن طريق هذه الرموز اللغوية .

وكثيراً ما نجد أن الباحثين يصفون اللغة على أساس أنها ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الاجتماعية التى تسود المجتمع كالعادات ، والتقاليد .. وهم بهذا يعتبرونها ظاهرة غير مادية . والباحث فى الظواهر غير المادية يحتاج لمزيد من الصبر والأناة ؛ حيث إنه يقوم بدراسة كثير من الأمور ذات الارتباط بمثل هذه الظواهر غير المادية ، كالعقيدة والأخلاق ويسعى لمعرفة العلاقة بين مثل هذه الظواهر والظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية . بمعنى أن مثل هذا التصنيف للغة يركز فى دراسته لها على كثير من الأجزاء ذات الارتباط باللغة فى المجتمع الواحد . وبالتالى فهو يدرسها فى إطارها الاجتماعى . أى دراسة اللغة كما هى فى واقع المجتمع لا كما ينبغى أن تكون .

وهذا الاتجاه فى دراسة اللغة ومعرفتها هو الأكثر استخداماً فى العصر الحديث . حيث لا يسعى لمعرفة الصواب من الخطأ بقدر ما يسعى لمعرفة طبيعة العلاقة بين اللغة وبين غيرها من متغيرات الحياة وعواملها فى واقعها الاجتماعى .

ومن الملاحظ أن الباحث اللغوى – فى هذا العصر – لا يدرس اللغة بمعزل عن واقعها الاجتماعى . سواء كان يدرس بنية اللغة وتطورها الذاتى أو يدرس بنية اللغة فى تطورها الاجتماعى ، حيث إن هناك ارتباطاً وثيقاً

بين الاتجاهين عند دراسة اللغة . أى دراسة الجانب الصوتى للبنية اللغوية ، وكذلك دراسة الوظيفة الاجتماعية لها .

وتشير الدراسات التطورية فى اللغة إلى أهمية البعد الاجتماعى فى إحداث أى نوع من أنواع التطور اللغوى ، وخاصة فيما يتصل بالجانب الصوتى . حيث نلاحظ أنه إذا نطق أحد الأفراد من ذوى المكانة الاجتماعية العالية صوتاً[١] معيناً بطريقة تختلف تمام الاختلاف عن حقيقة هذا الصوت ، فإننا نجد أن كثيراً من الناس . بل أن غالبيتهم يسعون لتقليد ما نطق به صاحب المكانة الاجتماعية ؛ تقرباً إليه أو تمثيلاً له ، وتشبهاً به ، وعندئذ تتسع دائرة مثل هؤلاء الناس إلى ان تصبح واقعاً لغوياً سائداً فى المجتمع.

ومما تقدم من بيان وعرض لمفهوم اللغة وعلاقتها بالجانب الاجتماعى فى حياة الإنسان . يبدو واضحاً أن اللغة تقوم بدور أساسى وهام فى حياة كل من الأفراد والمجتمع ، وأن العوامل الاجتماعية تسهم بدرجة كبيرة فى تطور وتجديد اللغة ، وأنه ليس من السهل دراسة اللغة بمعزل عن الواقع الاجتماعى الذى يعيشه الأفراد فى المجتمع الواحد ، وأن كلاهما مؤثرٌ ومتأثرٌ ، وأن العلاقة قوية بين اللغة والبعد الاجتماعى ، وأن التقارب الاجتماعى بين الشعوب يسهم بدرجة كبيرة فى نمو اللغة وتطورها ، كما أنه يسهم فى نمو وتطور مختلف الجوانب السلوكية الاجتماعية . وهذا ما جعل المتخصصين يؤكدون على أن النظام اللغوى ليس منفصلاً أو بعيداً عن الواقع الاجتماعى . إنما يستخدم النظام اللغوى فى داخل مجتمع بذاته كى يكـون لغة خاصـة به يستخدمها فى كلامه، وتعاملاتـه ذات الارتباط بالعلاقات الاجتماعية ، وبالمستوى الثقافى ، وبحاجاته الضرورية فى مختلف مجالات الحياة اليومية .

---

[١] صوت الهمزة مكان القاف فى اللهجة المصرية ، وصوت الراء المقترب من العين فى بالعربية مكان صوت الراء فى الفرنسية .

النمو اللغوى :

يولد الإنسان مزوداً بجهاز صوتى يستطيع أن ينطق جميع أصوات لغات العالم ، ويتم اكتساب الطفل للغة السائدة فى بيئته ، ويحدث كف لمختلف أنواع الأصوات الأخرى نتيجة لعدم شيوعها فى البيئة ، وعدم التدريب عليها لإصدارها . ويبدأ الطفل فى اكتساب الأصوات التى يتم عن طريقها اكتساب الكلمات الأساسية والضرورية فى حياته الاجتماعية ، والشائعة الاستخدام فى الجماعة التى يوجد بينها .

ومن المعلوم لمن مارس عملية التربية لأطفاله أنه قد لاحظ أن الطفل فى بداية حياته الأولى أى منذ الميلاد يصدر كثيراً من الأصوات ، والمدقق لسماع هذه الأصوات يجد أن بعضها يعبر عن حالاته الانفعالية الوجدانية ، حيث يصدر صوتاً معيناً يعبر فيه عن الخوف ، وآخر يعبر به عن الراحة والسرور .. إلى آخره . وهذه الأصوات فطرية . بمعنى أنها تصدر عن ذاته دون خبرة سابقة . ولذلك كثيراً ما نجد " أما " عندما تسمع صوت وليدها تسرع بإعداد الطعام وتقول " الولد جعان " ، وعندما تسمع صوتاً آخر تقول " الواد مبلول " وهكذا . بملاحظتها لمختلف الأصوات التى تصدر منه تستطيع الأم أن تدرك دلالة هذا الصوت ، وأنه يريد كذا ، ويطلب كذا ، وأنه " فرح " أو أنه " مستغرب " ، ومن المؤكد أن الأصوات التى يصدرها الطفل فى بداية حياته تكون تحت تأثير حالات الجسم والنفس .

ويذكر لنا على عبد الواحد وافى (١٩٧١ ، ١١٤)[١] التجربة التى أجراها شترن **Stern** وملاحظاته على الأصوات الصادرة عن الطفل فى الحالات الانفعالية . فقد أشار إلى أن الأصوات اللينة التى تصدر عن الطفل تكون معبرة عن حالتى السرور والحزن . وأن صدور صوت الميم والنون

---

[١] هذه التجربة العلمية العملية تشير إلى صحة ملاحظات الأم لأصوات وليدها فى التعبير عن حالاته الجسمية والنفسية .

يكون فى حالتى الجوع والرغبة . أى أن هذين الصوتين يعبران عن عالم الطفل الداخلى ، وأن صوت الباء والتاء والدال يعبر بهم الطفل عن كل ما له علاقة بالعالم الخارجى .

وتسهم العوامل الاجتماعية فى نمو وتطور عملية اكتساب اللغة ، كما تؤثر هذه العوامل على نوعية المفردات ، والجمل والعبارات التى يكتسبها الطفل داخل الأسرة . حيث يبدأ الطفل فى اكتساب الأصوات اللغوية عن طريق الاستماع لهذه الأصوات التى تصدر من أفراد الأسرة ، ثم ينتقل الطفل بعد هذا إلى مرحلة أخرى وهى تقليده غير الدقيق للكلمات التى يستمع إليها من أفراد أسرته .

ويؤكد كثير من الباحثين فى مجال النمو اللغوى لدى الإنسان أن مرحلة التقليد اللغوى ، عادة ما تبدأ فى نهاية[١] العام الأول أو أوائل العام الثانى . وعادة ما تنتهى هذه المرحلة فى نهاية العام السابع تبعاً لاختلاف معدلات النمو لدى الأطفال . وقد يبدأ التقليد اللغوى ، وينتهى على خلاف التجديد – السابق الذكر – حسب حالة وظروف الأطفال أو حسب الأطفال الشواذ ومعدلات النمو اللغوى لديهم .

والطفل فى هذه المرحلة ينطق الكلمات تقليداً لمن حوله . وقد ينطق هذه الكلمات دون إدراك[٢] لمعانيها باستثناء بعض الكلمات ككلمة " أم " ، " أب " ، " أخ " إلى آخره ومع زيادة معدلات النمو لدى الطفل فى مختلف جوانبه ، يبدأ فى نطق بعض الكلمات كما ينطقها الكبار ، وهو يكتسب الكلمات يدرك الطفل " التنغيم " لكل الكلمات التى يسمعها فى محيطه

---

[١] لمزيد من المعلومات انظر على عبد الواحد وافى (١٩٧١ ، ١٦٠ : ١٨٤) .

[٢] وإن كان تشوسكى يؤكد على أن المعانى تسبق الألفاظ التى تدل عليها " المفهوم العميق والمفهوم السطحى " ، حيث يرى أن الطفل يعبر عن المعنى العميق للشرب بلفظ " أمبو " إلى أن يكتمل نمو الجهاز الصوتى، فينطق كلمة " اشرب "

الأسرى، ولهذا فهو يدرك دلالة الكلمة التى تدل على المداعبة ، وغيرها التى تدل على الغضب والضبط ، فنلاحظ أنه عندما يسمع كلمات العطف والحب يبتسم . بينما إذا سمع كلمات الأوامر الشديدة يبكى أو يعبر عن فهمه وإدراكه لدلالة هذه الكلمات .

ومن الملاحظ أن الطفل لا يدرك معانى الكلمات الموجهه إليه فقط ، بل انه يستطيع أن يكتسب ويدرك كثير من معانى الكلمات التى يتحدث بها من حوله ، وأنه يدرك معانى الكلمات التى تدل على المحسوسات ، قبل ان يدرك معانى الكلمات التى تدل على المعنويات كالصبر ، والحب ، ..... الخ. ولهذا نلاحظ – أيضاً – أن الطفل كثيراً ما يسأل عن الأشياء أولاً بالسؤال ما هذا ؟ ، وما اسمه ؟ ثم بعد ذلك يبدأ فى السؤال عن معنى الكلمات المعنوية . كأن يقول رداً على " اصبر " يعنى إيه " استنى شويه " يعنى إيه وهكذا ...

كما نجد أن الطفل يدرك فكرة ومعنى الزمن متأخراً ، فهو لا يستطيع أن يفرق بسهولة بين " الصبح " و" الليل " ، و"اليوم" ، و"أمس" ، وكذلك دلالة أزمنة الأفعال . ويظل الطفل على هذا النحو يكتسب اللغة شيئاً فشيئاً ؛ ومن المحسوس إلى المعنوى ، إلى أن يكتسب كثيراً من الكلمات ، والجمل ، وبعض التعبيرات البسيطة السائدة فى الوسط الاجتماعى المحيط به . وهو أثناء عملية الاكتساب يحتاج ضمن ما يحتاج إلى معاونة ومساعدة المحيطين، وخاصة الوالدين . كما يلاحظ أهمية تكرار الألفاظ وترديدها على سمع الطفل ، وخاصة الكلمات ذات التنغيم كالأناشيد والأغانى .

هذا ؛ ويتقدم الطفل فى اكتساب اللغة تبعاً لزيادة معدلات النمو فى الجوانب المعنية بعملية الاكتساب ، وكذلك تبعاً لمدى نشاط الطفل ، ومدى حيويته ، ومدى إصراره وإرادته على التعرف ، والفهم ، وبشكل عام على مدى نشاطه الاجتماعى ورغبته فى هذا النشاط ، ولتحقيق معدل نمو أفضل

فى اكتساب اللغة لابد من توافر عدد من العوامل التى تساعد على التقليد اللغوى بصورة جيدة .

عوامل التقليد اللغوى السليم :

من أهم العوامل التى تسهم فى التقليد الجيد ، سلامة الجهاز السمعى ، ومدى حساسيته ، ويمكن التأكد من صحة هذا الجهاز ، وسلامته فى بداية اليوم الرابع أو الخامس ، إلا أن هذا الجهاز يعمل بكفاءة عند أواخر الشهر الرابع .. وهكذا يظل الارتقاء فى مستوى السمع ومدى حساسيته حتى بداية العام الثانى . وهذا يعنى أن التقليد اللغوى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى صحة الجهاز السمعى وحساسيته .

ومن بين العوامل التى تساعد الطفل على التقليد الجيد سلامة وجودة الذاكرة السمعية ، حيث إنه كلما كانت الذاكرة قوية أدى إلى سهولة ويسر حفظ الأصوات المسموعة ، وتستمر الذاكرة السمعية فى نموها حتى بداية العام الثانى الذى يبدأ فيه عملها بشكل جيد . حيث تكون قد بلغت حد النضج الذى يمكنها من العمل بكفاءة . وتسهم هذه الذاكرة فى إمكانية التقليد اللغوى بصورة أفضل طالما كانت قادرة على حفظ الصورة السمعية التى يمر بها الفرد ، وتتردد فى محيطه الاجتماعى الذى يعيش فيه .

ويضاف للعاملين السابقين عامل إدراك دلالة معنى الكلمة إدراكاً صحيحاً ، حيث يعتمد التقليد اللغوى السليم على مدى الفهم الدقيق لمعنى الكلمة ، بما يترتب عليه من إمكانية وصول الطفل إلى مستوى أفضل من النمو اللغوى ، حيث زيادة محصوله اللغوى الذى يمكنه من ارتفاع مستوى تفكيره ، ومدى قدرته على التعبير السليم عما يدركه أو يستشعره .

ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل السابقة . حيث إنه يعتمد عليه فى عملية التقليد اللغوى السليم ، وبدونه – وإن كان الطفل يتمتع بسلامة جهازه

السمعى ، وبقدرة الذاكرة السمعية - لا يمكن أن ينمو الطفل لغوياً وفكرياً بشكل صحيح ، لأن إدراك المعنى إدراكاً صحيحاً يسهم إيجابياً فى مدى دقة التقليد ، وبالتالى مدى النمو اللغوى ، والقدرة على التعبير عن حاجاته ، ورغباته ، وإرادته بصورة سليمة .

كما يجب الإشارة هنا إلى أن هذه العوامل الثلاثة لا تعمل منفصلة عن بعضها بعضاً ، بل هـى تعمل معاً متعاونة ، وأنه كلما كان الترابط بينها ترابطاً جيداً متناسقاً ، متكاملاً ، أدى إلى التقليد اللغوى الجيد ، وما يترتب عليه من زيادة معدل النمو اللغوى والقدرة على التعبير السليم عما يريده أو يشعر به .

مما تقدم يبدو واضحاً أن عملية اكتساب اللغة تعتبر أساسية فيما يمكن أن يكون عليه الفرد من التفاعل الاجتماعى . حيث يتم عن طريق اللغة إدراك كثير من الأشياء التى يحتاج الطفل إليها ، والتى يمكن استخدامها معبراً عن حاجاته ورغباته ، وإرادته . وفى الوقت نفسه يستطيع عن طريقها أن يدرك كثيراً مما يدور حوله فى الواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه ، وأن يتمكن - بسهولة - من الاستجابة للمثيرات التى تصدر عن المحيطين به . وأنه كلما استطاع الطفل أن يكتسب الأصوات ، والكلمات بسرعة أدى هذا إلى إمكانية التفاعل مع بيئته الاجتماعية . وهذا بدوره يساعده على اكتساب المزيد من الكلمات ، والجمل والتعبيرات التى من شأنها أن تعينه على زيادة معدل التفاعل الاجتماعى مع زيادة معدل نموه فى مختلف جوانب شخصيته .

وظائف اللغة :

يتفق علماء اللغة وعلم النفس اللغوى على أن اللغة تؤدى وظائف عديدة ، ومتنوعة ، ومختلفة فى حياة الإنسان . بل إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا حياة نفسية اجتماعية صحيحة وسليمة بدون استخدام لغة قوية ، قادرة على التعبير عما يراه ويريده ، فاللغة وسيلة الإنسان لإحداث التفاعل بينه

وبين غيره من الناس ، وبدونها ما كان يستطيع أن يفهم ما يدور حوله ، أو يفهم غيره ما بداخله من مشاعر وأحاسيس .

ولهذا أكدوا على أن اللغة تعتبر وسيلة اتصال أساسية وضرورية فى حياة الإنسان لبيان أهدافه ، وأغراضه ، وكيفية تحقيق هذه الأهداف والأغراض ، وأنه بدون اللغة ما استطاع الإنسان أن يحيا حياة اجتماعية مستمرة على وجه أفضل بل يؤكدون أن حياته الفردية لا تستقيم بدون استخدام اللغة .

كما اعتبروا أن اللغة تقوم بدور هام فى حياة الإنسان سواء كان طفلاً أم كبيراً ، وأن اللغة هى الوسيلة الوحيدة التى استطاعت أن تحول الإنسان من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى ، حيث إنه لا تتم عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى بشكل صحيح إلا بها . كما أنها تسهم بقدر لا بأس به – فى نمو كل من الجانب الانفعالى والاجتماعى ؛ عن طريقها يعبر عن مشاعره وأحاسيسه ، ومختلف جوانبه الوجدانية . وبها – أيضاً – يتمكن من بيان مدى قبوله ورفضه لمن يتعاملون معه ، ومدى تعاونه مع غيره .

هذا ؛ وتقوم اللغة بوظيفة أساسية فى حياة الإنسان ؛ وهى التعبير عن حاجاته ، ورغباته ، ومتطلباته ، وكذلك الاستجابة لحاجات ومتطلبات غيره . معبراً باللغة عن هذه الأشياء بطريقة سهلة ميسورة . الأمر الذى يحدث تقارباً بين الإنسان وغيره من الناس . ولهذا أكد علماء اللغة[1] ، وعلم النفس اللغوى على أنها وسيلة الاتصال ، والتوصيل ، والتسجيل فى حياة كل من الفرد والمجتمع . بل أن " ملنوفكس Molinowski يرى أنه ليست وسيلة

---

[1] لمزيد من المعلومات ارجع إلى محمود السعران (١٩٦٣ ، ٩ : ١٧)

للاتصال والتفاهم والتوصيل فقط . بل أنها عبارة عن حلقة فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم .

ويعتبر علماء اللغة أن اللغة وعاء الفكر ، فبها يفكر الإنسان ، ويعبر عن هذا الفكر . ولذلك فإن الإنسان يستخدمها كوسيلة لإبداء رأيه ، وبيان فكره . كما أنها وسيلته الأســاسية والهامة للنمو العقلى ، وتكوين الفكر السليم ، والوصول إلى الابتكار والإبداع ، حيث يتم عن طريقها إعمال القدرات العقلية المختلفة ، والمتنوعة وكذلك يتم بها تنمية هذه القدرات ، بما يمكن الإنسان من الوصول إلى مستوى أفضل من التفكير ، وتحقيق الابتكار.

وبالإضافة إلى وظيفة اللغة فى تكوين الفكر ونموه ، فإنها تستخدم لبيان الأفكار وتوضيحها ، وكذلك تستعمل اللغة فى عملية إخفاء الأفكار وعدم بيانها ؛ كما هى الحال عند عدم إظهار ما هو محرم عرفياً ، أو دينياً فى واقع المجتمع الذى يعيش فيه الفرد . وكذلك إخفاء نواياه وأفكاره السياسية حال إدراك المفاوض الفكر المضاد مع من يفاوضه . وهكذا أية محاولة من المتكلم أو المستمع لاخفاء ما بداخله عن طريق استخدام تعبيرات ، وصياغات مخالفة تماماً لواقعه المفكر ، أو مشاعره أو نواياه .

هذا ؛ ويستخدم الإنسان اللغة فى نقل مختلف أنواع المعرفة ، وكذلك الأنماط الثقافية المتعددة ، والتى تسود فى مجتمعات أخرى بعيدة مكانياً عن تلك التى تسود فى مجتمعه ، فضلاً عن نقلها لهذه المعرفة، والثقافة من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر آخر.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن اللغة تقوم بعديد من الوظائف الهامة فى حياة كل من الفرد والمجتمع على حد سواء . حيث يتم عن طريقها كشف وبيان المعانى ذات الأهمية فى حياة الإنسان ، والتى بها تنتظم أمور حياته مع الآخرين . وهى وسيلته التى يعتمد عليها فى إحداث التوافق الاجتماعى بين

الأفراد بعضهم بعضاً ، وكشف سوء التوافق ، وإظهار الخلط بين كثير من الأمور والأشياء . عن طريق عدم القدرة على استخدام كلمات اللغة أو التعبيرات استخداماً صحيحاً .

وتعتبر اللغة الوسيلة الهامة والأساسية فى التعامل بين أفراد المهنة الواحدة . حيث يستخدم أصحاب المهنة الواحدة من اللغة الأصلية مفردات محددة ، يكسبونها دلالات خاصة ، وتصبح مصطلحات يعتمد عليها أصحاب هذه المهنة فى بيان وجهات نظرهم ، وتحديد أفكارهم وآرائهم ، كلغة التجار، والصناع ، والمتخصصين فى أى مجال من مجالات العمل ، والعلم .

كما تؤدى اللغة وظيفة اجتماعية أخرى فى بيان مدى الفروق الاجتماعية والثقافية بين الجماعات ، حيث إن كل جماعة من الجماعات ، أو كل مجتمع من المجتمعات يستخدمون – كما سبق القول – مصطلحات خاصة بهم يتم استعمالها للتفاهم بها فيما بينهم.

ومن المعايير التى يمكن الاعتماد عليها لتحديد المستوى الاجتماعى ، والثقافى ، ونوعية المهنة ، دقة نطق الأصوات ، ودقة اختيار الكلمات التى تعبر عن الأفكار بشكل محدد ، بالإضافة إلى دقة التعبير ، وصياغة الجملة ... الخ .

كما تعد اللغة مميزاً للمستوى العمرى للإنسان . حيث إن المستوى اللغوى للطفل يختلف عن المستوى اللغوى عند الراشد ، وكذلك الأمر عند الشيوخ . وفى الوقت نفسه يمكن استخدامها للتمييز بين الذكور والإناث ، فللذكور لغة تميزهم عن الإناث ، والعكس صحيح . وباللغة نستطيع أن نميز بين فرد وآخر، وطبقة اجتماعية عن غيرها ، ومستوى تعليمى عن غيره . وكذلك نميز عن طريقها بين المتعلمين والأميين ، والمثقفين عن غيرهم من محدودى الثقافة .

وهى – اللغة – وسيلة لبيان الفروق بين طبقة اجتماعية عن غيرها من الطبقات . حيث نلاحظ أن الطبقة الراقية تختلف لغتها عن الطبقات المتوسطة والمنخفضة . لما تتميز به من استخدام كلمات ، وجمل وتعبيرات تختلف كثيراً عن مثيلاتها عند بقية الطبقات الاجتماعية . وقد اعتمد " برنارد شو " على اللغة كوسيلة لبيان الفرق بين الطبقات فى مسرحيته " بيجماليون " سيدتى الجميلة ".

هذا ؛ وتسهم اللغة فى عملية المشاركة الاجتماعية ، حيث يتم عن طريقها تبادل الواجبات الاجتماعية باستخدام الكلمات والتعبيرات التى تحمل كثيراً من المعانى الراقية التى تعمل على تقريب المسافات بين الأفراد ، وتوجد المشاعر الطيبة ، وتقوى العلاقات بينهم ، وتعمل على تحقيق مستوى أفضل من التوافق الاجتماعى بين الجميع . ومن أمثلة هذه الكلمات أو التعبيرات ؛ إلقاء السلام ، والتحية على الآخرين ، والسؤال عنهم ، والترحيب بهم ، وإحداث المؤانسة بينهم . فضلاً عن استخدام الألفاظ المناسبة للمواقف ، بحيث تترك أثراً طيباً فى نفوس الآخرين ؛ كاستخدام كلمة " شكراً " ، و "عفواً" ، و " من فضلك " ، و " لا تؤاخذنى " ، و " إذا سمحت " .... الخ .

ومن الوظائف التى يمكن أن تؤديها فى الجانب الاجتماعى ، ما يتم من كلام أو قراءة فى المناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة، والدعاء ، وقراءة القرآن فى الصلاة . كما أنها تستخدم فى التنفيس عن مشاعر الحزن أو الاضطراب والقلق أو عن مشاعر السرور والفرح عندما يقوم الفرد بترديد الأشعار أو القطع النثرية التى تتناسب والموقف العاطفى .

هذا ؛ ويضيف بعض علماء اللغة إلى وظائفها الكثيرة والعديدة ؛ وظيفة حديث النفس " المنولوج **Monologue** " كالقراءة الفردية ، كأن يقرأ الإنسان بصوت عال لنفسه ، أو التفكير بصوت مسموع . أى عندما يعيش

الإنسان أفكاره ، ويخلو بنفسه ، ويفكر بصوت مرتفع .

ومما تقدم يبدو واضحاً الدور الذى تسهم به اللغة فى الجانب الاجتماعى أو غيرها من الجوانب الحياتية الأخرى ، ومدى تأثيرها فى السلوك الإنسانى على المستوى الفردى والاجتماعى . وسواء اتفق علماء اللغة ، وعلماء علم النفس اللغوى على هذه التصنيفات أم لا، فإنها بأى اتجاه فى التصنيف تؤدى وظيفة أساسية وهامة ؛ سواء فى النمو العقلى أو نمو التفكير ، أو تنمية الابتكار والإبداع ، أو إنشاء ونمو العلاقات الاجتماعية ، وإحداث مستوى أفضل من التفاعل ، أو سهولة الاتصال والتوصيل ، ونقل المعارف والمعلومات ، والأفكار ، أو الإمتاع بحديث النفس عن طريق قراءة الشعر والنثر ، أو الحديث إلى النفس النفسى ، والتفكير بصوت مرتفع .

الفصل الحادى عشر

الاستبصار والسلوك الاجتماعى

- تقديـــــــــــــم .
- الاســــــتبصار الذاتى.
- الاستبصار الاجتماعى .

تقديــم :

يتفق كثير من علماء النفس على أهمية الاستبصار بنوعيه – الذاتى والاجتماعى – فيما يمكن أن يكون عليه الفرد والمجتمع – على حد سواء – من النمو والتطور ، والسواء النفسى . حيث يعد عامل الاستبصار بالذات ، وكذلك الاستبصار الاجتماعى من العوامل ذات الأهمية البالغة فى إحداث النمو السليم لكل من الفرد والمجتمع . انطلاقاً من أنه كلما أدرك الفرد ذاته إدراكاً صحيحاً ، وتعرف على مختلف جوانبها . استطاع أن يكون على درجة من هذا الاستبصار تمكنه من الاستفادة بما لديه من قدرات ، وما وهبه الله من مختلف الإمكانيات ومستوياتها فى تحقيق مستوى أفضل من السواء النفسى . حيث إن الفهم الصحيح ، والسليم للذات يمكن الفرد من وضع الأهداف وتحديدها تحديداً دقيقاً بما يتفق وقدرته على إنجازها .

بالإضافة إلى ما تقدم فإن الاستبصار الصحيح بالذات يساعد الفرد على تحقيق النجاح ، والتقدم ، والثقة بالنفس ، والإحساس بالذات . وهذا ما دعا "بول لاندس وجوان هير " Paul, L. & Joanne, H. (١٩٥٤) إلى اعتبار الاستبصار بالذات ضرورة تمكن الفرد من معرفة جوانب القوة ، والضعف . بما يجعله متقبلاً لذاته . وهذا ما جعله يوصى بمساعدة الأطفال لمعرفة أنفسهم ، والعمل على تقبلهم لما لديهم من قدرات وإمكانات ، بشرط أن يتم هذا فى وقت مبكر . لأن هذا من شأنه أن يمنحهم الفرصة للحياة على أساس واقعى ثابت .

وقد أتفق " جوردن ألبورت " Gordon, A. (١٩٦٣) مع غيره من علماء النفس على تأكيد أهمية دور الاستبصار بالذات فى حياة الفرد . حيث إنه يساعده على إدراك ذاته إدراكاً موضوعياً ، ويمكنه من معرفة نفسه معرفة واضحة ، بما يجعله يدرك ميوله ، ويتفهم نواحى قصوره . الأمر الذى يساعده على إنجاز ما يقدم عليه من أعمال .

ويشارك كل من عبد السلام عبد الغفار ، وعثمان فرج (١٩٦٦) "جوردن ألبورت " فيما وصل إليه . حيث يريان ضرورة الاهتمام بعملية استبصار الفرد بذاته ، لأنها تمكن الفرد من تحمل وتخفيف أثر ما قد يصادفه من توتر . فضلاً عن أنه كلما استطاع الفرد أن يتفهم نفسه ، ويدرك ذاته ؛ فإن هذا يتيح له قدراً من إحداث التوافق فى حياته .

كما يشير حلمى المليجى (١٩٦٨) إلى أهمية الاستبصار بالذات Self insight . حيث اعتبر أن معرفة الفرد بذاته ؛ تساعده على إصدار أحكام سليمة على شخصية الآخرين . وهذا بدوره يمكنه من إنشاء علاقات اجتماعية مع من حوله ، بما يكسبه مزيداً من الخبرات تسهم بدرجة أو بأخرى فى نمو شخصيته .

ويؤكد جيمس كولمان .James, C (١٩٧٢) على أن الفرد عادة ما يتفاعل مع المواقف التى تتفق مع إدراكه لذاته ، وبالطرق التى تتمشى مع مفهومه لها .

ومما تقدم يبدو واضحاً أن الاستبصار بالذات يشكل أهمية فى نمو الشخصية وتطورها على أساس صحيح سليم ، وما يمكن أن تكون عليه من مستوى السواء النفسى . فإنه فى الوقت نفسه يسهم بدرجة لا بأس بها فى مدى إنشاء علاقات اجتماعية جيدة مع غيره من الناس . حيث إن الاستبصار الصحيح بالذات يساعد الفرد على حسن التعامل مع الآخرين ، وإصدار أحكام صحيحة عليهم ، وسهولة التوافق معهم .

هذا ؛ كما يعد الاستبصار الاجتماعى Social insight – أيضاً – ضرورة أساسية فى حياة الفرد ، لما له من أثر بالغ فيما يمكن أن يكون عليه من علاقة بالمحيطين به . بحيث يستطيع أن يحسن التعامل معهم ، وأن يصل إلى درجة مقبولة من التفاعل الذى من شأنه أن يشعر الفرد بوجوده

وإنسانيته ، وأنه عضو فى مجتمع يقدره ويحترمه . وكلها أمور ضرورية لتحقيق درجة من السواء النفسى السليم .

كما أنه يمكن القول بأن التفاعل الناتج عن الاستبصار الاجتماعى يؤدى إلى درجة من التجاوب بين الفرد والمجتمع ، وما يترتب على هذا من سهولة التفاهم من أجل ما قد ينشأ من مشكلات داخل المجتمع .

ومن الملاحظ فى حياة المجتمعات المعاصرة – وخاصة فى السنوات الأخيرة – أن غالبية كثير من أفراد المجتمع يسعون فى حياتهم لتحقيق أهدافهم دون استبصار بالمجتمع الذى يعيشون فيه . الأمر الذى يؤدى بهم إلى الإغراق فى مشكلات نفسية واجتماعية ، كان من الممكن تجنبها إذا ما كانوا على درجة مقبولة من الاستبصار الاجتماعى لواقعهم .

والمدقق فى واقع المجتمع ، وما ينشأ فيه من الظواهر الاجتماعية والنفسية ؛ كالحقد ، والكراهية ، وســوء الظن ، والحسد ، وشيوع اللامبالاة، والأناماليه بين أفراد المجتمع يجد أن من أهم أسباب حدوث مثل هذه الظواهر ، هو عدم القدرة على الاستبصار الاجتماعى الصحيح للمجتمع الذى يعيش فيه ، وبالتالى يؤدى إلى عدم الوصول إلى حقيقة جذور العوامل الاجتماعية الموروثة بما فيها من قيم ، ومبادئ ، وعادات ، وتقاليد . الأمر الذى يجعل الضعف يتخلل البنيان الاجتماعى لأفراد المجتمع .

كما أنه من الملاحظ – أيضاً – أن مظاهر التقدم العلمى ، والتكنولوجى قد أحدثت هوة واسعة بين قدرة الفرد على الموازنة بين تحقيق تطلعاته ورغباته ، وتطلعات ورغبات مجتمعه . حيث إن قوة جذب عوامل التقدم العلمى والتكنولوجى جعلت الفرد يمعن فى خدمة ذاته ، وإشباع متطلباته دون مراعاة معدل نمو المجتمع وإشباع حاجات ومتطلبات أفراده . ومن ثم فإن هذا يفقد الفرد ما يحدث أثناء عملية التنشئة الاجتماعية لمساعدته

على الاستبصار بالواقع الاجتماعى . الأمر الذى يؤدى إلى انعدام الإحساس الاجتماعى لديه .

ومن أجل هذا كانت أهمية وضرورة الاستبصار الاجتماعى فى حياة كل من الفرد والمجتمع . حيث إنه يقلل كثيراً من المخالفات القانونية ، والأحداث والظواهر الاجتماعية ، والظروف النفسية السيئة التى تعوق مسيرة النمو والتقدم فى المجتمع . بالإضافة إلى انخفاض معدلات الانحرافات السلوكية التى تتناقض وقوانين ، وعادات وتقاليد المجتمع . وما يترتب على هذا من عدم تعرض أفراده إلى الضيق والتوتر ، وعدم الشعور بالاغتراب عنه.

ومن هذا يبدو واضحاً أن العناية بعملية الاستبصار الاجتماعى كمتغير له أهمية فى تكوين الشخصية الاجتماعية السوية ، تؤدى إلى تحسين مستوى السواء النفسى لمختلف أفراد المجتمع ، ووقاية الإنسان من الوقوع فى مناطق الصراع الذى يفقد الفرد قدرته على الاستبصار الجيد لواقعه الاجتماعى .

مفهوم الاستبصار الذاتى :

يحدد هذا المفهوم كلمتى " الاستبصار " و " الذاتى " . وفيما يلى بيان الدلالة اللغوية لكل كلمة من هاتين الكلمتين حتى نستطيع أن نصل إلى المفهوم اللغوى لهذا المصطلح .

يذكر ابن منظور(١) أن التبصر يعنى التأمل ، والتعريف والإيضاح . يقال : استبصر يعنى ؛ تبين ما يأتيه من خير وشر . كما يذكر أصحاب(٢) المعجم الوجيز أن بصر الشئ علم به ، واستبان ووضح . وتبصر تأمل

---

(١) لسان العرب ، ط. (١) ، المجلد (٤) ، ص (٦٥) .

(٢) مجمع اللغة العربية ، ص (٥٣) .

وتعرف .

كما يذكر صاحـب قاموس " أكسفورد "[١] أن الاستبصار يعنى ؛ القدرة على التبصر بالعقل ، والاسـتبصار بجوانب الشخصية ، والاستبصار: الوضوح لأمور الحياة .

ويتضح مما تقدم أن كلمة الاستبصار تعنى لغوياً ؛ التأمل ، والتعرف ، والإيضاح ، والبيان والعلم . وهذا يعنى الإدراك الدقيق الناتج عن مختلف العمليات السابقة الذكر . بما يؤدى إلى معرفة الأشياء والأمور معرفة واقعية وحقيقية .

أما كلمة " الذات " ؛ فنجد أن أصحاب المعجم الوجيز[٢] يذكرون أن ذات الشئ : حقيقته وخاصيته ، يقال عيب ذاتى : جبلى وخلقى ، ويقال نقد ذاتى : أى يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته .

كما يذكر صاحب قاموس " اكسفرد"[٣] أن الذات تعنى طبيعـة الإنسان ، والصفات الخاصة به ، ويقصد بها الصفات الحسنة والسيئة ، وإدراك الطبع الحسن ، وإدراك الذات وفهمها .

وبناء على ما تقدم من بيان دلالة كلمة " الذات " اللغوية يتضح أنها تشير إلى كل ما يخص الإنسان الفرد من طبيعة بشرية تميزه عن غيره من الأفراد ، وكذلك الصفات الخاصة به ؛ سواء كانت إيجابية أو سلبية ، وكذلك الجانب الانفعالى الذى يحدد معالم شخصيته .

---

(١) ص (٤٤١) .
(٢) مجمع اللغة العربية ، ص (٢٤٢) .
(٣) ص (٧٧٢) .

وبإضافة المعنى لمدلول كل من كلمتى " الاستبصار" و"الذات" يمكن القول بأن الدلالة اللغوية لهما تعنى التأمل ، والتعرف ، والإيضاح ، والبيان، والعلـم الذى يؤدى إلى الإدراك الدقيق لكثير من الخصائص الشـخصية ، والصفات الخاصة للفرد التى يدرك عن طريقها مختلف جوانب شخصيته التى تميزه عن غيره من الناس .

المفهوم الاصطلاحى للاستبصار الذاتى :

ويقصد به[١] "قدرة الفرد على تقييم ذاته تقييماً واقعياً ، والوقوف على حقيقة ما لديه من قدرات ، وإمكانات ، والتعرف على نقاط ضعفه وقوته ".

وهذا المفهوم يحدد الأساس الذى يعتمد عليه لتحديد استبصار الفرد بذاته . حيث اعتبر التقييم الواقعى الذى يمكن الفرد من معرفته لقدراته وإمكاناته ، وإدراك مواطن ضعفه وقوته إدراكاً صحيحاً محكاً أساسياً للوصول إلى حقيقة ذات الفرد .

وهذا التقييم يتيح للفرد إمكانية حسن استثمار ما استطاع أن يستبصره فى ذاته بما يعود عليه بالنفع على المستوى الشخصى من إحداث مستوى أفضل من النمو فى الشخصية ، وكذلك الوصول إلى مستوى أفضل من الصحة النفسية . فضلاً عن تحديد الأهداف التى يمكن تحقيقها دون التعارض مع أهداف الآخرين . الأمر الذى يجعله قادراً على تحقيق مستوى أفضل من العلاقات الاجتماعية مع غيره من الناس .

الاستبصار الذاتى :

قدم عدد من العلماء والباحثين وجهة نظرهم فى دلالة كلمة الاستبصار Insight ومن بين هؤلاء . أسعد رزق[١] (١٩٧٧) الذى ذكر أن الاستبصار

---

(١) نبيه إبراهيم إسماعيل (١٩٨٠) .

(١) موسوعة علم النفس ، ص (٥٩ : ٦٠) .

يعنى ؛ " التمييز العقلى أو الفطنة العقلية " ، وقوامها الإدراك المباشر للمفاهيم والقضايا والعلاقات . ويقابلها فى علم النفس الاستبطانى ؛ إدراك أو استيعاب مباشر لمعنى شئ أو مغزاه ومدلوله . وعند " الجشطلت " يعنى ؛ وعى لاتصال السلوك الوثيق أو غايته . وهو يعنى فى علم الأمراض النفسية توازى وعى المرء لحالته العقلية الذاتية .

هذا ، وينطوى التبصر على تلقائية الإدراك وفوريته . بمعنى أن الأمر الذى يستبصره الفرد يتضح له كأنه يبصره ، فيتعرف عليه ، ويدرك أبعاده وحدوده . ويصل بذلك إلى حد العلم به علماً واقعياً .

كما نجد أن " وليم الخولى "[١] (١٩٧٦) يذكر أن الاستبصار يأتى بمعنى النظر الشامل للأمور ، الذى يحوى الماضى والحاضر والمستقبل ؛ أى التأمل الاســترجاعى Retrospection وتبصر العواقب ، وبعد النظر Foresight .

ويمكن القول بأن الاستبصار حسب وجهات نظر كثير من العلماء مثل "سبيرمان" ، وأصحاب نظرية الجشطلت ، يشتمل – حسب الترتيب – أنه يعتبر من خصيات الشعور التى تجعله يأخذ بالمعلومات المبنية على دليل كاف . كما أنه يعتبر الإدراك الفجائى لموقف أو معنى ما ، وهو – فى الوقت نفسه – إدراك مباشر غير مبنى على الخبرة السابقة ، أو مجرد المحاولة والخطأ . بل هو نتيجة إعادة بناء الموقف فى الذهن ، وإدراك مختلف العلاقات فى هذا الموقف .

ويذكر " فاخر عقل "[١] (١٩٧١) أن الاستبصار يعنى التفهم المباشر

---

(١) الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى ، ص (٢٦١) .

(٢) معجم علم النفس . ص (٥٨)

للشكل ، والمعنى ، أو الحقائق العامة أو العلاقة بين الوسيلة والغاية . وهذا يعنى أن الاستبصار يمكن الفرد من تحديد كثير من الأمور والأشياء التى يتعرض لها الإنسان فى حياته .

ولعل ما تقدم من بيان لوجهات نظر العلماء لإيضاح عملية الاستبصار يؤكد مدى أهميته فى حياة الإنسان ، وما يقوم به من دور أساسى فى التأمل، والمعرفة ، والإيضاح ، والفهم الذى يؤدى إلى العلم بواقع الأشياء والأمور والذات ، والذى بدوره يسهم فى أن يسلك الإنسان السلوك السوى السليم الذى يؤدى إلى تحقيق الذات وفى الوقت نفسه يؤدى إلى قدرة الفرد على إصدار الأنماط السلوكية التى تجعله عضواً فعّالاً فى المجتمع الذى يعيش فيه.

وإذا كان هذا هو معنى الاستبصار بشكل عام ، فإن الاستبصار الذاتى – كما هو محدد عند كثير من المتخصصين في علم النفس – يعنى التعرف الواقعى لحقيقة ذات الفرد لمختلف جوانبها ضعفاً وقوة .

ولهذا نجد أن " بول لاندس وجوان هير " Pual, L. & Joann, H. (١٩٥٤) يريان أن الاستبصار بالذات يعد من بين المقومات الأساسية التى تسهم فى جعل الإنسان يعيش حياة ناجحة . حيث يذهبان إلى القول بأن الاستبصار بالذات من المتطلبات الأساسية لحسن التكيف والتوافق ، والنجاح فى الحياة . ولهذا فقد حث الآباء على مساعدة الأبناء لمعرفة أنفسهم ؛ بما تتضمنه من أوجه قصور، وقدرات ، وإمكانات ومعاونتهم على تقبل ذواتهم بما هى عليه .

ويتفق " جيرارد سدنى " Jourard, S. (١٩٦٣) مع " بول لاندس وجوان هير " فيما يذهبان إليه بخصوص أهمية الاستبصار بالذات . عندما رأى " أن إدراك الفرد لذاته ، ومعرفته بها أمر ذو أهمية فى ضمان نموه وسعادته . ويضيف إلى هذا " أن شعور الفرد بعدم القدرة على معرفته ذاته،

وإدراكه لها .. لا يمكنه من تحديد احتياجاته من الآخرين كي يسهموا فى نموه ، وفى تحقيق سعادته . (ص ٣٧٤) . وفى هذا إشارة إلى أن الاستبصار بالذات يمكن الفرد من حسن التعامل مع الآخرين بما يساعد على إشباع حاجاته منهم . ثم نجده – " سدنى " – يؤكد هذا عندما قال : " إذا استطاع الشـــخص التنقيب عما بداخله .. ومعرفة تكوينه الذاتى ، لاستطاع أن يستفيد من هـــذا استفادة كاملة فى تشكيل سلوكه " (٣٧٩) .

ومن أجل هذا كانت دعوة " هلين جيلهام " (١٩٦٤) إلى ضرورة مساعدة الأطفال على فهم أنفسهم ، عن طريق إعطائهم فكرة واضحة عما لديهم من إمكانات ، ومساعدتهم على التأكد من صحة هذه الفكرة ، إلى جانب ترك الطفل يكتشف ذاته عن طريق تعامله مع غيره . حيث نبهت إلى أن الفكرة التى يأخذها الطفل عن نفسه من خلال علاقته ، وتفاعلاته مع غيره من الناس تجعله أكثر ثقة بنفسه . (ص ٢١ : ٦٣)

ويتفق كل من " حلمى المليجى " (١٩٨٠) ، و"عبد الرحمن عيسوى " (١٩٧٢) على أن الشخص ذو القدرة المناسبة على الاستبصار بالذات – أى المعرفة الواقعية بذاته – يستطيع أن يصدر أحكاماً موضوعية على ذاته ، وبالتالى ؛ يصبح واقعياً فى سلوكه .

ومما تقدم يبدو واضحاً أن الاستبصار بالذات يمكن الفرد من إدراكه الحقيقى لقدراته ، وإمكاناته ، وتفهمه لهما . بما يساعده على إصدار السلوك الذى يتفق وهذه الذات ، وفى الوقت نفسه يمكنه من حسن التعامل مع غيره من الناس الأمر الذى يؤدى إلى إنشـــاء علاقات اجتماعية إيجابية وفعّالة .

قياس الاستبصار بالذات :

يذكر " إبراهيم قشقوش " (١٩٧٥) أنه على الرغم من أهمية الاستبصار بالذات فى مجال البحث العلمى إلا أنه لم يجد أداة لقياس هذا

الجانب لدى الفرد . مما دعاه إلى تصميم أداة يعتمد عليها لقياس الاستبصار بالذات .

وقد اهتدى – بعد مراجعة المحاولات السابقة لقياس هذا المتغير – إلى وجود أسلوبين الأول ؛ يعتمد على درجة التباعد بين تقدير الفرد لذاته ، وتقديرات الآخرين له فى مجموعة من الصفات أو الخصائص السلوكية . والثانى ؛ يعتمد على التقدير المباشر الذى يضعه الآخـــرون عن مدى توافـــر صفـــة الاســـتبصار بالذات لدى فرد معين .

وقد أبدى " إبراهيم قشقوش " (١٩٧٥) اعتراضه على الطريقة الثانية. حيث تقتصر فى تحديدها لدرجة الاستبصار بالذات على وجهة نظر الآخرين . وهذا من شأنه أن يهمل تقدير الفرد لذاته ، ومفهومه عن نفسه . بالإضافة إلى أنه لا يهتم بمقدار الفرق بين مفهوم الفرد عن ذاته ، ومفهوم الآخرين عنه .

ولهذا اعتبر أن الطريقة الأولى هى أفضل الطرق لقياس الاستبصار بالذات ، ويتفق الكاتب مع " إبراهيم قشقوش" فى هذا الرأى . حيث إن الطريقة الأولى لقياس الاستبصار بالذات تعد أكثر دقة ، وموضوعية فى تحديد استبصار الفرد لذاته .

ويحدد درجة الاستبصار بالذات وفق هذه الطريقة عن طريق مجموع الفروق بين تقدير الفرد لذاته ، ومتوسط تقدير الآخرين له فى كل صفة من الصفات المتضمنة فى المقياس . بحيث تشير درجة التباعد المرتفعة إلى انخفاض درجة الاستبصار بالذات . بينما تشير الدرجة المنخفضة على المقياس إلى ارتفاع درجة الاستبصار بالذات .

الاستبصار بالذات فى مجال الدراسة والبحث :

اهتم علماء النفس بالاستبصار بالذات Self insight اهتماماً بالغاً لما له

من أهمية فيما يمكن أن يكون عليه الإنسان من مستوى السواء النفسى ؛ حيث أكد " جرارد سدنى " Jourard, Sidney (١٩٧٦) على أن إدراك الفرد لذاته ، ومعرفته بها أمر ذو أهمية فى تحقيق النمو والسعادة النفسية . وأن شعور الفرد بعدم قدرته على التعرف على ذاته ، أو عدم إدراكـــه لها إدراكاً دقيقاً ، لا يمكنه من تحديد احتياجاته من الآخرين ليســاعدوه على النمو وتحقيق السعادة .

ومما تقدم يجعلنا ندرك أن مثل هذا النوع من الاستبصار يمكن الإنسان الفرد من أن يكون على درجة مناسبة من السواء النفسى بما يصـــدر من أنماط ســلوكية صحيحة تجعله قــادراً علـــى تهيئة منـــاخ نفســـى يتيح له العيش مع غـــيره من النـــاس فى اتفاق وانسجام .

وهذا ما أكده "ريتشرد وآخرون" .Rychard et al (١٩٧٦) فى دراساته التى أجراها فى مجال الاستبصار بالذات ؛ حيث أشار إلى أنها أسفرت عن أن ما يدركه الفرد عن ذاته -- سواء كان إيجابياً أو سلبياً – له أهمية فى أســلوب تعليمه ، وأن الأسوياء لهم قدرة على تحديد ، وإدراك ما هو إيجابى . بينما وجد أن غير الأسوياء – المصابين بالفصام – لديهم مفاهيم ذاتية سلبية ، لأنهم كانوا يقللون من أثر التعزيزات الموجه إليهم .

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة تبادلية بين الاستبصار بالذات والسواء النفسى . حيث يبدو واضحاً أن تمتع الفرد بقدر مناسب من السوية يشكل أهمية فى مدى قدرته على فهم ذاته والاستبصار بها ؛ ومعرفة جوانبها السلبية والإيجابية . وأن العكس على خلاف ذلك .

ويلاحظ أن الدراسة التى أجراها جوزيف رتشلاك Joseeph Rychlak (١٩٧٦) تتفق مع ما توصل إليه " ريتشرد " حيث أثبتت أن الأسوياء من الناس لديهم القدرة على فهم الجوانب الإيجابية والسلبية فى أنفسهم ، وأنهم

يستفيدون من التعزيز الذى يقدم لهم فى تقوية معانى الحياة . على حين تبين أن غير الأسوياء – المصابين بالفصام – لا يستفيدون من التعزيزات لتقوية معانى الحياة . وهذه الدراسة تشير إلى وجود ارتباط بين فهم الإنسان لذاته ، ومعرفة الجوانب الإيجابية والسلبية فيها . الأمر الذى يجعله أكثر قدرة لتحقيق قدر مناسب من التوافق فى حياته .

هذا ؛ وقد أكد كثير من الباحثين – الذين أدركوا العلاقة بين الاستبصار بالذات والمجتمع الذى يعيش فيه الفرد – على أهمية دور المجتمع فى استبصار الفرد بذاته ومن هؤلاء " فلويد ماتسون" Floyed, M. (١٩٧٣) الذى يرى أن الاستبصار بالذات يمكن أن يتم عن طريق التعامل مع الآخرين ، فيتيح له هذا التعامل إمكانية تفهم نفسه وتقبل ذاته .

كما درس " إبراهيم قشقوش " (١٩٧٥) الاستبصار بالذات كجانب هام من جوانب مفهوم الذات عند دراسته للعلاقة بين مستوى الطموح ودرجة الاستبصار بالذات . وقد توصل إلى أن الطلاب ذوى مستويات الطموح المرتفعة أكثر استبصار بذواتهم من نظرائهم من ذوى مستويات الطموح المنخفضة .

كما أشارت نتائج دراسة رتشارد Richard, J. (١٩٧٧)- التى كانت تهدف إلى معرفة العلاقة بين الاستبصار بالذات والصحة النفسية – إلى أن الاستبصار بالذات يمثل ضرورة لتحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية . ومن هذا يفهم أن تزويد الإنسان بأفكار سليمة عن ذاته يسهم فى سوائهم النفسى .

وتناول " نبيه إسماعيل " (١٩٨٠) عامل الاستبصار بالذات فى دراسته عن العوامل النفسية المرتبطة بالصحة النفسية السليمة . كعامل يمكن أن يشكل أهمية فى تحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية . وقد أشارت

النتائج إلى وجود علاقة بين الاستبصار الذاتى والصحة النفسية السليمة .

يشير ما تقدم من عرض لبعض الدراسات والبحوث فى مجال الاستبصار بالذات إلى بيان أهمية دور هذا العامل فى مدى نمو وتطور الشخصية الإنسانية ، وكذلك مدى إسهام المجتمع فى مساعدتها لتحقيق مزيد من النجاح والتوفيق فى الحياة . حيث إن الفرد لا يستطيع إدراك ذاته إدراكاً حقيقياً بمعزل عن الآخرين الذين يتعاملون معه فى المجتمع الواحد فضلاً عما يترتب على الاستبصار الجيد بالذات من إنشاء علاقات اجتماعية صحيحة مع أفراد المجتمع تؤدى إلى تحقيق واقع اجتماعى أفضل .

المفهوم اللغوى للاستبصار الاجتماعى :

يحدد هذا المفهوم كلمتى " الاستبصار " و " الاجتماعى " . وفيما يلى بيان للدلالة اللغوية لكل كلمة من هاتين الكلمتين حتى نستطيع أن نصل إلى المفهوم اللغوى لهذا المصطلح .

وقد سبق[١] بيان دلالة كلمة " الاستبصار " عند تحديد الدلالة اللغوية لمفهوم الاستبصار الذاتى . وقد توصلنا لمفهوم هذا المصطلح من الناحية اللغوية بعد بحثها فى المعاجم[٢] اللغوية .

أما كلمة الاجتماعى ؛ فنجد أن " ابن منظور"[٣] يذكر لنا ؛ جمع الشئ عن تفرقه ، واجمعه فاجتمع ، وجمعت الشئ إذا جئت به من ههنا وههنا ، وتجمع القوم فاجتمعوا والجمع اسم كجماعة الناس . ويذكر أصحاب المعجم[٤] الوجيز أن جمع المتفرق جمعاً ضم بعضه إلى بعض ، واجتمع القوم :

---

(١) ارجع إلى ص (٢٣٣) .

(٢) لسان العرب ، ط.(١) ، المجلد (٤) ، ص (٦٥) .

(٣) لسان العرب ، ط. (١) ، المجلد (٨) ، ص (٥٣) .

(٤)مجمع اللغة العربية ، ص (١١٦ : ١١٧)

انضم بعضهم إلى بعض ، وأجمع : اسم يدل على الشمول ، والجماعة : العدد الكثير من الناس .

ويذكر صاحب قاموس اكسفورد[1] أن كلمة اجتماعى تعنى أن يعيش الفرد مع جماعة من الناس ، وتوجد بينهم علاقات عن طريق ما بينهم من عادات ، ومساعدة بعضهم بعض .

ويبدو مما تقدم أن كلمة الاجتماعى ؛ تعنى مجموع الناس الذين اجتمعوا من أماكن متعددة فى مكان معين ، ويطلق عليهم جماعة الناس أى التى تضم عدداً كبيراً منهم ، وفى الوقت نفسه تدل هذه الكلمة على الشمول . بمعنى أن هذا الجمع من الناس يحتوى على كثير من الأعمال ، والأفعال ، والسلوك ، وما يحدث بين هؤلاء الناس من تفاعل بين أفرادها .

وبإضافة المعنى لمدلول كل من كلمتى الاستبصار والاجتماعى يمكن القول بأن الدلالة اللغوية لها تعنى التأمل ، والتعرف والإيضاح ، والبيان ، والعلم الذى يؤدى إلى الإدراك الدقيق لكثير من الأمور الواقعة والحقيقية لكل ما يحدث بين مجموعة من الناس من علاقات اجتماعية ، وعادات ، وتقاليد ، ومختلف ما يصدر من أعمال ، وأفعال وسلوك داخل الجماعة من شأنه أن يحدث قدراً من التفاعل ؛ والاندماج بين الفرد وغيره من أفراد هذا المجتمع .

المفهوم الاصطلاحى للاستبصار الاجتماعى :

ويقصد به تقييم الإدراك الحسى ، والدقة الفردية فى تقييم الآخرين ، والتنبؤ بما هو محتمل أن يقولوه أو يفعلوه .

ويشير " شبن " Chapin (١٩٦٧) إلى أن الاستبصار الاجتماعى لا يقتصر على درجة التعاطف أو التماثل مع الآخر أو الشعور بالتجانس معه

---

(١)اكسفورد ، ص (٤٤١) .

أو الاقتصار على إظهار القابلية للاستجابة العاطفية ، أو التسامح . بل، يعنى مدى قدرة الفرد على تقييم الآخرين . وإدراك ما يشعرون به ، وما يفكرون فيه ، والتنبؤ بما يحتمل أن يقولوا أو يفعلوا .

كما أن الاستبصار الاجتماعى يتضمن قدرة الفرد على تقييم المكانة البينشخصية ، والشعور بما قد يحتاج إليه من مساعدة فى بعض التغييرات التى قد تحدث فى أى ظروف اجتماعية ، بهدف تحسينه أو لتقويم التوترات أو إزالة الخلافات المعوقة . وبشكل عام ، يعنى قدرة الفرد على إدراك الوضع أو الواقع الاجتماعى .

وهذا يعنى أن يكون الفرد المستبصر اجتماعياً لديه القدرة والفاعلية للاستجابة المميزة ، بهدف إزالة التوترات والخلافات الجماعية وتحقيق الانسجام ، والبعد عن الارتباك والتخبط ، وإزالة الغموض ، فضلاً عن عملية التقييم والتنبؤ .

والاستبصار الاجتماعى مطلب لكل فرد يقوم بعمل مؤثر داخل المجتمع كالأطباء ، والاختصاصيين النفسيين ، والاجتماعيين ، وغيرهم ممن يتعاملون مع أفراد المجتمع كالسياسيين ورجال الدين وغيرهم ، حيث يجب أن يدركوا تمام الإدراك ما يرغب فيه ويحتاج إليه الآخرون ، وهذا يعنى أن الاستبصار الاجتماعى يشكل أهمية أساسية وجوهرية فى حياة الإنسان الفرد والمجتمع على حد سواء .

الاستبصار الاجتماعى :

من المعلوم أن أفراد المجتمع وجماعاته كل منهما لهما أهدافاً خاصة يضعونها ، وأساليب معينة يستخدمونها للوصول إلى تحقيق هذه الأهداف . وهذا ما أطلق عليه برنارد Barnard (١٩٥٤) مدى تأثير النشاط التعاونى Effectiveness of cooperative effect فإذا كان الفرد مدركاً للنشاط

الجماعى، ومستبصراً لأهداف الجماعة ، كان أكثر تفاعلاً ، وإندماجاً مع أفرادها . بما يؤدى إلى زيادة الارتباط بينهما . ويستطيع أن يصل الفرد إلى تحقيق هذا التفاعل والاندماج إذا كان قادراً على الاستبصار الاجتماعى لأهداف الجماعة بدرجة جيدة ، وما يتضمنه هذا الاستبصار من إدراك دوافعها ، ومدى الصراع بينها لتحقيق أهداف معينة ، وكذلك معدل نشاطها ، وإدراك حدود إمكانياتها .

وقد أشار لويس كامل مليكة (١٩٦٤) إلى دراسة " شو Show " التى أسفرت عن أن الأفراد الذين يتسمون بالتعاون ، ويتمتعون بدرجة عالية من الاستبصار كانوا أكثر قدرة على حل المشكلات التى كانوا بصدد حلها مع الجماعات الأخرى التى كان أفرادها يعملون منفردين لحل مشكلات مشابهة .

وهذا يعنى أن الأفراد الذين استبصروا بقيمة التعاون بينهم – الجماعات المتعاونة – كانت لديهم القدرة على حل مشاكلهم عن غيرهم من الذين كانوا يعملون بشكل منفرد . مما يدل على أن الاستبصار الاجتماعى فيما بينهم أدى إلى تحقيق أهدافهم التى كانوا يسعون إليها وحل مشاكلهم التى كانت تنشأ مع غيرهم .

كما يشير تصنيف " كارترايت وزاندر " – الذى اهتم بدراسة الأهداف الجماعية – إلى أن استبصار الأهداف الجماعية لا تعوق تحقيق الأهداف الفردية . حيث قد تختلف الأهداف الفردية بين الأفراد إلا أنهم يشكلون فى واقعهم الاجتماعى أهداف مشتركة . وهنا يبدو واضحاً أهمية الاستبصار الاجتماعى ، لأنه إذا لم يكن هؤلاء الأفراد على درجة عالية من الاستبصار فيما بينهم من علاقات ما استطاعوا أن يكونوا جماعة ذات أهداف عامة مشتركة.

ويذكر كمال الدسوقى (١٩٦٩) أن " دويتش Deutsch " يرى أن

اشتراك مجموعة من الأفراد فى عمل معين . بحيث يؤدى كل فرد منهم عمله بصورة جيدة يؤدى إلى انخفاض توتر الآخرين، وبهذا يعنى أن عمل الأفراد مع بعضهم بعضاً لا يمكن أن يخفض التوتر إلا إذا كان على درجة عالية من الاستبصار بالواقع الاجتماعى لأفراد الجماعة ، وإلا ما استطاع أن يحدد العمل الذى يقوم به ، والذى من شأنه أن يسهم فى خفض التوتر لديهم .

ومن المعلوم أن أصحاب مدرسة " الجشطلت " يعتمدون فى تفسير السلوك على أساس الإدراك الكلى للمجال ، وليس على الإدراك الجزئى له . وقد أسهم " لفين " إسهاماً إيجابياً فى بنيان الدور الإيجابى لأصحاب هذه المدرسة ، بناء على هذا المبدأ فى العلوم الاجتماعية ، وخاصة مجال ديناميات الجماعة .

ولبيان فكرة الاستبصار الاجتماعى بشكل جيد لابد من عرض سريع لفكر " لفين " فى نظريته ، نظرية المجال . حيث أكد على التفاعل المتبادل داخل الموقف . ولذلك يعتبر المجال الحيوى أو السيكولوجى للفرد أحد المكونات الأساسية فى نظريته . حيث يرى أن العمليات النفسية ، من تفكير ، وعمل تدرك على أساس وظيفة المجال الذى يوجد حال حدوث السلوك . وفيما يلى عرض لبعض الأسس العامة لنظرية " لفين " .

- إن ما يحدث من سلوك يصدر عن الأفراد هو نتاج المجال الذى يتم فيه إصدار السلوك . أى أن السلوك وظيفة هذا المجال .
- إن الموقف يدرك إدراكاً كلياً ، ومنه يبدأ التحليل لبيان العناصر المكونة له.
- وقد أوضح " لفين " بيان هذا بالتمثيل الرياضى الذى اعتبره وسيلة سهلة للاتصال والفهم ، والذى يتلخص فى رسم الدوائر والمربعات والمثلثات ، والأشكال البيضوية ، والحواجز .. وغيرها من الرسوم الهندسية التى يمكن الاستعانة بها لتوضيح نظريته دون اللجوء إلى استخدام الكلمات .

كما يؤكد " لفين " على أهمية القوى التى تسهم فى تحديد السلوك ، وفى الوقت نفسه يفضل الوصف السيكولوجى للمجال عن استخدام الوصف الفزيائى أو الفسيولوجى ، وقد حاول بهذه النظرة أن يعالج بعض المشاكل التى تواجه الإنسان مستخدماً اسم بحث الفعل Action Research ، وكان يهدف من وراء هذا إلى تغيير الظروف الاجتماعية .

والسلوك عند "لفين" – كما سبق القول – محصلة وظيفة المجال الحيوى ، الذى يتضمن الوقائع التى تحدد سلوك الإنسان فى موقف معين ، والذى يمكن عن طريقه إدراك وفهم السلوك الصادر عن الإنسان فى بيئة نفسية معينة ، وفى وقت محدد . لأن المجال الحيوى ؛ هو مكونات الإنسان والبيئة والسلوك . والإنسان أو الشخص : هو ما لدى الفرد من صفات وخصائص – حاجات ، ومعتقدات ، وقيم ، ونظام إدراكى حركى . والبيئة التى يقصد بها : الموقف المثير الذى يواجهه الفرد فى موقف ، وقت محدد ، والذى يؤثر على الجهاز الإدراكى للفرد .

والبيئة التى يراها " لفين " ليست البيئة بالمفهوم العام لدى الناس ، ودلالة اللفظ اللغوية . إنما يقصد بها البيئة النفسية كما يدركها الفرد . أى يضاف إلى خصائص البيئة الموضوعية خصائص الإنسان أو الشخص نفسه.

كما يرى أن فهم سلوك إنسان ما فى أية لخطة يتطلب إعادة بناء حيز الحياة Life space الذى يعنى عنده ؛ حاجات الفرد ، وإمكاناته المتاحة للفعل على نحو إدراكه لها ، ووصفه فى هذه اللحظة . أى يتطلب الأمر منا لفهم سلوك الإنسان فهم القوى النفسية التى تصل فى هذا الوقت .

ويعتبر " لفين " الحركة أو الاتصال موضع الشخص الذى يصدر السلوك تتحدد بمنطقة النشاط التى يوجد فيها . وأن أى تغير فى وضعه ، وانتقاله من منطقة إلى أخرى داخل المجال الحيوى ، يتضمن القيام بحركة ما. كما أن الحركة عنده تشير إلى حركة الذات القائمة بالسلوك أكثر مما

تشير إلى حركة الأجزاء فى البيئة النفسية .

ويشير " لفين " إلى أن للمرونة ، والجمود تأثير على مدى استجابة الفرد فى المواقف التى يمر بها ، حيث إن الوسط المرن يستجيب فيه الفرد بسرعة لأى تأثير يحدث فى المجال . بينما الوسط الجامد الصلب يقاوم التغيير .

ومما تقدم من بيان وعرض لكثير من مفاهيم " لفين " فى نظريته – المجال – تبدو أهمية إدراك مختلف هذه المفاهيم ، ومضامينها ، ومحتوياتها فى عملية الاستبصار الاجتماعى الجيد على أساس فهم المجال الحيوى ، وفهم الإنسان أو الشخص ، وإدراك البيئة بمكوناتها الموضوعية والنفسية . بالإضافة إلى عملية الحركة والاتصال ، وما لها من أهمية داخل المجال الحيوى . ثم المرونة والجمود ، وما لهما من تأثير فى هذا المجال .

– قياس الاستبصار الاجتماعى :

بدأ شبن Chapin [١] الاهتمام بفكرة الاستبصار الاجتماعى Social insight . وسعى لوضع وتحديد هذا المفهوم على أساس أنه يمدنا بكثير من إدراكات الواقع الاجتماعى ؛ بما يساعد على فهمه ، واختيار الاستجابات الصحيحة حيال المواقف الاجتماعية المختلفة . ولذلك قام ببناء مقياس[١] لقياس الاستبصار الاجتماعى ، والذى على أساسه يمكن الكشف عن كثير من الجوانب الاجتماعية ، والتى من شأنها – إن أدركت إدراكاً صحيحاً ، وفهمت فهماً سليماً – أن تحدث مزيداً من التفاعل والاندماج بين أفراد المجتمع .

---

(١)أستاذ علم الاجتماع بجامعة مينيسوتا، والرئيس الأسبق لرابطة علماء الاجتماع الأمريكيين .

(١) لمزيد من المعلومات . مقياس الاستبصار الاجتماعى . كتيب التعليمات . تعريب : نبيه إبراهيم إسماعيل .

وهذا المقياس أداة قيمة للحكم على الأوضاع والوقائع الاجتماعية داخل المجتمع ، وكذلك التنبؤ بما يمكن أن يفعله الآخرون حيال المواقف الحياتية المختلفة . لأن الاستبصار الاجتماعى يمثل أهمية كبيرة فى حياة الأفراد لأنه وثيق الصلة بجوهر الحياة . حيث إنه ليس مفهوماً نظرياً فقط .

- الاستبصار الاجتماعى فى مجال الدراسة والبحث :

قدم "شبن " Chepin (١٩٤٢) عديداً من الدراسات والبحوث التجريبية للكشف عن صدق مقياس الاستبصار الاجتماعى . حيث قام بدراسة العلاقة بين الاستبصار الاجتماعى وكل من المتغيرات الآتية : مستخدماً اختبار التقييم " لآرثر " Arthur ، واختبار بينيه Bennett للمعرفة اليدوية ، واختبار معجم الكليات ، واختبار تحليل العلاقات" لغسيل " Ghiselli ، واختبار سيطرة المفهوم " لتيرمان " Terman ، واختبار تصنيف الأشخاص " لويزمان " Wesman . بالإضافة إلى دراسة الاستبصار الاجتماعى فى علاقته بالتخصصات الأكاديمية والفنية ، والمهنية والعمال والإداريين من الذكور والإناث .

هذا ، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بين الاستبصار الاجتماعى ومتغيرات قائمة كاليفورنيا النفسية .. ومقياس بارون ويلسن للفنون Barron-Welsn Art Scale ، قائمة مينيسوتا Minnesota Multiphasic Personality Inventory وكذلك دراسة القيم Study of Value فى علاقتها بالاستبصار الاجتماعى .

كما قام عدد من العلماء والباحثين بدراسة الاستبصار الاجتماعى فى علاقته بكثير من المتغيرات الاجتماعية والنفسية ، والفلسفة . حــيث درس " وليام هــورنير وآخرون " .Horner, W. et al (١٩٧٨) الفروق بين خريج كليتى الخدمة الاجتماعية وإدارة الأعمال فى الاستبصار الاجتماعى وكل من الميكافلية ، والإرشادات المادية . وقد أسفرت النتائج عن عدم وجود

اختلافات بينهما فى درجة الاستبصار الاجتماعى .

بينما درس " أدوارد واشنطن وجون ألكورن " Washington, E. & Alcorn, J. (١٩٧٨) العلاقة بين الاستبصار الاجتماعى وتأثير الدمج الجنسى على السمات الشخصية وقد بينت النتائج أنه لا يوجد تباين فى درجات الاستبصار الاجتماعى لدى الأفراد ذوى الجنسيات المتقاربة الأصل.

وقدم " جورج سيمبسون " Simpson, G. (١٩٧٩) دراسة عن الاستبصار الاجتماعى فى علاقته بوجهة الضبط على مجموعة من خريجى كليات اللغات والعلوم والفلسفة والتاريخ . وقد أوضحت النتائــج وجود فروق بين خريجى هذه الكليات فى متغيرات الدراسة .

وقد أجرى " ألفريد هيلبرون" Heilbrun, A. (١٩٨٢) دراسة عن العوامل المعرفية ، ومستوى الدافعية فى علاقتها بالاستبصار الاجتماعى وقد أشارت النتائج إلى وجود أثر للإرشاد الموجه على الاستبصار الاجتماعى لدى كل من الذكور والإناث أفراد عينة الدراسة .

هذا ؛ وقد درس كل من " أليزابث ليك وروبرت أركن " Lake, E. & Arkin, R. (١٩٨٣) الاستبصار الاجتماعى فى علاقته بالقلق الاجتماعى وردود الأفعال تجاه تقويم الآخرين للفرد . أى مدى قبول الفرد للمعلومات التقويمية الصادر عن الآخرين . وقد أسفرت النتائــج عن تباين الأفراد فى قبولهم لوجهات نظر الآخرين . وأن الأفراد الأقل قلقاً اجتماعياً قد تقبلوا وجهات نظر الآخرين بعد استبصارهم الاجتماعى .

وقد اهتمت " شيلا رينا " Reyna, Sh. (١٩٨٤) بدراسة علاقة الاستبصار الاجتماعى بقوة شخصية رؤساء الأقسام العلمية فى الكلية ، وفلسفة التعامل الميكافيلية ، ووجهة الضبط ، والمكانة الوظيفية فى الجامعة ، والخبرة الفعلية . وقد أسفرت النتائج عن أن للاستبصار الاجتماعى دور

فعال فى مدى قوة شخصية رؤساء الأقسام العلمية ، وأن قوة الشخصية تزداد كلما زاد مقدار الاستبصار الاجتماعى .

بينما نجد أن " لاين أول وجون جونسون " .Aul, L. & Johnson, J (١٩٨٧) قد قاما بدراسة العلاقة بين الاستبصار الاجتماعى وكل من سمات الشخصية ، والمعرفة المكتسبة التى لا تتم عن طريق التدريس ، والإدارة الذاتية ، وإدارته للآخرين . وقد أشارت النتائج إلى وجود ارتباط متفاوت القوة بين الاستبصار الاجتماعى وكل من المتغيرات السابقة .

وفى دراسة " لبيتر ليجرى " .Legree, P (١٩٩٥) لمعرفة علاقة الاستبصار الاجتماعى بأشكال الاستجابة المحتملة ، والمعرفة غير التقليدية ، والذكاء الاجتماعى . اتضح وجود علاقة بين الاستبصار الاجتماعى ومتغيرات هذه الدراسة .

ومن الواضح أن هذه الدراسات قد أجريت فى المجتمعات الغربية ، ولم توجد دراسة واحدة عربية فى هذا المجال على الرغم من أهمية هذا المتغير فى حياة كل من الفرد والمجتمع لهذا قدمت هذا المتغير بهذه الصورة السريعة ؛ استثارة لطلاب العلم فى مجال علم النفس لعلهم يقدمون على دراسته فى علاقته بغيره من المتغيرات والعوامل ، والظروف البيئية والاجتماعية ، علها تسهم فى مزيد من نمو الشخصية الإنسانية وشخصية المجتمع وتطوره .

الفصل الثانى عشر

الضحك سلوك نفسى اجتماعى

- تقديـــــــــــــــــــــم .
- مفهـــــوم الضحـــــك .
- الأطر النظريـــة للضحك .
- طبيعـــــــة الضحـــــك .
- عوامــــل الضحـــــــك .
- دوافع وبواعـــث الضحك.
- أشكال ومراتب الضحـــك.
- دلالات الضحــــــــــــك .
- مظاهـــــــر الضحـــــك .
- وظائــــــف الضحـــــك.
- البعد الاجتماعى للضحك .

تقديــم :

يتفق كثير من الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع على أن الفكاهة والضحك من أهم الوسائل التى تعين كل من الفرد والمجتمع على التغلب على مختلف ظروف الحياة الصعبة التى تواجه كل منهما . فضــلاً عن أنه يحقق قدراً من الترفيه عن النفس ، وأنه يعد سبباً من بين الأسباب التى تحدث التقارب بين الإنسان وغيره من الناس ، وهو مصدر أساسى للإحساس بالأمن والطمأنينة إذا اشتدت عوامل ومتغيرات الحياة على الإنسان .

كما تعد الفكاهة والضحك من مواقف الحياة التى يستجيب لها غالبية الناس بصرف النظر عن عمرهم الزمنى ، أو مستوى تعليمهم ، أو مدى خبراتهم الحياتية ، أو اختلاف أمزجتهم ، أو جنسهم - ذكراً أو أنثى - أو اختلاف جنسياتهم - عربى أو أوربى، أفريقى أو أسيوى - ولهذا يكاد يؤكد العلماء أنه غريزة طبيعية كغيرها من الغرائز الأخرى .

وترتبط الفكاهة والضحك ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع أكثر من ارتباطه بفردية الفرد . حيث إن المجتمع بكل ما فيه من أمور الحياة المختلفة ، والمتصارعة ، والمتضاربة يستثير هذه الفطرة في الإنسان . حيث نجد أن الإنسان الذى يعيش معظم أوقاته منفرداً أو منعزلاً عن غيره من الناس ، ولا يسعى للاندماج فى المجتمع الذى يعيش فيه أقل استثارة للضحك من الذين يعيشون حياتهم مجتمعين مع غيرهم من الناس . لأن الفكاهة والضحك عملية وجدانية انفعالية ، ولا يمكن أن يستثار مثل هذا الجانب الوجدانى بمعزل عن المجتمع . ومعنى هذا أن المجتمع بمتناقضاته يعتبر من العوامل الأساسية والضرورية التى تحدث استثارة قوية للاستعداد الفطرى لدى الإنسان الفرد للضحك .

ويتفق كثير من الباحثين على أن الفكاهة والضحك ظاهرة نفسية اجتماعية لها تأثيرها الإيجابى على كل من الفرد والمجتمع ، لأنه يؤدى فى

حياتهما وظيفة أساسية وهامة ، بل ورئيسة فى استمرار حياة الإنسان بشكل أفضل ، رغم الصعوبات ، والعقبات التى تواجهه . حيث تؤدى الفكاهة والضحك إلى إخراجه من حالة الحزن والتوتر إلى حالة من الســرور والاسترخاء ، والهدوء النفسى الذى من شأنه أن يجعل الفرد والمجتمع أكثر نشاطاً وفاعلية وإنتاجاً فى المجتمع . وهذا ما دعانى لتناول الضحك كبعد نفسى اجتماعى يؤثر على - بل ويشكل - السلوك الإنسانى لكل من الفرد والمجتمع .

مفهوم الضحك :

الدلالة اللغوية للضحك:

يذكر صاحب[1] " القاموس المحيط " عن الضحك ؛ ضَحِكتُ ضَحْكاً ، وتَضَاحَك فهو ضَاحك وضَحَّاك وضَحُوك ، ومِضْحاك ، والضُّحّاك : ذم ، والضُحكة : أذم .

يتضح مما ذكره " الفيروزابادى " أن الضحك له دلالات متعددة تشير إلى معانى محددة لكل كلمة من هذه الكلمات . وقد ركز على أن الضحك منه المحمود الذى يدخل السرور والفرح دون إيذاء غيره ، ومنه المذموم الذى يلحق الضرر والإيذاء بالآخرين .

كما يذكر صاحب[٢] " لسان العرب " تضَحك وتضاحك ، فهو ضَاحك، وضَحَّاك وضحوك . وضُحَكة . كثير الضحك ، والضحكة الشئ الذى يُضْحك ، والضُحكة : الرجل الكثير الضحك يعاب عليه . الأضحوكة : ما يضحك به . وامرأة مِضْحاك : كثيرة الضَحِك . الضَّحاك مدح ، والضُحكة : ذم . الضحك : ظهور الثنايا من الفرح . والضحك : سروراً بالأمن ،

---

(١) الفيروز ابادى ، جـ.(٣) (١٩٧٩) .

(٢) ابن منظور. جـ. (١٠) (١٩٩٠) .

والبشارة .

ومما تقدم يبدو واضحاً أن الضحك له كثير من الدلالات - كما سبق القول – وأن منه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم . وأن الضحك يعنى تعبير الإنسان عن الإحساس بالفرح والسرور من خلال ظهور الثنايا ، والشعور بالسرور بالأمن ، والبشارة .

هذا ؛ ولا يختلف أصحاب[١] المعجم الوجيز عمن سبقهم فى بيان دلالة مفهوم الضحك حيث أشاروا إلى أن الضحك يعنى " ضَحك ، ضحكاً : انفرجت شفتاه ، وبدت أسنانه من السرور . والأضحوكة : كل ما يضحك منه ، والضحكة : من يكثر الضحك بالناس . الضحُوك : الكثير الضحك ، والمُضّحكة: النادرة المستملحة تثير الضحك .

ويذكر صاحب[٢] " أكسفورد " أن الضحك اسم يشير إلى التعبير عن السرور ، وذلك عن طريق الصوت والحركة ، ومنه ما يشير إلى المتعة كالنكتة ، والقصة الفكاهية التى تثير الضحك ، ومنه ما يعبر عن الاستهزاء والسخرية من شخص وقع فى مشكلة، ومنه ما يعبر عن الإحساس بالانتصار فى بالنهاية .

ويذكر قاموس لونج مان Longman (١٩٨٣) أن الضحك : صوت يعبر عن البهجة والسرور والترفيه ، وكذلك عن الاستهزاء والسخرية وعدم الاحترام ، وأيضاً عن التعبير عن السرور بالانتصار ، والمضحك هو الذى يستثير الضحك .

بينما يشير وبستر Webester (١٩٩٣) إلى أن الضحك : تعبير

---

[١] مجمع اللغة العربية (١٩٨٠) .

[٢] هرنبى وآخرون Hornby et. Al. (١٩٦٣)

مسموع يرتبط بانفعال معين يظهر البهجة والسرور ، كما يبدو فيما يصدر عن الإنسان فى شكل صوت القهقهة أو غيرها من الأصوات المعبرة عن الفرح والسرور ، كما يصاحب التعبير الصوتى عن الضحك حركات خاصة بالوجه ، والفم ، ولمعان فى العينين ، وكلها تعبير عن المتعة والتسلية .

مما تقدم يبدو واضحاً أن الدلالة اللغوية للضحك تشير إلى الصوت الذى يعبر به الإنسان حال إحساسه وشعوره بالمتعة ، والأمن ، والفرح ، والسرور ، والبهجة ، وأنه قد يصاحب هذا الصوت المعبر بعض العلامات فى الوجه بما فيه من الفم ، والعينـــين ، وبعض الحركات الجسمية الأخرى كضرب الفخذ... الخ ، وهذا هو الضحك المحمود ، أما الضحك المذموم : هو الذى يعبر به عن الاستهزاء والسخرية بالآخرين ، وهو ما يلحق الضرر بهم .

كما تشير الدلالة اللغوية إلى أن مصدر الضحك قد يكون النكتة ، أو المسرحية أو القصة الفكاهية ، أو حدوث مشاكل فجائية للشخص حال سيره الطبيعـــى فى الحياة . وأن من دلائله انفراج الفم ، وظهور الثنايا والأسنان .

الدلالة الإصطلاحية :

يكاد يتفق غالبية من اهتموا بدراسة الضحك كظاهرة إنسانية نفسية اجتماعية على أنه استجابة انفعالية لموضوع معين ، أو موقف حادث يترك أثراً طيباً فى الإنسان : يمكن وصفه بالفرح والسرور . وأنه تعبير عن حالة نفسية تبدو آثارها فيما يصدر عن الإنسان من سلوك يشير إلى الإحساس والشعور بالارتياح .

ومن بين هؤلاء ما ذكره رتش Ruch (١٩٩٨) أن لورنتس Lorants يرى أن الضحك يدل على حالة انفعالية تعبر عن إحساس الفرد بالأمن بين جماعة من الناس .

هذا ؛ ويمكن تقديم وجهة نظر برجسون Bergson (٢٠٠١) لمفهوم الضحك من خلال تجميع بعض آرائه عن المضحك . حيث عرض عدداً من الأمور التى يتحدث فيهـا عن الشخصية المضحكة . فنجد أنه يرى أن الضحك عبارة عن حالة شعورية تنتاب الإنسان وهو فى وسط الجماعة التى – تمارس الضحك – تجاوباً معها . حيث يرى أن الإنسان لا يتذوق الضحك فى حالة شعوره بالعزلة ، وأنه كى يتم هذا التذوق لابد من تواصل العقول ؛ لأن الضحك فى الأصل ضحك جماعة ، وأنه – الضحك – لا يتم صراحة ذلك لأنه يخفى وراءه فكرة تفاهم .

كما يسعى شاكر عبد الحميد (٢٠٠٣) لتحديد مفهـوم الضحك ، فيعتبره استعداداً أو تهيؤاً خاصاً بالعقل بحثاً عن البهجة والسرور ، واكتشافهما ، وتذوقهما . ويشترط لتحديد الضحك توافر عدد من العوامل :

- الشخص person أى المتفكه – المضحك – بخصائصه الجسمية والعقلية والانفعالية . وكذلك الحال بالنسبة للمتلقى للفكاهة .
- العملية process أى العمليات العقلية والانفعالية المستخدمة فى إنتاج الفكاهة .
- الناتج product أى العمل الفكاهى الذى انتج ويجرى تذوقه ؛ كالنكتة أو الكاريكاتير .... الخ .

ومجمل رأيه فى الضحك أنه " الاستجابة الخاصة لعدم الاتساق أو التناقض فى الأقوال ، والأفعال . وأنه ليس مجرد استجابة لإدراكنا لجوانب النقص والقصور لدى الإنسان .

ومما تقدم من عرض سريع لبعض محاولات تحديد مفهوم الضحك يمكن القول بأن الضحك حالة انفعالية تبدو فيما يصدر عن الإنسان من أصوات تعبر عن الإحساس والشعور بالأمن والارتياح، وفى شكل انفعالى حركى يبدو فى حركة فتح الفم وظهور الأسنان ، وما يبدو على الوجه من

انفراج أساريره ، تعبيراً عن الفرح والسرور ، وغيرها من علامات التعبير الحركى للضحـك الذى يصاحب التعبير الصوتى ؛ كحركة ضرب اليد للفخذ، أو العضلات التى تتحرك فى كثير من أجزاء الجسم . ويتوقف هذا على مدى شدة المثير لعملية الإحساس والشعور بالدعابة أو الفكاهة .

الأطر النظرية للضحك :

لقد اهتم الفلاسفة منذ القدم بالفكاهة والضحـك دراسة ، وتحليلاً ، وتفسيراً ؛ بهدف بيان أهميته فى حياة كل من الفرد والمجتمع ؛ فقد تناوله " **أفلاطون** " لبيان وظيفته الاجتماعية . حيث سعى لمعرفة ما يستثير الإنسان للضحك . لأنه قد أعتبر أن الضحك سلوك معيب لا ينبغى للإنسان الراقى أن يمارسه ، على أساس أن الضحك سلوك يرتبط بالعامة من الناس ، والطبقات الدنيا مع المجتمع ، لأنه يقلل قيمة الإنسان ، ويهدر كرامته .

لهذا دعا " أفلاطون " إلى عدم تشجيع كل ما من شأنه أن يثير الضحك المهين لشخصية الفرد ، على اعتبار أنه يؤدى إلى إشباع الحاجات الدنيا للإنسان ، والتى تنتهى به إلى ممارسة السلوك غير السوى . ونادى بضرورة تشجيع الفرد لممارسة حياة الجد لبناء شخصية قوية بعيدة عن الطبائع البربرية .

وقد يرجع هذا الرأى فى الضحك ، ووظيفته عند " أفلاطون " إلى ما عرف عن دلالة الضحك عند فلاسفة اليونان ، من أنه يعبر عن الشخصية الحاقدة الغيورة ، وأن هذه الصفات لا ينبغى أن تتصف بها الشخصية المحترمة السوية .

هذا ؛ ويرى " أفلاطون " – أيضاً – أن الإفراط فى ممارسة الفكاهة والضحك تؤدى بالإنسان إلى مخاطر عديدة ؛ حيث عدم القدرة على التحكم فى الذات ، وما ينتج عنها من انفعالات ، وأن الإنسان إذا بالغ فى الضحك ،

وأسرف فيه أدى هذا الإسراف إلى تحقيق أمور غير التى كان يتوقعها الفرد . حيث الإساءة إلى الشخصية المضحكة ، وقد يصل الأمر إلى انقلاب الضحك إلى ممارسة العنف ، لأن المبالغة فى الضحك تؤدى بالفرد إلى انحطاط شخصيته ، والتقليل من قيمته ، ويتحول الموقف إلى استهزاء وسخرية .

كما بين " أفلاطون " من خلال عرض وجهة نظره فى الضحك ؛ أن الضحك يصدر عن الإنسان القوى ؛ على اعتبار أن القوى لديه القدرة على النيل من غيره عن طريق أثارة الضحك من خلال الاستهزاء والسخرية من الضعيف . حيث يكون – الضعيف موضع الضحك ، لأنه ليس لديه الإمكانيات للنيل من القوى .

والدارس لواقع الحياة بمن فيها من البشر – أقوياء كانوا أم ضعفاء – يدرك أن قدرة الضعيف على ممارسة الضحك للنيل من غيره من الناس ليست أقل من الأقوياء . ذلك لأن الضعيف ليس لديه من الإمكانيات للنيل من القوى سوى استخدام أسلوب الضحك بأشكاله وأنواعه للنيل من غيره ، وإن كانت كلها تحت التورية ، والرمزية . وهذا ما أشار إليه " أفلاطون " " قول الحقيقة تحت ستار الضحك " .

هذا ؛ ويعتمد " **أرسطو** " فى بيان رأيه فى الفكاهة والضحك على الاسترخاء كمدخل أساسى ، ومهم لاستمرارية حياة الإنسان بصورة أفضل . حيث يرى أن من بين الأمور التى تؤدى إلى الاسترخاء ؛ أساليب التسلية ، والترفيه ، وهو – الضحك – أمر ضرورى يتيح للإنسان إمكانية حسن العلاقة بغيره من الناس .

كما أكد " أرسطو " على الوسطية والاعتدال فى استخدام هذه الأساليب – التسلية والترفيه – حتى تؤدى إلى إنشاء علاقات طيبة بين الفرد والآخرين. ذلك لأن من يتجاوز هذا الحد يوصف بأنه شخص مهرج ، وأنه

ليس ناضجاً . ولهذا كانت دعوته إلى ممارسة الترفيه الذى يؤدى إلى الضحك بصورة شائقة ، ولطيفة ، ولبقة ؛ وهو ما أطلق عليه مصطلح الشخصية الظريفة التى تستطيع أن تدخل السرور على غيرها دون إيذاء أحد.

ومن هذا يفهم أن " أرسطو" قد أقر بأهمية الضحك فى حياة الإنسان بشرط أن يكون فى حدود الوسطية والاعتدال ، واللياقة ، وعدم المغالاة . ويتفق " أرسطو " مع " أفلاطون " على ضرورة احترام الإنسان ، وعدم الانتقاص من قدره ، والتقليل من شأنه ، على اعتبار أن الإنسان الذى يسخر منه أو يستهزئ به عن طريق الضحك ليس أقل من المضحك . وقد أشار إلى هذا عند عرضه لفن الخطابة . حيث رأى أن الدعابات أثناء الخطابة أمر مفيد بشرط اختيار أنواع من الدعابات التى تتفق وكرامة وإحساس الإنسان . كما ورد هذا – أيضاً – فى كتابة الشعر .

ومن الملاحظ – أيضاً – على رأى " أرسطو " فى الضحك أنه لا ينبغى أن يستخدم كوسيلة للإقلال من قيمة ما يقدم من الآخرين بالإضحاك ، وأنه لا يجب أن يمعن الإنسان المضحك فى الاستمرارية فى الضحك . أى أنه لا ينبغى أن يسرف الإنسان فيه إلى حد وصفه بالتطرف . وفى كل الأحوال والأمور يجب الالتزام بالوسطية والاعتدال ، واللباقة أثناء استخدام الدعابات مع الآخرين.

ومع استمرار النمو الفكرى لمختلف الفلاسفة الذين اهتموا بالفكاهة والضحك ، نجد أن معظمهم اعتمدوا على ما قدمه كل من " أفلاطون وأرسطو " فى بيان أهمية الضحك ومصدره ونتائجه على حياة الإنسان . حيث أكد " أفلاطون " على أن مصدره الحسد والشماته ، وسوء النية . بينما رأى " أرسطو " أن الضحك يشكل أهمية فى حياة الإنسان إذا ما سعى إلى تحقيق الاسترخاء ، والتسلية ، والترفيه ، بشرط أن يكون على درجة من

الوسطية والاعتدال . أى دون مبالغة وإسراف فيه . وعندئذ يصبح الضحك ضرورة لإنشاء العلاقات الإنسانية الطيبة بين الآخرين . وذلك لاستبعاد فكرة الشماتة والاستهزاء من الآخرين .

ومن هذا المنطلق بدأ " **هوبز** "[١] Hobbes – رأيه فى الضحك – الذى كتب عن أنواع المسرات والملذات التى تنشأ عن الاحساسات المرتبطة بموضوع محدد ، وأطلق عليها لذات الحس pleasures of sense . ثم بين نوعاً آخر من اللذات التى تعتمد على العقل ، وأطلق عليها اسم لذات العقل Pleasures of mind والتى تبدو فى قدرة الفرد على التوقع أو التنبؤ بشئ معين ، وقد ارتبط بهذه اللذة الشعور بالمرح Joy .

وقد ربط " هوبز " بين هذا الشعور – المرح – الناتج عن القدرة على التخيل ، وبهجة العقل التى يطلق عليها الشعور بالتفوق والتفاخر . حيث اعتبر أن ما يحدث من انفعال نتيجة الشعور بالبهجة الفجائية ، والتفاخر المفاجئ ، هو ما أطلق عليه الضحك الذى يعبر عن فعل سار نتيجة وجود شخص ما يفعل شئ ما يتصف بالنقص الذى يدعو السامع للضحك ، والشعور بالإعجاب المفاجئ بالنفس عن طريق المقارنة بين ما عليه هذا الشخص من تفوق ، وما أتى به الشخص الآخر معبراً فيه عن النقص . وهذا ما جعل " هوبز " يرى أن الضاحكين يشعرون بوجود قدرات خاصة لديهم إذا ما رأوا النقص عند غيرهم .

وعلى أساس ما تقدم من بيان لوجهة نظر " هوبز " فى الضحك ، فإنه يمكن القول بأن الضحك عنده نوع من الإعجاب والتفاخر بالذات لشعوره بالفخر والبهجة المفاجئة . وهو يتفق مع غيره من الفلاسفة – أفلاطون وأرسطو – على أن الضحك من الآخرين نوع من الأخلاق السيئة الفاسدة .

---

[١] هوبز (١٥٨٨ : ١٦٧٩)

على أساس أن ذوى التفوق الفعلى يوكل إليهم مساعدة غيرهم من الناس إذا طلبوا هذه المساعدة ، وليس التقليل من شأنهم ، وتحقير قدرتهم .

ولهذا يعتبر " هوبز " أن ممارسة الضحك تجعل الفرد يشعر بالتفوق ، وخاصة حال مقارنة ذاته بذوات الآخرين . وبناء عليه يكون الضحك عبارة عن التعبير عن إحساس الفرد بالبهجة والسرور والشـعور بالتفوق والفخر ، سواء كان الضحك لحالة وقتية ، أو عند المقارنـة بين حالـة الآن ، وحالة قبل هذا منذ زمن بعيد .

ومن الملاحظ على وجهة نظر " هوبز " أنه قصر الضحك على حالة واحدة فقط ؛ وهى إحساس الفرد بالتفوق الفجائى ، ولم يشر إلى بيان بعض أنواع الضحك الأخرى التى تنشأ نتيجة لمواقف تختلف تمام الاختلاف عن إحساس الفرد بالتفوق الفجائى ؛ كإدراك المتناقضات ، أو التلاعب بالألفاظ اللغوية ، أو رؤية أشياء جديدة غريبة لأول مرة فى حياته ... الخ .

كما قدم " **برجسون** " Pergson (٢٠٠١) وجهة نظره فى الضحك على أساس فكرة التناقض فى المعنى ؛ والتى تعتمد على التضاد بين المعانى الطبيعية والآلية . والضحك عند " برجسون " يعتبر ظاهرة إنسانية اجتماعية، تهدف إلى تصحيح العيوب الاجتماعية ، ومن أبرز الأمثلة التى يسوقها لبيان أن التضاد أو التناقض هو أساس فكرة الضحك ؛ ما قدمه " موليير " من تبادل الأدوار . حيث يقوم " السيد بدور الخادم ، ويقوم الخادم بدور السيد" .... وغيرها من المفارقات التى تحدث فى حياة الإنسان ، وتلفت نظره ، فيستجيب لها بالضحك . والأمثلة التى نعيشها كثيرة ومتعددة فى حياتنا تؤكد صحة وجهة نظر " برجسون " .

وهذه النظرة الخاصة بالضحك عند " برجسون " مستمدة من الأصول الفلسفية السابقة ، والتى اعتمدت على الفلسفة الأخلاقية ، والميتافيزيقية . كما

أنه ركز على معارضته للنزعات المادية . ولهذا فإن نظريته تعتبر نظرية تقدمية تطورية . حيث لم يقف عند كل ما سبقه من آراء حول الضحك ، وتمسك بها فقط . بل أخذ منها ما يفيد وجهة نظره فيه .

ويرى " برجسون " أن الهدف الأساسى من الضحك هو محاولة القضاء على المشكلات والقيود التى تفرض على الإنسان فى واقع الحياة ؛ وذلك عن طريق رفض هذه القيود سعياً وراء حل ما يعترى حياته من مشكلات . معتمداً فى هذا على الضحك كوسيلة للتقليل من حدة هذه المشكلات ، وبهدف إعادة التوازن والاعتدال فى الحياة . ولهذا فقد شاع استخدام كثير من مصطلحاته فى الدراسات النفسية ؛ كالتوتر ، والتوازن ، والمرونة ، والإبداع.

هذا ؛ ويؤكد " برجسون " على أن الضحك يتسم بالإنسانية والاجتماعية – كما سبق القول – عندما أشار إلى أن العقل يكون على صلة بعقول أخرى .. حيث إننا لا نتذوق المضحك فى حالة شعورنا بالعزلة ، وأن الضحك – فى حد ذاته – فى حاجة إلى صدى ، وأنه ليس مجرد صوت ملفوظ ، واضح، كامل . ولكنه شئ يريد أن يمتد مع ذاته شيئاً فشيئاً .. وأن ضحكنا هو – أبداً – ضحك جماعة .

وفى الوقت نفسه يشير إلى أن الضحك مهما افترضنا صراحته ، فإنه يخفى وراءه فكرة تفاهم مع ضاحكين آخرين ، حقيقيين أو خياليين .. وأن بعض الآثار المضحكة لا يمكن ترجمتها من لغة إلى أخرى . حيث إنها مرتبطة بعادات وأفكار محددة . ولهذا فإنه يرجع الضحك إلى مصدره وأصله – أى بيئته الطبيعية – وهى المجتمع . ومن أجل هذا فإن أهم وظائف الضحك النافعة هى الوظيفة الاجتماعية . حيث يفى بأغراض اجتماعية معينة. فضلاً عن دلالته الاجتماعية ذات التأثير الفعَّال .

وبناء على ما تقدم من بيان لوجهة نظر " برجسون " فى الضحك من أنه إنسانى اجتماعى المصدر ، لأن من يضحك – حقيقة – هو الإنسان ، وأن المضحك لا يضحك بمعزل عن غيره من الناس . أى لابد من وجود أفراد مجتمعين حتى يتم إصدار سلوك الضحك ، الذى يحمل فى طياته كثير من الدلالات التى تعبر عن الواقع الاجتماعى الذى يعيشه الأفراد . وخاصة ما يتصل بمشكلات ، وصعوبات الحياة التى يعيشها الإنسان فى مجتمعه . وهذا ما جعل " برجسون " يقول : " إن المضحك يعبر قبل كل شئ عن حالة من عدم تلاءم الشخص مع المجتمع " .

كما أن " برجسون " قد أكد فى وجهة نظره عن الضحك على أنه يعد وسيلة لإصلاح كثير من العادات الصلبة ، والتى يجب أن يتم تعديلها بما يتفق والظروف الحياتية الجديدة ، ولهذا فإنه يعتبره " لجام اجتماعى " . فضلاً عن كونه وسيلة لإحداث قدر من المرونة فى الشخصية الإنسانية .

هذا ؛ وقد اعتبر " **فرويد** "[1] الفكاهة والضحك أهم الإنجازات التى يقوم بها الإنسان . وهو عبارة عن آلية نفسية دفاعية لمواجهة ما يهدد الذات. حيث يتم عن طريق الضحك تحويل الحالة النفسية المضطربة للفرد إلى حالة من الشعور بالراحة والمتعة . وقد تناول " فرويد " موضوع الفكاهة والضحك عندما كتب عن النكات وعلاقتها باللاشعور Jokes and their relation to the unconscious ، وكذلك مقاله عن الفكاهة Humor .

وتتولد الفكاهة والضحك عند " فرويد " من الطاقة النفسية التى لم تستخدم فى الأغراض العادية . حيث تبدد هذه الطاقة فيما يقدم عليه الفرد من الضحك . وقد أشار إلى وجود علاقة بين النكتة واللاشعور ، وكذلك بين النكتة والأحلام ، وبين الضحك – بصفة عامة – وبين بعض العمليات

---

[1] فرويد (١٨٥٦ : ١٩٣٩)

اللاشعورية التى يمارسها الإنسان ؛ كالنكوص على سبيل المثال . حيث يستخدمها الضاحك عند ممارسته لبعض النشاطات النفسية التى كان يمارسها الإنسان فى مراحل طفولته الأولى ، والتى كانت تحدث له قدراً من السرور .

ويرى " فرويد " أن الأثر الناتج عن النكتة عبارة عن تلك اللذة التى نشأت عن الاقتصاد فى الطاقة التى يستخدمها الضاحك ، والتى توفرت عن عدم استخدامها فى التفكير ، أو تلك التى كانت ستبدد فى عمليات الكبت للعمليات الجنسية والعدوانية .

كما سبق القول إلى وجود علاقة بين كثير من عمليات الحيل اللاشعورية والضحك ، فإن هذه العمليات يمكن أن تكوّن الفكاهة والضحك – النكات – عبارة عن حل لما يعترى اللاشعور من مشكلات تحتاج إلى حل ، يتم عن طريق الحيل اللاشعورية ، كما يحدث فى الإبدال ، والتعويض ... الخ. حيث يتمكن الفرد من التعبير عن دوافعه اللاشعورية التى لا يقبلهـــا المجتمـــع ؛ كالعدوان ، باستخدام الفكاهة والضحك تنفيساً عنها . حيث إن مثل هذا التنفيس الذى يعبر عنه باستخدام الفكاهة والضحك لا يهدد الأنا لأن الطاقة النفسية التى كان يمكن أن تستخدم فى العدوان أو الجنس بددت بعيداً عن الكبت فيما أقدم عليه الفرد من ممارسة عملية الفكاهة والضحك .

وبناء على ما تقدم فإنه يمكن القول بأن الفكاهة والضحك من وجهة نظر " فرويد " عبارة عن آليات دفاعية يستخدمها الفـــرد حال مروره بالمواقف الصعبة التى تهدد الأنا ، أو حال معايشته لظروف نفسية قاسية ، تجعله يعيش حالات انفعالية فى دائرة القلق والاضطراب . وهذا يعنى أن " فرويد " يرى أن الفكاهة والضحك حالة انفعالية إيجابية يعيشها الفرد حفاظاً على ذاته عن طريق استخدام الحيل اللاشعورية .

هذا ؛ وتشير الأطر النظرية – السابقة – التى تناولت الضحك بالبيان ، والتوضيح، والتحديد ، والوظيفة فى حياة كل من الفرد والمجتمع إلى المنطلق ، والأسس التى اعتمدت عليها كل نظرية لتفسيره . وكذلك تبين أن كل نظرية لها رؤيتها فى الأثر النفسى والاجتماعى الذى يتركه الضحك فى نفوس وشخصية الآخرين . فضلاً عن مدى إسهامه فى تحقيق قدر من التوازن والاعتدال النفسى فى المجتمع بشكل عام .

كما أنه يمكن القول بأن هذه النظريات تتكامل فيما بينها ؛ لأن كل فلسفة أو وجهة نظر تفسر الضحك على أساس منطلقاتها التى أقرتها . حيث تسعى كل نظرية إلى تفسير بعض أنواع الضحك التى لم تستطع الأخرى أن تقدم على تفسيرها ، أو تتصدى لبيان أسبابها ودوافعها .

وتؤكد هذه الأطر على أهمية الدور النفسى والاجتماعى الذى يسهم به الضحك فى تحقيق مستوى أفضل من التوازن والاعتدال النفسى ، إلى جانب ما يحدثه – الضحك – من تهيئة مناخ اجتماعى أفضل يساعد على إنشاء علاقات اجتماعية بين الناس بما يؤثر تأثيراً إيجابياً وفعّالاً فى كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك شخصى أو اجتماعى .

طبيعة الضحك :

يكاد يتفق كثير من المهتمين بظاهرة الضحك من الفلاسفة والمشتغلين بعلم النفس على أن الضحك غريزة يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى . أى أنه استعداد فطرى لدى الإنسان ، وأنه هبة الله سبحانه وتعالى يهبها لمن يشاء من البشر . وأنه لا يعتمد على الإكتساب بقدر ما يعتمد على هذه الموهبة الفطرية . ولهذا فإننا نجد أن كثيراً ممن يقدرون على الإضحاك يتواجدون فى مختلف الأجناس ، والمجتمعات على اختلاف ثقافاتهم.

ويقدم علماء النفس دليلاً لفطرية الضحك مما لاحظوه على سلوك

الطفل منذ مراحل نموه الأولى . حيث وجدوا أن الطفل يستجيب لبعض مثيرات الدعابة ؛ بالابتسامة ، ثم الضحك بطريقة مميزة فى الشهور الأولى من حياته . وأن الطفل يصدر صوتاً معبراً به عن الضحك كرد فعل للتفاعل الاجتماعى بينه وبين غيره من أفراد المجتمع المحيطين به . ومن بين الذين أكدوا فطرية الضحك " يونج " Yong فى كتاباته عن الانفعالات لدى الإنسان والحيوان . كما أن " ماكدوجل " Macdougall قد اتفق مع " يونج " على اعتبار أن الضحك أمر فطرى .

ومن المعلوم لدينا جميعاً أن الإنسان إذا عاش موقفاً يستثير الضحك - وخاصة إذا كان مفاجئاً - فإنه لا يستطيع أن يكفه ، مهما كان لديه من القدرة على ضبط انفعالاته . وإذا كان هذا الإنسان من القوة بمكان تمكنه من عدم الاستجابة لمثير الضحك ، فإننا نلاحظ آثاره على ملامحه حتى تنتهى الحالة الانفعالية الخاصة بهذا الضحك . وهذا الأمر من شأنه أن يؤكد - أيضاً - فطرية الضحك ، وأنه ليس مكتسباً .

ومع اعتراف كثير من المهتمين بفكرة طبيعية الضحك ، نجد أن هناك مجموعة أخرى ترى أن الضحك ليس فطرياً ، إنما هو نتاج حالة نفسية معينة عندها يستطيع الإنسان أن يمارسه ، انطلاقاً من أن الفطـرة الإنسانية جادة ، وأن الحياة تتطلب من الإنسان الجد ، والنشاط ، وأنه لا مجال فيها للضحك ، ذلك لأنه أمر هزلى لا يتفق وغيره من الغرائز الفطرية .

وواقع الأمر - من وجهة نظرنا - أن الضحك ليس كما يتصوره أصحاب الرأى الأخير . حيث يرون أنه أمر هزلى ، وأنه مضيعة للوقت . لأن الضحك يؤدى وظيفة أساسية . بل وحيوية فى حياة كل من الفرد والمجتمع . حيث إنه ينقل الفرد من حالات نفسية تؤدى إلى سلبية الفرد داخل الجماعة إلى حالة إيجابية تدفعه لممارسة دوره فى الحياة بفاعلية . ذلك لأن الأثر النفسى الناتج عن الضحك يسهم فى تغيير المناخ النفسى من العزلة

والسلبية إلى حالة نفسية أكثر إشراقاً ، وتفاؤلاً . لما يترتب على ممارسة – الضحك – من الإحساس بالراحة النفسية ، والاستقرار ، والطمأنينة الانفعالية.

ولهذا يتفق كثير ممن يمارسون الضحك خلال مراحل عملهم المختلفة على أنه يدعو الفرد إلى التفاؤل ، والتفاعل والاندماج فى المجتمع مع تباين ظروفه ، وحالاته وإمكانياته ، وأنه يعمل على تفريغ حالة التوتر الناشئة عن القلق والاضطراب . الأمر الذى يؤكد فطرية الضحك ، وأنه كغيره من الغرائز الأخرى التى تسهم فى نموه وتطوره ، وتساعده على استمرارية حياته بصورة إيجابية.

عوامل نمو الضحك :

إن المتتبع لمعدلات نمو الطفل يلاحظ أنه يعبر عن إشباع حاجاته ، وراحته ، والشعور بالاطمئنان بالابتسام ما بين الشهر الأول والثالث ، بشرط أن يتوافر أمامه المثير الذى يتطلب استجابة الابتسام . ومن بين هذه المثيرات ما يقوم به كل من الوالدين والأقارب من مداعبة الطفل والابتسام فى وجهه .

وبزيادة معدلات نمو الطفل فى مختلف جوانبه ؛ وخاصة الجانب الاجتماعى فإنه يستطيع أن يستجيب للمثيرات التى تحيط به من الآخرين بالابتسامة . وتتوقف قوة الاستجابة – الابتسامة – على مدى قوة المثير ، ومدى ألفة الطفل مع مصدره . حيث يستجيب أولاً للوالدين أكثر من استجابته لمن يداعبه لأول مرة . ثم يستجيب بعد ذلك لمن يعيشون معه ، والأكثر مداعبة له .

ومع استمرارية النمو لدى الطفل خلال مراحل حياته يزداد معدل النمو فى الجهاز الصوتى ، الذى يستخدمه فى التعبير عما يستشعره من أسباب

المداعبة له ممن حوله من الأهل والأقارب ، وكل من يحيطون به ، عن طريق إصدار الأصوات التى تعبر عن الإحساس بالراحة والسرور عند الاستجابة لحاجاته الأساسية ، وأخرى تعبر عن الشعور بالاطمئنان والهدوء النفسى . وهذا ما تؤكده الأمهات اللاتى يعرن أطفالهن اهتماماً بالغاً بهم ، والاستجابة لمتطلباتهم واحتياجاتهم سواء كانت مادية أو معنوية . حيث يدركن أن هذا الصوت يعبر عن رغبة الطفل لإزالة البلل ، وآخر يعبر عن الرغبة فى الطعام ، وعندما تلبى هذه الاحتياجات يصدر الطفل أصواتاً تعبر عن الراحة والبهجة والسرور .

هذا ؛ ويزداد معدل الاستجابة للضحك لدى الطفل بزيادة معدل النمو الإدراكى له . حيث يستطيع عن طريق النمو فى هذا الجانب أن يحيط بمختلف المثيرات التى تظهر فى بيئته. والتى تثير الضحك عند الطفل ؛ لرؤيتها لأول مرة ، أو لوجود شبه بين المثير القديم ، والمثير المدرك حديثاً، أو لاكتشافه نتيجة لنمو إدراكه أشياء جديدة فى حياته . ويتصل بهذا العامل – النمو الإدراكى – زيادة إدراكه الاجتماعى Social perception . حيث إنه كلما استطاع الإنسان – طفلاً كان أم راشداً – أن يدرك كثيراً من الأمور الاجتماعية السائدة فى مجتمعه فإنها تعينه على إدراك العلاقات بين كثير من الأمور والتصرفات والأفعال المتضادة والتى تثيره فيضحك .

كما أنه كلما زاد معدل النمو اللغوى لدى الطفل خلال مراحل عمره المختلفة إلى أن يصل إلى مرحلة الرشد ، وما بعدها ، فإن الفرد يستطيع أن يكون على مستوى من المعرفة اللغوية ، وأن يدرك دلالة الكلمات ، وأن يفهم مضمون العبارات ... إلى أن يصبح على مستوى من النمو اللغوى الذى يمكنه من الإدراك الدقيق لدلالة كل مفردة ، وأن يفهم دلالة استخدام التورية فى الكلام والحديث ، وأن يدرك دلالة الألفاظ المتضادة ، والمتضاربة ، لأن كل هذا من شأنه أن يمكن الفرد من استقبال مختلف المثيرات والمواقف اللغوية التى يستجيب لها بالضحك . بل ويستخدمها عندما يقوم بدور

المضحك .

دوافع وبواعث الضحك :

تعتمد عملية استثارة الضحك على ما يصدر عن الإنسان من سلوك ، سواء كان هذا السلوك مباشراً أو غير مباشر ، لأن الإنسان هو المحور الرئيسى ، والمصدر الأساسى للفكاهة والضحك ، أى أننا لا نستطيع أن نضحك بدون الإنسان .

والملاحظ فى حياتنا أن دوافع وبواعث الفكاهة أو الضحك ؛ تتعدد ، وتتنوع ، وتختلف باختلاف أغراضها . حيث نجد أن من أبسط الدوافع التى تدعو الإنسان للضحك استمرار موجة الضحك التى تسود المناخ العام فى الموقف والجلسة التى يضحك فيها بعض الأفراد ، كالذى يحدث حال ضحك أحد الأفراد بطريقة معينة تستثير نوبة من الضحك لدى الآخرين. ومن بين هذه الدوافع وقوع الإنسان فى بعض المواقف الصعبة التى تستثير الضحك لمثل هذا الموقف غير الطبيعى ، كوقوع أخطاء من أحد الأفراد أو حدوث سلوك غير متوقع من شخصية معينة ذات سمات خاصة . الأمر الذى يدعو من يشاهد هذا الخطأ إلى استثارة الضحك .

كما أن من بين دوافع وبواعث الفكاهة والضحك كيفية استعمال اللغة ، وخاصة إذا كان الفرد يمتلك إمكانيات عالية من هذه اللغة ، وكذلك الأمر بالنسبة لأفراد المجتمع الذين يستمعون إلى حديث غيرهم ، ونكاتهم ؛ وهم فى استعمالهم للغة غالباً ما يعتمدون على المعنى العام للفظ أو للجملة ، أو على اختصار الفكرة فى أقل عدد من الكلمات ، واستخدام الجمل القصيرة، أو صياغتها فى جملة تخرجها عن معناها العام أو الأصلى إلى المعنى الذى يثير الضحك . فضلاً عن استخدام التباديل والتوافيق بين الكلمات، وتغيير تشكيل الكلمة ، وكذلك الأمر بالنسبة لاستخدام الجمل المبهمة ، واحتمالية تفسيرها . حيث إن هذه الاستخدامات للغة تعطى

معان بعيدة ، أو ليس لها وجود فعلى . وهذا من شأنه أن يكون دافع أو باعث للفكاهة والضحك .

ويدخل فى إطار الدافع والباعث اللغوى استعمال الألفاظ والمفردات وفق التنغيم . أى نطق اللفظ بطريقة معينة ، بحيث تعطى دلالة غير دلالتها الشائعة وذلك لصرف ذهن السامع أو المتلقى للمعنى الجديد الذى أظهره التنغيم والذى يستثير الضحك . واستخدام أسلوب الإضافة للألفاظ والجمل . أو تقطيع الكلمة إلى كلمتين بما يؤدى إلى تغيير دلالة المعنى . وتغيير أحد كلمات الجملة بما يحدث التباساً فى بيان المعنى واستخدام الكلمات والجمل فى غير موضعها ... الخ وكلها أمور تدفع الفرد - حال إدراك التغيير الحادث فى المعنى - إلى الفكاهة والضحك .

ومن دوافع وبواعث الضحك ما يقوم به رسامى الكاريكاتير الذين يقومون بإبراز أشكال الشخصيات فى صورة غير صورتها الطبيعية ؛ كأن يجعل الفم صغير جداً ، وكذلك الحال بالنسبة لرسم الأنف على هذا النحو . ورسم الشخصية بهذه المواصفات يدعو لاستثارة الضحك .

أشكال ومراتب الضحك :

اهتم الباحثون بدراسة أشكال ومراتب الضحك ، ومن بين الذين تناولوا هذا المبحث ، " الثعالبى "[١] (١٩٩٩) الذى قدم تصنيفاً يوضح هذه المعلومة منها ؛ " التبسم " الذى يعتبره أولى مراتب الضحك ، و " الاهلاس " والذى يعنى إخفاء الضحك ، ويليه " الافترار والأنكال " ويقصد بكل منهما الضحـــك بشكل رقيق حسن ، ثم " الكتكتة " وهو ضحك أشد فى الصوت من الضحك السابق ، و " القهقهة " ، و" الكركرة " . ويلى هذه المراتب أو الأشكال الخاصة بالضحك ؛ " الاستغراب " ثم " الطخطخة " والذى يحدث نتيجة لخروج الهواء الناتج عن الضحك من الأنف والفم . وينهى " الثعالبى " تصنيفه بالشكل أو المرتبة الأخيرة ؛ وهى الإهذاق أو الزهزقة ، والذى يعنى أن الضاحك يعبر عن إحساسه بإصدار أصوات شتى ومختلفة .

دلالة الضحك :

يسهم الضحك فى تحديد نوعية العلاقة بين الأفراد ، بما يتركه من أثر الدلالة فى غيره من الناس . حيث أكد المحللون للضحك على أن لكل ضحكة من الضحكات دلالة ومعنى محدد ؛ لهذا فقد صنفت الضحكات حسب دلالة كل منها ، وما تتركه من أثر علـــى الآخرين ، فيقولون هذه ضحكة صفراء، وأخرى صافية ، وثالثة دليل محبة ... إلخ .

ولهذا ؛ فإن المتتبع لأثر الضحكات على الآخرين يلاحظ أن كل ضحكة أو ابتسامة تصدر عن الإنسان لها دلالة تفسر معناها . حيث نجد أن هناك ضحكة أو ابتسامة تدل على تردد الفرد فى الكلام أو الحديث ، أو الإقبال على فعل ما ، وغيرها تعلن عن إحساس الفرد بالانتصار فى الموقف الذى مر به ، وثالثة تعبر عن الشعور بالحب والعاطفة القوية ، ورابعة تبين مدى الاستخفاف ، والتهكم بمن توجه إليه الضحكة ، وخامسة تهدف إلى بيان

---

[١] أبو منصور الثعالبى . فقه اللغة وسر العربية .

الإحساس بالخجل... إلى التى يقصد بها تقضية الوقت فى مناخ من الفرح والسرور . وهكذا فإن هناك العديد من الدلالات التى تحملها الضحكة أو الابتسامة بالنسبة للطرف الآخر .

كما يشير محمود عباس العقاد (١٩٦٩) إلى بعض الضحكات ذات الدلالات المعينة كالضحكة التى تدل على السرور والفرح ، وأخرى تدل على السخرية والازدراء، وثالثة تدل على المزاح ، ورابعة تدل على الإحساس بالطرب ، وخامسة تدل على العجب ، والإعجاب ، وضحك العطف والمودة، وضحك الشجاعة، والعداوة ، وضحك المفاجأة والدهشة ، وآخر يدل على السذاجة والبلاهة .

مظاهر الضحك :

كاد يتفق كثير ممن تناولوا موضوع الفكاهة والضحك بالدراسة والبحث على أنه حالة انفعالية يعيشها الفرد نتيجة معايشته لموقف معين – وخاصة إذا كان فجائياً – يدعو إلى الضحك . ويختلف هذا الانفعال باختلاف الفرد الذى يتلقى هذا الموقف من حيث إحساسه ، وشعوره بهذا الموقف ؛ فقد يكون رد الفعـل ابتسامة ، أو قهقهة ، وقد يصاحب إحداث صوت القهقهة كثيراً من الحركات الجسمية ؛ كضرب الكف على الكف ، أو ضرب الكف على الفخذ ، أو مسك الشخص القريب من الضاحك .. وغيرها من المظاهر السلوكية المصاحبة لشدة الانفعال المثير للضحك .

وإذا دققنا النظر فى مصادر الضحك ، والمظاهر السلوكية الناتجة عنه؛ نجد أن للمستوى التعليمى ، والثقافى ، ومدى خبرة الفرد الحياتية ، ونوعية البيئة التى يعيش فيها الفرد أثر كبير فى شكل الاستجابة لمثير الضحك . كما نلاحظ أن اختلاف مصادر وبواعث الضحك تؤدى إلى اختلاف المظاهر السلوكية له وتختلف هذه المظاهر باختلاف شدة المثير للضحك ، وباختلاف الحالة النفسية التى عليها الفرد حال حدوث المثير .

فنلاحظ – على سبيل المثال – أن حدوث صوت " القهقهة " يعبر به بعض الأفراد عن مدى سرورهم ، وفرحتهم نتيجة لمثير الضحك القوى . بينما نجد أن بعض الناس يستجيبون لمثل هذا المثير بالابتسامة الخفيفة ، وهذا يتوقف على مدى إدراك الفرد للمثير بشكل جيد وصحيح .

وكثيراً ما نجد أن بعض الناس يستجيبون للضحك عن طريق ما يبدو على وجوههم من علامات الإشراق . حيث يؤكد علماء علم النفس الفسيولوجى أن الضحك يجعل الدم يتدفق بشدة فى عروق الضاحك مما يجعل وجهه أكثر إشراقاً وضياءً وكذلك تبدو العيون أكثر لمعاناً ، وتنفرج أسارير الوجه ، فيبدو أكثر نوراً .

هذا ؛ ومن مظاهر الضحك لدى الإنسان – صغيراً كان أم كبيراً – انفراج الفم وظهور الأسنان . بالإضافة إلى ما قد يبدو عند بعض الناس من ظهور انكماش فى الجلد أثناء الضحك . وقد تصل شدة المثير للضحك إلى حد نزول الدموع من العينين . وكثيراً ما نشاهد بعض الذين يضحكون يقفون إذا كانوا جالسين ،ومنهم من نراه يقفز أو يأتى بحركات جسمانية غير عادية عندما ينتابه الضحك بشدة .

ومهما اختلفت مصادر الضحك ، ودوافعه وبواعثه ، ومظاهره السلوكية فإننا نجد أن كل المظاهر التى يبديها الضاحك تشير إلى إحساس الفرد وشعوره بالسرور والفرح والبهجة .

وظائف الضحك :

مما لا شك فيه أن الضحك يقوم بدور ضرورى وهام لاستمرار حياة الإنسان بصورة أفضل ؛ لأنه يغير الحالة النفسية للفرد ، بما يجعلها أكثر فاعلية فى حياته ، وبما يمكنه من أن يكون أكثر توازناً ، واعتدالاً فى ممارسة حياته مع غيره من الناس . كما أنه يسهم فى حل كثير من

المشكلات التى قد تبدو معقدة لتناقضها . وبهذا يسهم فى تخفيف حدة التوتر الناشئ عن مواقف الحياة الصعبة والمؤلمة . فضلاً عن إسهامه فى عمليات المشاركة الوجدانية بين الفرد والآخرين ، وما يحدثه من زيادة درجة المحبة والمودة بين الناس . بل قد يصل الأمر إلى وصول الإنسان إلى حالة من التوحد مع فرد آخر .

لهذه الأمور وغيرها ، فإنه يمكن القول بأن الضحك نشاط اجتماعى فعّال له أثره الإيجابى والسلبى فى حياة كل من الفرد والمجتمع ، وبناء على هذا المعنى فإنه لا يمكن اعتبار ما يحدث من الإنسان من فلتات اللسان – أو إبداء الملاحظات العابرة التى قد تثير الضحك – ضمن الضحك الذى يتعلق بالنشاط الاجتماعى .

ومن أجل هذا أجريت كثير من الدراسات لبيان وظائف الضحك فى حياة الإنسان ، والتى أسفرت أن للضحك وظائف إيجابية فى حياة كل من الفرد والمجتمع . حيث أشارت غالبية نتائج هذه الدراسات أن الضحك يحقق قدراً لا بأس به من التفاعل بين الأفراد والجماعات ، وأنه يدفعهم إلى التعاون فيما بينهم ، وكذلك تنمية الحس والشعور بالآخرين . فضلاً عن الاهتمام بهم ، واسهامه فى تنمية المهارات الاجتماعية . حيث يتم عن طريقه التقليل من حدة الغضب والتوتر التى تجعل الفرد أكثر قابلية لغيره من الناس.

كما أنه يسهم فى تحقيق إحساس الإنسان بذاته ، حال وجوده مع غيره من الأفراد وممارسة الضحك فيما بينهم ، والتقليل من حدة الشعور بالوحدة والاكتئاب . حيث إنه يتم من خلال الفكاهة والضحك تنمية الإحساس بالدعابة ، وإيجاد قدر من الصلات بين الفرد وغيره من الآخرين . بالإضافة إلى أن ممارسة الضحك تسهم فى تنمية القدرات العقلية ؛ وخاصة ما يتصل بالقدرة اللغوية ، والقدرة التخيلية ، والقدرة على الإدراك الكلى والاستبصار الجيد .

هذا ؛ ويجمع المشتغلون فى مجال الضحك على أنه يسهم فى التنفيس عن كثير من المكبوتات لدى الإنسان ، وخاصة التى لا يستطيع أن يصرح بها كل من الفرد والمجتمع ؛ كالأفكار السياسية التى لا يرضى عنها المجتمع، أو القيود الاجتماعية التى يفرضها نظام سياسى معين ، أو المكبوتات ذات الصلة بالجانب الجنسى والعدوان ، أو ما قد يحدث من مخالفات فاضحة من بعض الهيئات أو المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ، أو من الشخصيات العامة ذات الثقل الاجتماعى .

ويعتبر الضحك من أهم السبل التى يمكن أن يسلكها كل من الفرد والمجتمع لدفع مشاعر القلق ، والخوف ، والتوتر من أشياء ، ومواقف تجلب المشكلات والصراعات إذا ما تم الإعلان أو التصريح بها . حيث يجعل الفرد والمجتمع يتجاوزان هذه المخاوف المتوقعة عن طريق التفريغ للطاقات المكبوتة نتيجة لهذه المشكلات وتلك الصراعات فى شكل تعليقات أو نكات أو نوادر مضحكة .

وهذا ما دعا " برجسون " (١٩٨٠) إلى القول بأن الضحك يقوم بدور أساسى فى تصحيح، وإصلاح كثير من الأخطاء والعيوب الاجتماعية التى قد تنتشر فى واقع المجتمع ، كعدم المرونة ، والجمود ، والتسلط ؛ والعجب والغرور ، والعزلة . الأمر الذى جعل " برجسون " يرى أن الضحك هو " الفعل التصحيحى والتصويبى للعيوب الاجتماعية " .

ومع أهمية الدور الذى يقوم به الضحك فى حياة الإنسان ، فإننا نجد بعض الناس يعتبرون أن الضحك دليل على تدنى المستوى الخلقى للفرد . ولهذا نرى أن كثيراً من المربين يدعون إلى عدم إتاحة الفرصة أمام الطفل للضحك ، وعدم تهيئة الظروف لممارسة روح الدعابة والمرح . ولذلك فقد ظهر المثل الشعبى الذى يقول : " الضحك من غير سبب قلة أدب " على اعتبار أن الضحك يقلل من احترام الصغار للكبار ، ويهدر المسافات بين

الأفراد .

إلا أن المهتمين بالدراسة والبحث فى مجال الضحك يؤكدون على أهميته فى حياة الإنسان - صغيراً كان أم كبيراً - على اعتبار أنه سلوك نفسى اجتماعى لا غنى عنه فى حياته . وأن دوره الإيجابى أكثر فاعلية مما يتركه من آثار سلبية إذا ما تم ممارسته على أسس صحيحة ، وأهداف واضحة محددة . الأمر الذى يجعل الضحك وسيلة محببة للإنسان لتنمية كثير من الجوانب الأخلاقية والإبداعية ، وذلك عن طريق تأليف القصص والمسرحيات والتمثيليات الفكاهية والتى تحمل فى مضمونها المغزى الخلقى، واستثارة القدرة على التفكير والإبداع .

البعد الاجتماعى للضحك :

تشير المعلومات السابقة فى هذا الفصل إلى أن الضحك وسيلة من الوسـائل التى تعين الإنسان على استمرار حياته بصورة افضل ، كما أنه يقوم بدور اجتماعى فى غاية من الأهمية . حيث يعتبر مصدراً من مصادر المشاعر الإنسانية التى تسهم فى إيجاد العلاقات الاجتماعيـة بين الفرد والمجتمع . ذلك لأن الفرد إذا ضحك ، فإنه غالباً ما يشاركه الآخرون هذه المشاعر ، ويحدث الأمر نفسه إذا دخل فرد على مجموعة من الأفراد يمارسونه ، فنجد أنه سرعان ما يشاركهم هذا الضحك .

وكلنا نلاحظ أن ابتسام الطفل الأول مرة ؛ هو عبارة عن رد فعل لسلوك الوالدين أو المحيطين به ، وخاصة عندما يقبلون على مداعبته ، وهم يبتسمون فى وجهه . وهذا يعنى أن الفرد - صغيراً كان أم كبيراً - لا يضحك إلا من خلال وسط اجتماعى يهيئ للإنسان إشاعة مناخ نفسى يدعو الإنسان إلى الشعور بالراحة والسرور نتيجة لممارسة الضحك الذى بدوره يترك أثراً إيجابياً على المناخ الاجتماعى للجميع .

ولهذا فإن البيئة الاجتماعية هى المصدر الأول الذى يهيئ للإنسان إمكانية الضحك . حيث إن هذه البيئة تجمع الأفراد على أهداف ، وأغراض معينة ، ويتم من خلالها تحقيق مصالح خاصة بهم ، كالعمل على إزالة متاعب الحياة وصعوباتها ، أو إخراج الفرد من حالة نفسية سيئة إلى حالة أفضل ، أو حدوث قدر من الترفيه ، وإحساسه بالفرح والسرور . ولذلك تعتبر البيئة الاجتماعية الضحك خط دفاع ضرورى لحماية الإنسان من الدخول فى حياة بائسة ، أو حياة بلا أصدقاء ، أو أقران يعينوه على استمرارية الحياة بشكل أكثر راحة ، وذلك عن طريق تهيئة العوامل الاجتماعية والنفسية التى تتيح له مناخاً نفسياً أفضل وفى مقدمتها الضحك .

ويسهم الواقع الاجتماعى أو البيئة الاجتماعية فى إيجاد ، وظهور أنواع من الضحك . حيث يفرز الوســط الاجتماعى للأفراد أنواعاً مختلفة من الضحك ، فبيئة الثأر تقدم على ممارسة ضحك معين نتيجة الإحساس بالانتصار حال الأخذ بالثأر ، وتكون مثل هذه الضحكة ذات مواصفات معينة كما أن استقرار الواقع الاجتماعى يحدث أنواعاً أخرى من الضحك . حيث إن الإحساس بالأمن والاطمئنان ، والهدوء والاستقرار يدعو الإنسان للاستمتاع بالحياة ؛ فرحاً ، وسروراً ، وابتهاجاً ، ساعياً إلى الأخذ بكل الأسباب التى تدعو للفكاهة والضحك ؛ وهو ضحك له فاعلية فى المجتمع يختلف عن فاعلية النوع السابق .

ولما كان الضحك عبارة عن حالة انفعالية لها تأثيرها الفعّال على الأفراد ، فإنه ينتشر بينهم بناء على عملية الاستهواء التى تستحوذ على الأفراد الذين يعيشون فى وسط اجتماعى أثير فيه مجال الضحك . وهذا ما يطلق عليه المشاركة الوجدانية Social sympathy التى من شأنها أن تحدث التفاعل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ؛ والضحك عامل من العوامل التى يمكن أن تحدث مثل هذا التفاعل .

وهذا ما جعل الباحثين فى مجال الضحك يؤكدون على أهميته وتأثيره على كل من الفرد والمجتمع ، وأنه يسهم فى تقوية العلاقة بين الأفراد الذين يعيشون فى وسط اجتماعى محدد ؛ كما هو الحال عند ابتسام الوالدين لطفلهما ، والمخدوم للخادم ، والرئيس لمرؤسيه، لأن مثل هذه الابتسامات تقرب المسافات بين الأفراد ، وتقوى العلاقات ، وتزيد معدل المشاركات الاجتماعية فيما بينهم .

ويحدث الضحك الفردى – كأن يضحك الفرد منفرداً على أشياء أو مثيرات خفيفة لا يدركها إلا هو – انعكاسات سلبية على الوسط الاجتماعى الذى يضحك فيه مثل هذا الفرد . وكذلك الحال فإن الضحك الصادر عن جماعة من الناس . حيث يشيع مناخ نفسى يدعو للإطمئنان والراحة بين الجميع . وهذا لا يعنى أن الضحك الجماعى يخلو من أهداف غير الترفيه وإيجاد الصلات الاجتماعية بين الناس . بل إنه قد يتعدى هذا إلى أهداف أخرى ذات مضامين اجتماعية سلبية .

هذا ؛ وتحدث الفكاهة والضحك أشكالاً أخرى من العلاقات الإنسانية . حيث تعطى دلالات تشير إلى ما يكمن داخل نفس الفرد أو المجتمع من اتجاهات مختلفة ومتباينة ، يكون لها تأثيرها فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض ؛ ويوضح هذا ما حدث أيام الثورة الفرنسية عندما كان يساق النبلاء ، ورجال الحكم إلى الإعدام ، وكان الناس يصدرون ضحكات تعبر عن إحساس ومشاعر أهل باريس المريض أيام الثورة فى صورة ضحكات هستيرية تبين ما كان عليه اتجاه الناس نحو الحكم الملكى رغم بشاعة ما يحدث .

ويؤثر الضحك على الذوق العام للأفراد حال تعاملهم مع بعضهم ؛ فقد كان الناس فى الحياة البدائية يضحكون على الأفراد الذين يعانون من شذوذ فى أجسامهم أو أشكالهم . حيث كانوا موضع سخرية واستهزاء ؛ مستخدمين

الضحك وسيلة للتعبير عن هذه السخرية . كما يلاحظ أنه عندما يحدث تمدين فى حياة الناس تتغير الأحاسيس والمشاعر نحو مثل هؤلاء الناس ، وتتبدل إلى العطف والإشفاق . وهذا يعنى أن الضحك يعطى دلالات لكثير من أنماط السلوك الإنسانى لدى كل من الفرد والجماعة ، وأنه يتأثر سلباً وإيجاباً حسب درجة التقدم والرقى .

وللضحك – أيضاً – دور فعّال فى التقليل من العلاقات غير الإنسانية بين الناس . حيث نجد أن بعض الأفراد قد يصل بهم الحال فى علاقتهم بغيرهم إلى الإيذاء والاستهزاء بهم . ولهذا نجد أن من يقع عليهم مثل هذا الإيذاء يعمدون إلى ممارسة الفكاهة والضحك بشتى أشكاله للتخفيف من حدة الانفعال والتوتر بدلاً من الرد بالاستهزاء بهم والسخرية منهم . أى استخدام الضحك كوسيلة للدفاع عن الذات – وخاصة فى حالات الإحساس بضعف – تكشف عن مدى قوتها فى الجانب العقلى ، وقدرتها على الدفاع الصحيح ، بما يساعد على مسايرة الحياة الاجتماعية .

ويسهم الضحك فى التقليل من العيوب الاجتماعية داخل المجتمع . حيث نجد أن كثيراً من الأفراد ينالون – عن طريق الضحك بأشكاله المختلفة والمتعددة – من بعض الناس الذين يضربون بتقاليد ، وعادات ، وقيم المجتمع عرض الحائط . كما يستخدم الضحك فى كثير من الأحيان لبيان الآراء المضادة ، وإظهار قيمة الأراء الصحيحة التى تعبر عما يجول فى أذهان غيرهم . وهذا يعنى أن الفكاهة والضحك يقومان بدور أساسى فى تشكيل وتعديل كثير من الأنماط السلوكية التى لا تتفق وقيم ومبادئ المجتمع.

ومن يدرس دلالة الضحك ومضامينه يستطيع أن يدرك أنه يسهم فى تحديد معالم شخصية جنس معين ؛ فكثير من القصص ، والمسرحيات ، والنكات التى تثير الضحك ترسم كثيراً من معالم وحدود الشخصية المتحدث عنها فى هذه الأنواع الأدبية . كشخصية اليهودى ، أو العربى ، أو التركى ،

.. أو أى جنس آخر . كما تظهر النكات التى تقال عن سكان الجنوب أو الشمال مثل هذه الشخصية . الأمر الذى يساعد الآخرين على فهم مثل هذه الشخصيات وحسن التعامل معهم .

المراجع

- إبراهيم إمام . العلاقات العامة والإعلام . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٦٨) .
- إبراهيم أنيس . اللغة بين القومية والعالمية . القاهـــرة : دار المعارف ، (١٩٧٠) .
- إبراهيم زكى قشقوش . دراسة للتطلع بين الشباب الجامعى فى علاقته بمفهوم الذات . رسالة دكتوراه . كلية التربية جامعة عين شمس ، (١٩٧٥) .
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم . لسان العرب . جـــ (٣) بيروت : دار صادر (١٩٩٠)
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن محرم ، لسان العرب .ط (١٠) ، دار صادر ، بيروت ، (١٩٦٩) .
- أبو منصور الثعالبى . فقه اللغة وسر العربية . بيروت . دار الفكر العربى . (١٩٩٩) .
- أحمد عبد العزيز سلامة وعبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . (١٩٧٦) .
- أحمد عطية الله . سيكولوجية الضحك . القاهرة : النهضة العربية ، (١٩٦٤) .
- أحمد محمد أبو زيد . سيكولوجية الرأى العام . القاهرة : عالم الكتب ، (١٩٦٨) .

- أرسطو . فن الشعر . ترجمة : شكرى عياد . القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٩٣) .
- أرسطو . فن الخطابة . ترجمة : عبد الرحمن بدوى . بغداد : دار الشئون الثقافية ، (١٩٨٦) .
- أسعد رزق أبو زيد . ســيكولوجية الرأى العام . القاهرة : عالم الكتب ، (١٩٦٨) .
- الفيروزابادى : مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط. جــ (٣) ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٩) .
- الكسيس كارل : تأملات فى سلوك الإنسان . ترجمة عمر محمد القصاص . القاهرة : مكتبة مصر . (ب.ت) .
- بول لاندس وجون هاير . التكيف الاجتماعى للأطفال . ترجمة السيد محمد عثمان . سلسلة دراسات سيكولوجية (١٧) القاهرة: النهضة المصرية ، (١٩٥٤) .
- ثابت عبد الرحمن إدريس . السلوك الإنسانى فى التطبيق العملى، مكتبة عين شمس ، القاهرة : (١٩٩٢) .
- جوردن ألبورت . نمو الشخصية . ترجمة جابر عبد الحميد جابرومحمد مصطفى الشبينى . القاهرة : النهضة العربية ، (١٩٦٣) .
- جون جرين. علم اللغة النفسى ، تشومسكى وعلــم النفــس ، ترجمة مصطفى التونى . القاهــرة : الهيئــة المصرية العامة

للكتاب ، (١٩٩٣) .

- جيلفورد : ميادين علم النفس (النظرية والتطبيق) ترجمة يوسف مراد . القاهرة . دار المعارف . (١٩٦٢) .
- حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعى . القاهرة . عالم الكتب . (١٩٧٤) .
- حسن الحسن . التفاوض والعلاقات العامة . المؤسسات الجامعية ، بيروت : (١٩٩٣) .
- حلمى المليجى . سيكولوجية الابتكار ، ط(١) . القاهرة : دار المعارف ، (١٩٦٨) .
- سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . (١٩٧٠) .
- سيد صبحى . الإنسان وسلوكه الاجتماعى . القاهرة : مطبعة التقدم ، (١٩٧٦) .
- سيد غنيم . الشخصية . الكويت : دار الشروق، (١٩٧٣) .
- شاكر عبد الحميد . الفكاهة والضحك . الكويت : عالم المعرفة (٢٠٠٣) .
- عبد الرحمن محمد عيسوى . علم النفس ومشكلات الفرد . الإسكندرية : منشأة دار المعارف ، (١٩٧٢) .
- عباس محمود العقاد . جحا الضاحك المضحك . بيروت : دار الكتاب العربى ، (١٩٦٩) .

- عبد السلام عبد الغفار وعثمان فرج . الشخصية والصحة النفسية . بيروت : مكتبة العرفان ، (١٩٦٦) .
- عبد القادر الرازى . مختار الصحاح ، ط. (٨) .
- عبد المنعم شحاتة . أنا و الآخر . إيتراك ، القاهرة : (٢٠٠١).
- عطية محمود هنا : دراسات حضارية فى القيم . لويس مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ، (١٩٦٥) .
- على سالم . فن التفاوض ؛ المبادئ العامة وبعض التطبيقات العملية . المجلة المصرية للتنمية والتخطيط . المجلد (٤) العدد (٢) ، القاهرة : (١٩٩٦) .
- على عبد الواحد وافى : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل . القاهرة : نهضة مصر ، ١٩٨٠ .
- فؤاد البهى السيد . علم النفس الاجتماعى . القاهرة : دار الفكر العربى ، (١٩٥٨) .
- فاخر عقل . معجم علم النفس . بيروت : دار العلم للملايين ، (١٩٧١)
- فوزية دياب . القيم والعادات الاجتماعية . القاهرة : دار الكتاب العربى ، (١٩٦٦) .
- فؤاد زكريا . جمهورية أفلاطون . القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٨٥) .

- قدرى حفنى . ورؤوف نظمى . الحقيقة والوهم فى علم النفس . دار المعارف ، القاهرة : (١٩٦٩) .
- كمال الدسوقى. ديناميات الجماعة فى الاجتماع وعلم النفس ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٦٩) .
- لويس كامل مليكة . ديناميات الجماعة والقيادة : النهضة المصرية ، (١٩٦٤) .
- لويس كامل مليكة : سيكولوجية الجماعات والقيادة . جـ (٢). القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . (١٩٦٣) .
- مجمع اللغة العربية . المعجمع الوجيز. ط (١) ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة : (١٩٨٠) .
- محسن الخضرى . تنمية المهارات التفاوضية . الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة : (١٩٩٣) .
- محمد إبراهيم كاظم . التطور القيمى وتنمية المجتمعات الريفية. المجلة الاجتماعية القومية . العدد الثالث ،المجلد السابع ، سبتمبر (١٩٧٠) .
- محمد إبراهيم كاظم . تطور فى قيم الطلبة فى خمس سنوات . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٦٢) .
- محمد جميل منصور . دراسة تحليلية للقيم المرتبطة بالعمل لدى المراهقين المصريين ، رسالة دكتوراه – كلية التربية – عين شمس ، (١٩٧٣) .

- محمد عبد الغنى حسن . مهارات التفويض الفعال . ط(١) ، مركز تطوير الأداء والتنسيق ، القاهرة : (٢٠٠١) .
- محمد عبد القادر حاتم . الرأى العام . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٧٢) .
- محمد عماد الدين إسماعيل . قيمنا الاجتماعية وأثرها فى تكوين الشخصية . القاهرة : النهضة المصرية ، (١٩٦٢).
- محمود السعران . اللغة والمجتمع . القاهرة : دار المعارف ، (١٩٦٣) .
- محمود فهمى حجازى . اللغة العربية عبر القرون . القاهرة : وزارة الثقافة ، المكتبة الثقافية ، العدد ١٩٧ ، (١٩٦٨) .
- مصطفى سويف : مقدمة فى علم النفس الاجتماعى . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . (١٩٦٦) .
- مصطفى فهمى : مجالات علم النفس. (المجلد الأول) . القاهرة . مكتبة مصر . (ب. ت) .
- مصطفى ناصف . نظرية المعنى فى النقد الأدبى . دار القلم ، القاهرة : (١٩٦٥) .
- نبيه إبراهيم إسماعيل . دراسة للتفوق العقلى من حيث علاقته ببعض القيـــم الشخصية والاجتماعية . رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة عين شمس .
- نبيه إبراهيم إسماعيل . اللغة والوجود الإنسانى وكيان المجتمع.

القاهرة : مكتبة الأنجلو ، (١٩٨٣).
- نبيه إبراهيم إسماعيل . التراث والأصالة والشخصية المتميزة . القاهرة : مكتبة الأنجلو ،(١٩٨٣).
- نبيه إبراهيم إسماعيل . دراسة لبعض العوامل النفسية المرتبطة بالصحة النفسية السليمة . رسالة دكتوراه . كلية التربية . جامعة عين شمس (١٩٨٠) .
- نبيه إبراهيم إسماعيل . مقياس " تشبن " للاستبصار الاجتماعى. كراسة التعليمات . تحت الطبع .
- نبيه إبراهيم إسماعيل. مقياس " تشبن " للاستبصار الاجتماعى. كراسة المواقف . تحت الطبع .
- نبيه إبراهيم إسماعيل. مقياس " تشبن " للاستبصار الاجتماعى. كراسة الإجابة . تحت الطبع .
- نجيب اسكندر ومحمد عماد الدين إسماعيل ورشدى فام : قيمنا الاجتماعية . القاهرة : النهضة المصرية . (١٩٦٢).
- هلين جيلهام. مساعدة الطفل على تقبل ذاته والآخرين . ترجمة محمد عبد السلام أحمد . القاهرة: وزارة التربية والتعليم ، (١٩٦٤) .
- هنرى برجسون . الضحك . ترجمة : سامى الدروبى . القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ، (٢٠٠١) .
- هول وليذرزى. نظريات الشخصية. ط(٢). ترجمة فرج أحمد

فرج وآخرون . القاهرة : دار الشايع للنشر، (١٩٧٨) .

- وليم الخولى . الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى . القاهرة : دار المعارف ، (١٩٧٦) .

- Allport, F. Toward a Science of public. The publit opinion quarterly Jannury, 1937 .

- Baur, E. Public opinion and the primary group. Amer. Social Rev., 26, 208 : 219 , (1960) .

- Barzman, M. Annual review of psychology of Negotiation (copernichome) http//WWW.Google. Com. (2002).

- Chapin, S. F. The social insight Test. Situations Booklet. California: Consulting Psychologists Press, 1968.

- Chapin, S. F. The chapin insight Test. Response Booklet. California : Consulting Psychologists Press, 1968.

- Coleman, J. & Boren, W. Abnormal Psychology and Modern life. London : Scott Foresman and Co. 1972 .

- Curtie, J. . Social psychology. New York : Mc Graw Hill Book company INC, 1960 .

- Dewolf, Donna . Preschool children's Negotiation of Inter subjectivity during and tumble play. 2000 Diss. Abss. Int. Vol.(60) (V-g) Phytopathology 5833.

- Freud, S. Jokes and their relation to the unconcious. New York : W. W. Norton and company, 1960 .

- Getzele, J. & Jackson, ph. Creativity and Intelligence, Explorations with Gifted students . N. J. : The University of Chicago : Joh Wiley Sons. Inc. 1963 .

- Harinck, F. Individual characteristics and Integrative Outcomes in Negotiation . Organizational Behavior & Personality. 2001, Vol. (2) Des. PP. 329-328 .

- Harrison, G. G. The chapin Social Insight Test. Manual California : Consulting Psychologists Press, 1968 .

- Heilbrun, A. B. Cognitive factors in early counseling termination: Social insight and level of defensiveness. Journal-of-counseling-Psychology. 1982 Jan, Vol 29(1) : 29-38 .

- Hornby, A. S. Oxford Advanced Learners' Dictionary of current English. Oxford University Press, 1981 .

- Hornby, S. et. Al. Oxford Advanced learner's dictionary of current English. London: Oxford Univ. Press 1963.

- Jourard, M. S. Personal Adjustment, an approach through the study of healthy personality, New York : The Mecmillan. Co. 1963 .

- Kappuswamy, B. Child Behavior and development. India : Vikas Publishing House Pvt. LtD, 1972.

- Lefcourt, H. Humor. The psychology of living buoyanty. New York : Kluwer academic plenum publishers 2000. P(4): 143.

- Legree, P. J. Evidence for an oblique social intelligence factor established with a likert-based testing procedure. Intelligence. 1995. Nov-Dec; Vol 21(3). 247-266.

- Lindzey, G. Handbook of social Psychology. London: Addison Welsey, G. Inc. 1954.

- Longman. Active study dictionary of english. England :

Longman Group Limited. 1983.

- Motson, F. Without, Within. Adivision of Wathsworth publishing company, INC. U.S.A. : 1973 .
- Pinkly & Northcraft, G.B. Conflict frames of reference: Implications for dispute processes and outcomes. (1994) Acad. Manage. J. 37: 193-205 .
- Provine, R. Laughter, a scientific investigution. New York : Penquin Putnam INC.
- Rescher, N. Introduction to boys and girls. New Jersey : Prentice-Hall, INC, Engle-Wood clirps, 1969 .
- Richard, Nmjoth. & Topetzes, Nick. Arational Emotive approach to mental health for college students college student Journal Malmono GRA PHCPARTZ). 11.3.1-11 F. 1977 .
- Rychlak, F. Is a concept of self necessary in psychological theory, and if so, why? A humanistic Perspective. In Awandersman and others humanism and behaviorism. New York : Pergamon Press. INC. 1976.
- Webster's third new international dictionary of the english langnage. Unabrided. 1993.
- Wener, J. Theories of Motivation from Mechanism to cognition. Chicago: Rand Mcnally, C. P. C. 1972.

محتويات الكتاب

